الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI.

اسلامية شهرية جامعة

العدد ٣٤٥ - السنة الحادية والثلاثون - جمادى الأولى ١٤١٥هـ / أكتوبر (ت١) ١٩٩٤م

دعوة لإقامة سوق إسلامية مشتركة



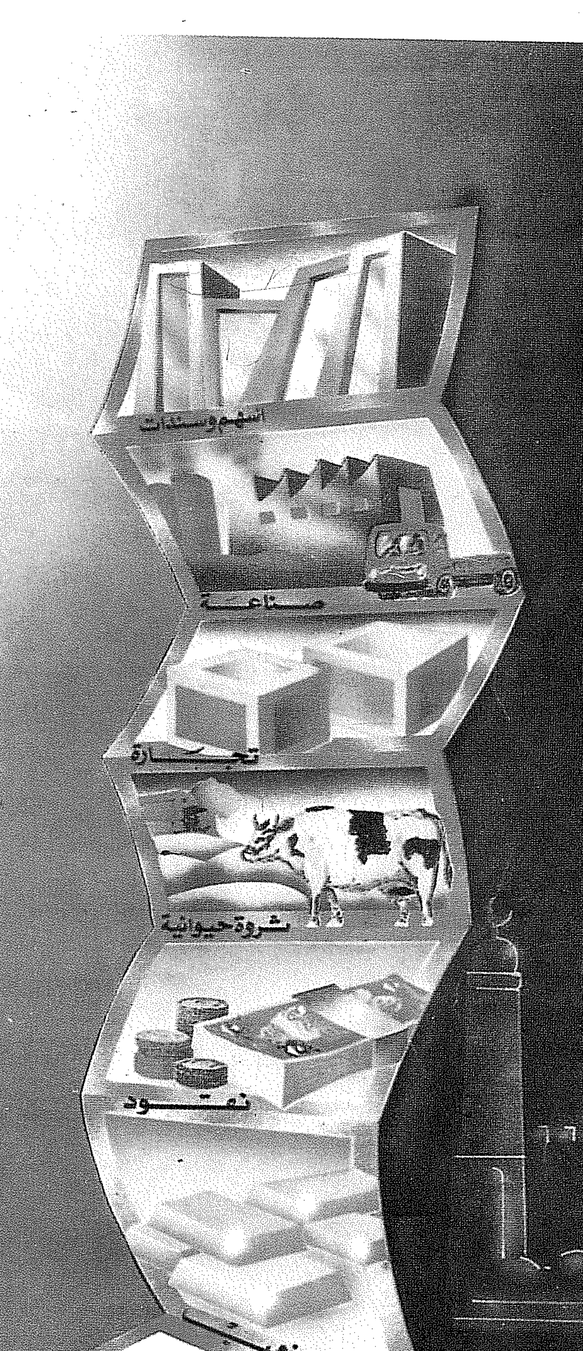
دور المرأة في الصحوة



رعاية الطفولة في الإسلام

زكاة أموالكم

2.5%



الزكاة

للاستفسار
٥٦٢٢٢٢٤

بالزكاة والخيرات نحقق الكثير

بيت الزكاة



تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs -- Kuwait

العدد ٣٤٥ - السنة الحادية و الثلاثون - جمادى الاولى - ١٤١٥ هـ / اكتوبر(ت١) ١٩٩٤م

هاتف:
بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥)
داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

كلمة العدد

الترفيه الاستهلاكي

تشكل وسائل التسلية الحديثة مَعْلماً مهماً من معالم العصر، بامتداديه الشرقي والغربي، حتى نكاد لا نستثني من مناطقه مساحة جغرافية واحدة، تستهوي الصغار والكبار على حدّ سواء، وتتنوع بتنوع الذوق البشري، وإن كان القاسم المشترك بينها أَسْر الانتباه وصرف المتعامل معها عن أمور ووسائل أكثر فائدة في ميدان تنمية المواهب، فوسائل الترفيه المعاصرة تنسجم مع زمن الاستهلاك الذي نعيشه ونصرف عليه من عقولنا وأموالنا وأوقاتنا..

ولئن كان الكبير قادراً على التمييز بين الغث والسمين، والمفيد والمفسد، فإنّ الصغير يقتات عليها ويتعلم منها ويتطبع بتوجهاتها البعيدة المدروسة دون أن يملك خياراً أو سلطة في تطويرها أو ترشيدها، ولذلك نخشى أن نحصد جيلاً مستقبلياً تمّ تدجينه ضمن سياسة فكرية واقتصادية محددة تنتج لنا أمّة ذات شخصية بعيدة عمّا تريده لها شريعة الله وتوجيهات نبيه ﷺ.. ولا يصح أن يبقى الأمر داخل دائرة الشكوى والتلاوم، والمطلوب خطوة عملية باتجاه منافسة ما تلفظه معامل الغرب والشرق من ألعاب الفيديو وسواها مما يثير الانتباه ويؤثر في العقول والنفوس وتفرغ الجيوب، والمطلوب بدائل حضارية تستخدم وسائل مشابهة ولكنها تسعى لنتائج إيجابية متوازية مع عقيدتنا وثقافتنا ورسالتنا الدينية المميزة..

والأمر يستحق التنفيذ، فهو واجب ديني، وفي طياته ربح اقتصادي، والمطلوب استفادة من التجربة وإخلاص في السعي، والله الموفق لكل خير ■

المراسلات:
مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT.:
1005 - FAX: 965-2431740

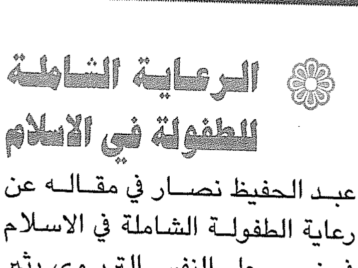
الاشتراكات

الاشتراكات: ـ داخل الكويت: للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير ـ الدول العربية: للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها) ـ للموسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها) ـ بقية دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتاً (أو مايعادلها) * ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي ـ الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية) وكيل التوزيع: الشركة السعودية للتوزيع * الكويت: ص.ب: ٢٩١٢٦ ـ الصفاة (١٣١٥٠) هاتف: ٤٧٢٤٧٧٧ ـ فاكس: ٤٧٢٤٥٥٥ * الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص.ب: ١٣١٩٥ ـ الرمز البريدي، جدة ٢١٤٩٣ هاتف: ٦٥٣٠٩٠٩ (١٢خط) ـ فاكس: ٦٥٣٣١٩١

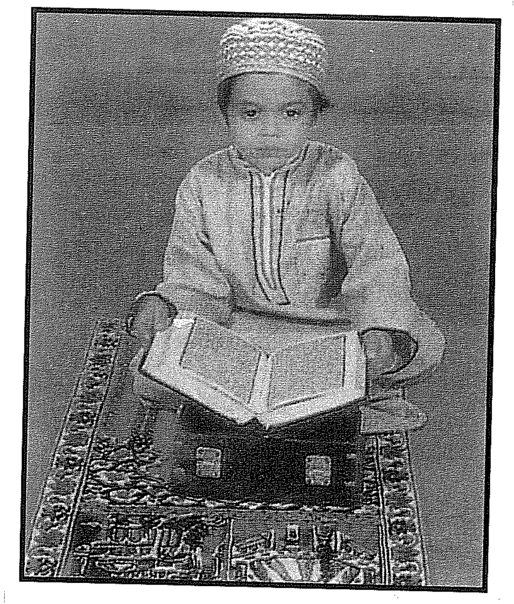
الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠ فلس ـ ج.م.ع ٥٠ قرشا ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما.

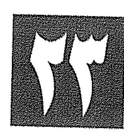
أقـرأ في العـدد



الرعاية الشاملة للطفولة في الاسلام

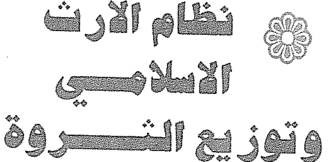


عبد الحفيظ نصار في مقاله عن رعاية الطفولة الشاملة في الاسلام في ضوء علم النفس التربوي يثير موضوعاً مهماً ذا أولوية على الساحة لاسيما ونحن نواجه كمّاً كبيراً من التفاعل الحضاري يحتاج منا مزيدا من الاهتمام بالأجيال القادمة لتبقى الرسالة قائمة والراية مرفوعة في الأيدي الأمنية.



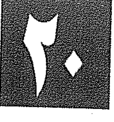
٢٣

يرتبط الاقتصاد الاسلامي بالقيم الايمانية والاخلاق السامية، وتمتلك البلاد الاسلامية كل عوامل الانتاج اللازمة لمقومات الحياة، ومع ذلك فالواقع الاقتصادي الحالي للعالم الاسلامي لا يلبي الحاجات المتزايدة لأبنائه، وفي حوار الدكتور حسين شحاتة رئيس جمعية الاقتصاد الاسلامي دعوة لإقامة سوق إسلامية مشترك، وجوانب مضيئة واقتراحات أخرى جديرة بالدراسة.



نظام الارث الاسلامي وتوزيع الثروة

لو أن الارث في الإسلام كان مقتصرا على وارث واحد، كالابن الأكبر (حسب بعض النظم الوضعية)، لتركزت التركة (الثروة) ولم تنتشر. نظام الارث في الإسلام نظام عائلي، لا نظام فردي، بمعنى أن التركة تتشعب بين أفراد العائلة، ولا تتركز لدى واحد منها، إلا إذا كانت العائلة نفسها لا تتعدى الفرد الواحد، وكان هذا الفرد الوارث وارثا قويا، كالابن أو الأب، كما سيأتي بيانه في مقال د. رفيق يونس المصري الباحث بمركز ابحاث الاقتصاد الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز، ففيه انارة لهذا الجانب المهم من حياتنا الاقتصادية.



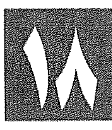
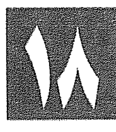
٢٠

اقرأ في الأعداد القادمة

- التراث العربي والاسلامي
  د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- مراكز افريقية للحفاظ على التراث الاسلامي
  محمود بيومي حسن
- تقديم لعلوم الاراضي من ظلال بعض آيات القرآن
  د. محمد احمد عبد المطلب
- الاعلام والصحوة الاسلامية والدور المطلوب
  حسن آيت الحاج
- التجربة والمشاهدة مبدأ أصيل عند المسلمين
  عبد الله بدران
- الأعلام الاسلامي ومشاكل البيئة
  د. بركات عبد العزيز محمد
- بعث الاشعاع الحضاري الاسلامي
  محمد علي وهبة المحامي
- تأديب الولد
  مصطفى بو هلال
- الثقافة الجمالية في الحياة الاسلامية
  محمود محمد الناكوع
- الوجود الاسلامي في جزر البحر المتوسط
  بهيج بهجت سكيك

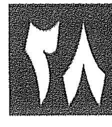
محمد ﷺ القدوة والأسوة

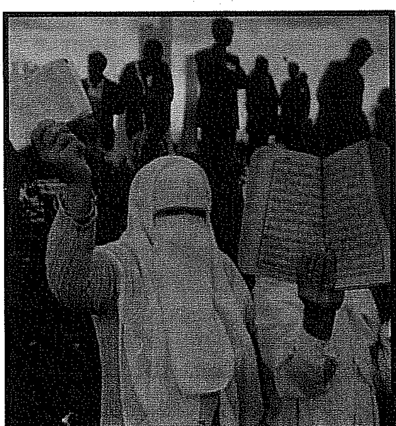
من تتبع آيات القرآن الكريم، وأمعن النظر فيها انتهى إلى رصيد ضخم وثروة لا حدود لها من الثناء والمديح الطيب، والتنويه الذي ليس قبله ولا بعده برسول الانسانية، وخاتم النبيين ﷺ. والدكتور ابراهيم علي ابو الخشب يحملنا لنرى بأم العين سيرة النبي ومكانته الشريفة.

في حركة الحضارة

يتحفنا الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي كعادته بأفكار نيّرة عن حركة الحضارة، وتجدد الحياة، ويناقش مذاهب مفسري ظاهرة حركة الحضارة المتجددة دائماً، مذكراً بالتفسير الإسلامي كما برز في فكر ابن خلدون، ويخلص إلى أن الاسلام هو طوق النجاة بالنسبة لجماهير الامة لا يحيدون عنه مهما حاول الآخرون.

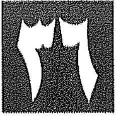






دور المرأة في الصحوة الاسلامية

لم يكرم دين ولا مذهب في الحياة المرأة كما فعل الإسلام، وكانت أهلاً لذلك، وهي المشاركة الحقيقية لجهاد الرجل في عمله ودعوته، وقفت إلى جانب الأنبياء والرسل كما وقفت إلى جانب الصحابة والتابعين، وبرز في صفوف النساء من تفتخر بهن الأمة افتخارها بأعلام الرجال. وفي مقال الأستاذة خديجة علي شعبان المدرسة بمدارس الإيمان في لبنان إيضاح لدور المرأة المسلمة في صفوف الدعوة.

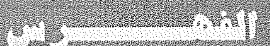




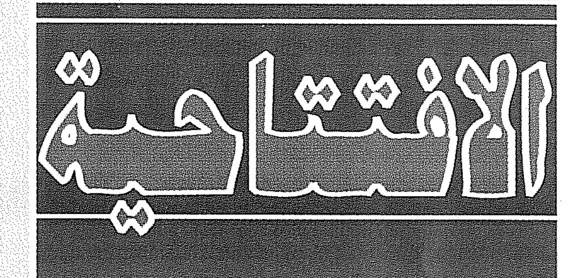
الاقلية المسلمة في بولندا

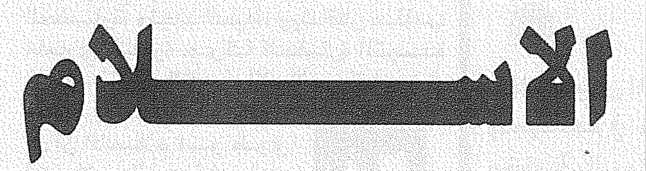
١٢

لاستطيان المسلمين بولندا قصة تاريخية لا تخلو من الطرافة، ولجهادهم في سبيل الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية قصة مخضبة بالدماء، ولمساهماتهم في تاريخ هذا البلد صفحات مشرقة.. عن واقع الأقلية المسلمة وانتشارها وتنظيمها اقرأ بحث الدكتور بوغدان سزاجكوسكي الاستاذ بقسم العلوم السياسية بجامعة اكستر البريطانية.



الفهرس





والعدالة المنشودة

يعيش عالم اليوم خضمّ تحديات ومشاكل متعددة تتفاوت في درجة خطورتها على الحياة الإنسانية ومجتمعاتها بين بلد وآخر، ومنطقة وغيرها، تبعاً للظروف المتعددة المؤثرة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وانعكاس بعض الظروف والإجراءات على مجتمع ما قد يكون أشد تأثيراً من الابتلاء المباشر، فالطوفان قد يؤدي إلى دمار مادي وخراب اقتصادي ونقص مالي كبير على ميزانية المجتمع المُبتلى، ولكنه قد يؤدي بالمقابل إلى بروز روح التعاون والتعاضد بين أبناء المجتمع الواحد، وقد يستيقظ التعاون الدولي من غفوته، ويسترد المجتمع الدولي فطرته السليمة التي ماتت أو كادت تحت ثقل آلاف حالات الاعتداء والاستهتار بالإنسان وقيمته..

تفتقد كثير من مجتمعات اليوم الشعور بالأمن الاجتماعي إضافة إلى ميادين الحياة الأخرى السياسية والاقتصادية والنفسية والعسكرية، وتكاد البسمة تختفي عن شفاه ملايين الأطفال والثكالى والمحتاجين بسبب الرياح العاصفة في مشارق الأرض ومغاربها، فهنا حرب طائفية، وهناك صراع عرقي، وهنالك تمييز عنصري، والكل يئنّ تحت وطأة المطحنة اليومية القاسية، ويبحثون عن حلّ، ويسعون أحياناً إلى ما يزيد في قلقهم ويبعدهم عن شواطيء الأمان بدل أن يقربهم منها..

وفي مثل هذه الأجواء الملبدّة يبحث الجميع عن ركن يأوون إليه، ومخرج يدلجون منه، وتنقسم الدنيا إلى محاور وتكتلات تسعى لتحقيق أعلى نسبة من المكاسب مقابل أقل كمية من البذل والتكاليف، وتعود سنّة التدافع لتلعب الدور الرئيس في الساحة الدولية، ونراوح في أماكننا بين (الشمال) القادر و(الجنوب) المصابر، وبين (الصناعيين) ذوي الإمكانات، وبين الأيدي العاملة الباحثة عن لقمة العيش مغموسة بالغربة والعرق والسهر والمعاناة..

وفي ظل الإسلام لم يعد (الرأسمال) وحده قوّة الأمر والنهي، ولم تعد (المصلحة) وحدها هي الحاكم بأمره في المجتمع، ولم يعد الانتماء العرقي أو القومي أو الحزبي أو حتى الديني وحده هو الفيصل في الحكم والقضاء بين النّاس، فالناس يختلفون في عقائدهم وأجرهم على الله، وهم سواسية في الحقوق العامّة والواجبات تجاه أنفسهم وتجاه المجتمع مهما اختلفت ألوانهم وأديانهم، فرعايا الدولة المسلمة يحظون بنفس الاهتمام وتصلهم حقوقهم، ولا ننسى وقائع في عهد النبوّة والخلافة الراشدة ومن تبعهم بإحسان عن الاقتصاص لليهودي والنصراني المهضوم الحق من الظالم ولو كان مسلماً ومن أقارب الأمير أو حاشيته..

فقد شيّد الإسلام الشخصية الإنسانية السويّة أولاً، وهيأ المسلم ليكون على مستوى الرسالة الإلهية التي يحملها، ويتصدّى لنشرها بين النّاس، وبالتالي كانت الأمّة المسلمة أمة ذات مواصفات خاصة تمكّنها من القيادة والرئاسة بعيداً عن التسلط والجبروت، والفرق كبير بين أن تكون حَكَماً وبين أن تكون متسلّطاً يستعمّل سطوته وقوّته فيطغى وينسى من أي شيء خُلِق، الأمر الذي أوقع نمرود في قوله: ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ واستدرج فرعون حتى قال: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾..

لم يرضَ الإسلامُ لأتباعه في أوج قوّتهم وصعود نجمهم وامتداد ملكهم ليغطي بقاع الأرض طولا وعرضاً أن يكونوا جبّارين في الأرض، يمشون بَطَراً وأشَراً، وإنما أرادهم أن يدركوا قيمة المسؤولية فيرتقوا إلى المعاني والصفات الراقية التي سمى الله تعالى بها نفسَه من الرحمة والكرم والعدل ليكون المجتمع المسلم مجتمع العدالة، فيحقق للإنسان توازناً لا مثيل له بين الروح والجسد، والعقل والعاطفة، والفردية والجماعية، والعفو والقصاص، فلا يطغى جانب على آخر ولا يتجاوز أحدٌ حده الذي ينبغي أن يقف عنده..

ذلك لأنّ صفة (الأمّة الخاتمة) يترتب عليها من التكاليف

ما يبعدها عن أجواء الترف الفكري والمادي، ويقرّبها من الواقع الإنساني المبني على المعاناة والتجربة، فلا تبقى النصوص أسيرة الفكرة المجرّدة، ولا تنحصر الدعوة في منابر الكلام دون منابر التنفيذ، ولا يفتقدك الله حيث يحب أن يراك، أو يراك حيث يكره لك الحضور، ومن ذاق حلاوة الإيمان رفض مرارة الكفر، ومن أصابه سوط التضحية رفض الرقاد المميت، الذي نراه اليوم في كثير من أوصال الأمة وهي تخبط خبط عشواء تبحث عن مخرج..

لقد حثّ الإسلام على ربط المنهجية العالية الموحى بها من السماء بالإنسان، فرداً وجماعة، وأمر بتكوين مجتمع إنساني راسخ بعيد عن فوضى السلوك وانحراف الأخلاق وهبوط القيم، وبنى تشريعه بطريقة فذّة مدعاة للفخر وهو يرشّد كل أسباب السلطة والقوّة، ويهذّب كل النوازع والشهوات، وينمّي كل القابليات والطاقات الكامنة في الإنسان، بحيث يصب كل ذلك فيما يعود على الفرد والجماعة بالخير ضمن إطار الطاعة الخالصة، والنزاهة الكاملة، وفي ذلك أهم مميزات الحضارة الإسلامية..

فالمال في الإسلام ملكية خاصة، ولكن منفعته عامة، والاسلام يحث على التضامن الاجتماعي، والتنمية الاقتصادية التكافلية، لتحقيق مصلحة الفرد والمجتمع في وقت واحد، دون تمييز لتحقيق ربح الافراد على حساب الجماعة، ويحد بالتالي من الأنانية والاندفاع الأعمى لتحقيق المصلحة الخاصّة ولو على حساب المصلحة العامة، وما يصدق هنا على الأفراد يصدق على المجتمعات والدول..

والإسلام يدعو إلى السلم، بأبعاده ومراميه وميادينه، النفسية والفكرية والاجتماعية والغذائية والبيئية والصحية والعسكرية، ولا يقصر ذلك على المجتمع المسلم وحده، بل يأمر بأن يساهم المسلمون في تحقيق (الأمن العالمي) لأننا جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية، ولأننا الأمّة التي لا يصح منها إغفال حقوق الآخرين بحجة الاختلاف معهم في العقيدة والمنهجية، فالاختلاف نفسه ليس مدعاة لهضم حقوق الآخرين ولا طيها تحت حجة الأفضلية والرسالية والوصاية. ويكفي أن يكون الإسلام دعوة عالمية ونظاماً دولياً لتنتفي عنه العنصرية ولحصر آثاره في أتباعه دون غيرهم..

ولقد أقامت الشريعة الإسلامية جميع العلاقات البشرية على قاعدة السلم والأمن، لا الحروب والتصارع، ونهت عن الغدر والخيانة والاستعلاء القائم على الاستهتار والتشفي، وقد جعل اللهُ تعالى معيارَ التميز بين الناس التنافسَ في الخير والارتقاءَ في البذل والعطاء ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن التمثيل بقتلى الحرب وهم من الأعداء الذين أرادوا الكيد للإسلام والنيل من أهله، كما نهى عن إيذاء البيئة بالإحراق والقطع، وإزهاق الحيوان تسليةً للنفس وإشباعاً للغرور..

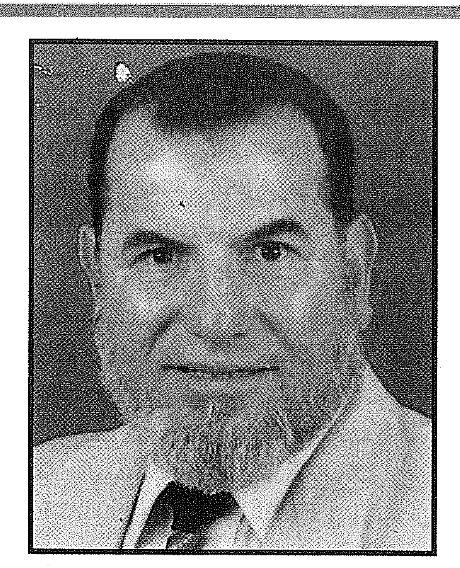
والأصل عند المسلمين الانفتاح على النّاس، «فكلكم لآدم وآدم من تراب» والتعارف ركن مهم من أركان العلاقات الإنسانية العامّة ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ وبذلك تتقلص مساحات الاختلاف وتتسع مساحات التفاهم والانسجام، فإن وقع الخلاف فلا محيص من المحافظة على العهود والمواثيق، وإجارة غير المسلم حتى يبلغ مَأمنه، والتعامل مع الآخرين إتجاراً وبيعاً وشراء، ولقد أجاز الإسلام الأكل من ذبائح أهل الكتاب والزواج من نسائهم، فجعل بين المسلمين وبينهم روابط اجتماعية ومصالح تجارية، تشد المجتمعات بعضها إلى بعض..

ولم يحرّم تعالى الانتفاع مما توصّلت إليه البشرية من ابتكارات وإبداعات بسبب تجاربها، وجعل الحكمة ضالةَ المؤمن أنّى وجدها كان أحق بها، وبذلك حافظ على التراكم الحضاري وربط بين الأجيال والأمم، فكان اللاحق مؤتمناً على تراث السابق ما لم يخالف عقيدة أو يتعارض مع نص شرعي..

إن تميّز أمتنا بالعقيدة الصحيحة، والتشريع القويم، والتمسك بحبل الله المتين في الكتاب والسنّة، والوسطية في كل ما تعمل وما تذر لا يعني انغلاقها على نفسها ولاترفعها على المجتمع البشري بمقدار ما يعني التزامها في حمل دعوة التوحيد والهداية إلى من لم يستتر بنور الإيمان بعد، وهي مأمورة بالتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة لأن الهدف فتح باب الهداية لا غلق باب التفاهم والتواصل، فإن لم تحصل الاستجابة الكاملة فلنحرص على الحد الأدنى الذي يبقي باب الحوار مفتوحاً عسى أن يتحقق في مستقبل الأيام ما لم يقع في ماضيها..

إن البشرية في سعيها لتحقيق الطمأنينة العالمية تحتاج إلى أكثر من القوّة العسكرية الفاعلة المؤثّرة، تحتاج إلى إغلاق أبواب الفتنة وتجفيف منابع الإفساد، وقد عالج الإسلام الأسباب وقدّم ذلك على مسكّنات الأمراض الظاهرة أو الآثار الناجمة، فالأنانية والانغلاق والتقوقع والتخوف من كل جديد، والنظر بعين الريبة إلى كل مستحدَث، وعدم الاطمئنان إلى كل غريب، تشكيك بقدرتنا على التفاعل والتعامل مع خلق الله وعباده من منطلقات إسلامنا الحنيف أكثر مما هو حذر ووقاية..

إن سعي البشرية نحو تحقيق أهداف سامية، وعدالة منشودة، وأمن مطلوب يستوجب منّا حسن الالتزام وحسن العرْض، فكم من دعوة شُوّهت بسبب جهل أبنائها، وكم من بضاعة مزجاة بارت بسبب سوء عرضها، ويكفينا تأدية للأمانة أن نبنيَ مجتمعاً ملتزماً يرى فيه الناس ويلمسون آثار الإسلام على أفراده وجماعاته، وذلك أفضل من أن يسمعوا ما لا يرون، ويقرأوا ما لا يعايشون، والله غالب على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.



الدكتور حسين شحاته الأستاذ بجامعة الأزهر ورئيس جمعية الاقتصاد الإسلامي أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصرين وكان له دوره في أسلمة العلوم التجارية وتدريس علم المحاسبة من منظور إسلامي كما له مؤلفات رائدة في مجال الاقتصاد الإسلامي وفي إصدار مجلة «الاقتصاد الإسلامي» من مكتبه بالقاهرة ومن أهم مؤلفاته «منهج الإسلام في الأمن والتنمية» و«التوجيه الإسلامي لعلم المحاسبة» وقد أكد في حواره معنا أن الأمة الإسلامية تعاني العديد الأمراض الاقتصادية رغم أنها تملك كل عناصر القوة الاقتصادية وكل عوامل الإنتاج، كما أن كثيرا من دول العالم الإسلامي تعاني من مشكلة الفقر.. وقد وضح في حوار معنا ملامح المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية وفيما يلي نص الحوار:

الدكتور حسين شحاتة للوعي الإسلامي

الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر القوة الاقتصادية في مواجهة التحديات العالمية

أجرى الحوار: خالد محمد خلاوي

● في رأيكم ماهي أهم التحديات الاقتصادية التي تواجه العالم الإسلامي حاليا؟

●● الأمة الإسلامية يجب أن تتوحد وتتكافل وتتعاون وتتضامن ضد أعدائها، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لأن الكافرين والصليبيين واليهود والمجوس كلهم أولياء بعض ضد المسلمين وأنهم يخططون ليلا ونهاراً ليبعدونا عن عقيدتنا ويستولوا على خيرات أمتنا الإسلامية التي كانت في رغد العيش وتعيش في أمن واستقرار وأصبحت الآن تواجه التحديات العالمية ممثلة في التكتلات الاقتصادية المختلفة، كما أن الأمة الإسلامية تعاني العديد من المشاكل الاقتصادية نذكر من أهمها:

عدم استغلال الطاقات الطبيعية التي وهبها الله للبلاد الإسلامية.

ابتزاز أموال المسلمين واستثمارها في دول غير إسلامية، ومن أصعب المشاكل التي تقابل الأمة الإسلامية في هذه الأيام هي القدرة على إدارة وتشغيل الأموال بطريقة إسلامية تحقق الخير والرفاهية للأمة الإسلامية وتطبيق مبدأ «أموال المسلمين للمسلمين» وأيضا توجيه أموال المسلمين لاستثمارها في مجالات هدامة مثل الحروب وأيضا مشروعات اقتصادية هدامة لا تحقق تنمية اجتماعية اقتصادية مثل مشروعات السجائر والبيرة والسينما وترتب على ذلك خلل في هيكل النظام الاقتصادي وظهور مشكلات الخدمات.

ومما يزيد من حدة المشاكل الاقتصادية هو الاختلافات والصراعات والحروب المنتشرة في العالم الإسلامي.

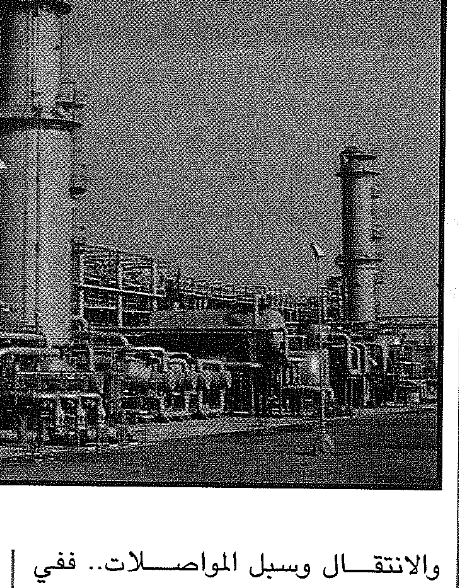
ويضيف د. حسين: إن تشتت الأمة الإسلامية إلى فرق كفيل بأن يهدم اقتصادياتها وتصبح ضعيفة.. ويمكن للعدو أن يأكل منها ما يشاء.

● وهل تملك الأمة الإسلامية من القوة ما يمكنها من مواجهة هذه التحديات؟

●● لقد منّ الله – عز وجل – على الأمة الإسلامية بنعم كثيرة لا تحصى ولا تعد ومنها نعمة القوة الاقتصادية –

● التوجيه الإسلامي للعلوم التجارية فريضة ومن مقاصد الشريعة الإسلامية

● وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العلمية الجادة لمعالجة مشكلة الفقر



المادية - والبشرية، وظلت هذه القوة حتى الآن تستثير لعاب الشرق والغرب ويخطط لها من الخطط الذكية لنهبها واغتصابها، ومن عناصر هذه القوة الاقتصادية نذكر:

أولا: الإنسان المسلم التقي الخلوق المقدام الذي حول الصحراء إلى جنات وشق الأنهار وعبّد الطرق وعبر المحيطات بقيمه ومثله، وحقق الفتوحات الإسلامية ونشر الخير في كل مكان.. وعندما استشعر أعداء الإسلام بقوته حطموه بالفساد العقائدي والانحلال الأخلاقي وبالانحراف السلوكي إلا ما عصم ربي، وكان تركيزهم على فئتين أساسيتين هما: الشباب، والمرأة، لأنهما مصدر القوة الاقتصادية والاجتماعية.

ثانيا: الموارد الطبيعية : فلقد سخّر الله - عز وجل - للأمة الإسلامية ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما الأنهار والبحار والجبال المليئة بالخيرات، والصحراء الخبيئة بالمعادن والأجواء الطيبة والمواقع الممتازة فيوجد لدى الأمة الإسلامية المعادن والغازات ويوجد لديها وسائل النقل والانتقال وسبل المواصلات.. ففي السودان ومصر والعراق والشام الأرض الخصبة والمياه، وفي السعودية والكويت ودول الخليج البترول والمعادن والمال، وكذلك الحال في بقية الدول الإسلامية.

ثالثا: المال : هو عصب الحياة، وهو نعمة إذا سخر في طاعة الله وهو نقمة إذا سخر لخدمة الشيطان، ولا توجد أمة أغنى من الأمة الإسلامية مالا، وهذا بشهادة رجال المال والإحصاء في العالم.

■ الاقتصاد في الإسلام مرتبط بالقيم الإيمانية والأخلاقية السامية

● ذكرت من عناصر القوة الاقتصادية الإنسان المسلم فهل في هجرة القوى البشرية الفنية إلى خارج بلاد المسلمين تأثير على اقتصاد الأمة؟

●● الإنسان يعتبر رأس المال الأساسي لهذه الأمة، ولقد وهب الله سبحانه وتعالى هذه الأمة عقولا بشرية طيبة متخصصة في كافة مجالات الحياة وهي تستطيع أن تخطط وتبرمج وتنفذ المشروعات الاقتصادية التي تحقق لها السعادة.

ولكن للأسف الشديد لقد هاجرت هذه العقول إلى خارج البلاد الإسلامية واستفاد منها غير المسلمين، وربما يرجع سبب الهجرة إلى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها بعض الدول الإسلامية، وأيضا مغريات المدنية الغربية والإمكانات الاقتصادية الموجودة هناك.

وترتب على ذلك حرمان البلاد الإسلامية الاستفادة الطاقات العلمية للشباب والعلماء المسلمين.

● تعاني كثير من دول العالم الإسلامي من مشكلة الفقر ونقص الموارد الاقتصادية نتيجة الحروب وغيرها من الأسباب فما هو المنهج الإسلامي لمعالجة مشكلة الفقر والجوع؟

●● لقد وضع الإسلام مجموعة متكاملة من الوسائل العملية الجادة لمعالجة مشكلة الفقر على مستوى الفرد والدولة منها على سبيل المثال مايلي:

الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر القوة الاقتصادية في مواجهة التحديات العالمية

١ - العمل الجاد والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ [الجمعة/١٠]. ويقول الرسول ﷺ: «ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده».

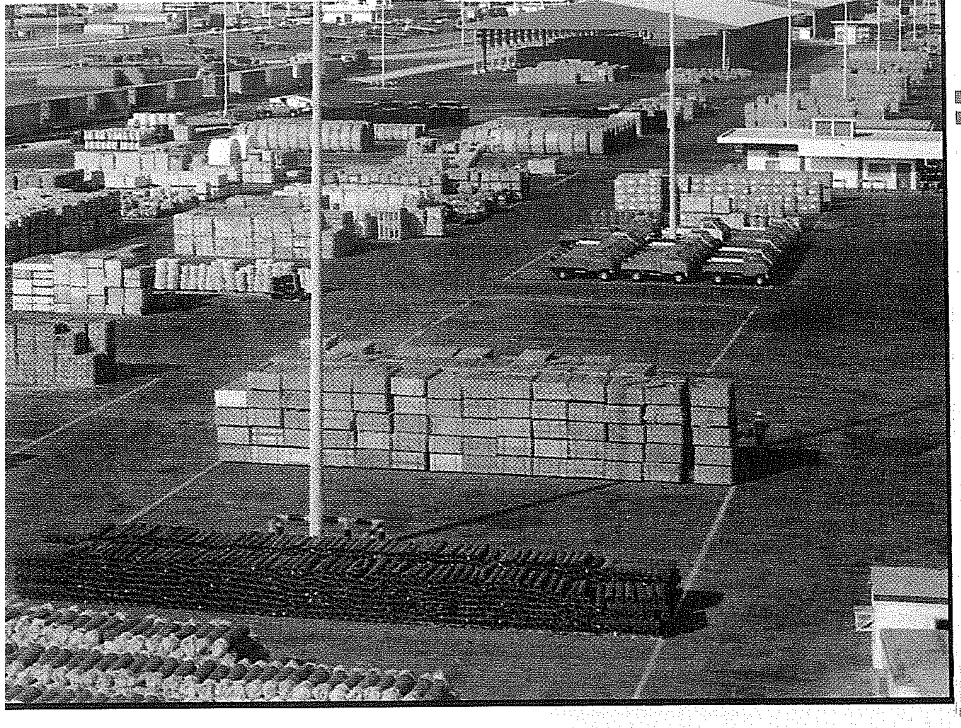
فالعمل في الإسلام من موجبات الحصول على الرزق الحلال الطيب ولا يجوز للفرد أو الدولة أن تعيش عالة حتى لا يفقدوا حريتهم وعزتهم..

٢ - الهجرة والضرب في الأرض ابتغاء الرزق الحلال الطيب، ولقد أمرنا الله بذلك فقال تعالى: ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ﴾ [النساء/١٠٠]، ويقول الرسول ﷺ: «سافروا تستغنوا» رواه الطبراني..

ويلاحظ أن الأمة الإسلامية مليئة بالخيرات والطيبات فلماذا لا يهاجر المسلم الفقير من بلد إلى بلد للعمل وابتغاء الرزق الحلال الطيب لمعالجة فقره بدلا من أن يعيش عالة على الناس أعطوه أو منعوه.

٣ - التعاون بين الأقطار الإسلامية في الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، ولا يجوز أن يكون هناك أنانية وتسلط من دولة إسلامية غنية على هذه الموارد وتحرم منها دول إسلامية فقيرة. وهناك أساليب عملية لمعالجة مشكلة الفقر تتحقق بالتعاون بين الأقطار الإسلامية جميعا.

٤ - كما أن نظام الصدقات والكفارات ونظام التكافل الاجتماعي من أبرز سمات المنهج الإسلامي لمعالجة الفقر علاجا كريما طيبا والذي طبق في صدر الدولة الإسلامية وحقق حد الكفاية للمسلمين.. ما أشد احتياجنا إليه في معالجة مشكلة فقرنا.



■ تمتلك البلاد الإسلامية كل عوامل الإنتاج اللازمة لإنتاج كل مقومات الحياة

● وما ملامح المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية؟

●● المنهج الإسلامي للخروج من الضعف الاقتصادي للأمة الإسلامية يقوم على الموجبات الآتية؟

١) الفهم الصحيح للإسلام ومن أساسياته الاقتصادية العمل والجهد والاجتهاد طاعة لأمر الله تعالى الذي يقول: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة/١٠٥].

٢) التوازن بين الإيمان والعمل فلا يطغى أحدهما على الآخر.

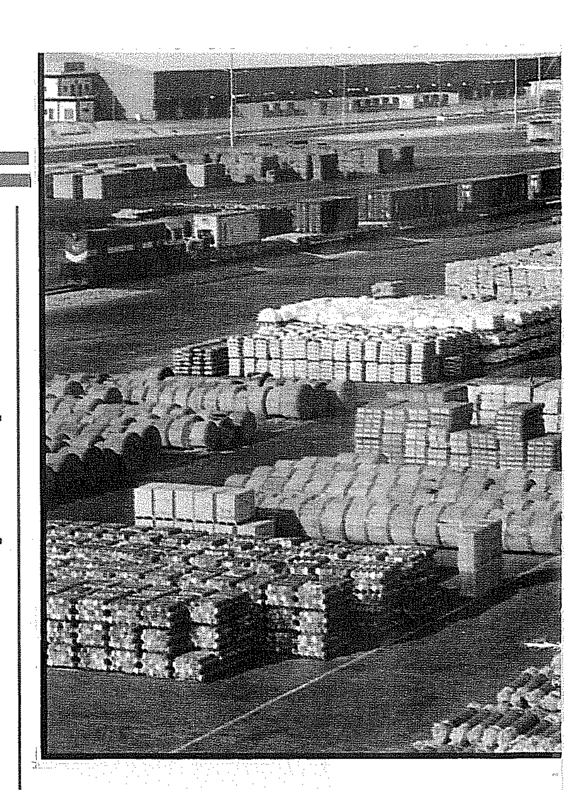
٣) التعاون والتكامل بين أفراد الأمة الإسلامية وجعله الله - عز وجل - غايتهم جميعا وهذا هو أمره الذي قال: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الانبياء/٩٢] ولا نتنازع فنفشل ونضعف ويصدق علينا قول الله: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ [الأنفال/٤٦]. وتربية الأمة على معاني التضحية والفداء.

٤) عدم الولاء لأعداء المسلمين على حساب المسلمين مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ [المائدة/٥٢] ولكن لا يمنع ذلك أن يكون بيننا وبينهم معاملات.. ولكن تكون الدول الإسلامية هي الأولى بالرعاية والمعاملة، فاحرص يا أخي أن تضع غرسك في يد أخ مسلم.

٥) التكافل الإسلامي بين الدول الإسلامية الغنية والفقيرة.

● العالم الآن يشهد عصر التكتلات الاقتصادية فهل يمكن تواجد تكتل أو تجمع اقتصادي إسلامي؟

●● إن أفضل أمة ظهرت على وجه الأرض هي الأمة الإسلامية والتي قال عنها ربها: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران/١١٠] فهذه الأمة تتحد في وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القبلة ووحدة الدستور ووحدة المنهج ووحدة التاريخ ووحدة المصالح ووحدة المصير



أدعو الاقتصاديين إلى تأسيس السوق الإسلامية المشتركة في مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية

والوحدة الاقتصادية أو التضامن الاقتصادي وا جب على المسلمين جميعا وتمتلك الأمة الإسلامية كل أسباب الوحدة الاقتصادية وكل عوامل الإنتاج الأساسية التي لو استغلت استغلالا رشيدا في ضوء قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية لحققت للمسلمين الحياة الطيبة الرغيدة في الدنيا ولأصبحت القوة الاقتصادية درعا منيعا للمحافظة على المسلمين وعلى أراضيهم.

كما أن هذه المقومات أو عوامل الإنتاج موزعة على الدول الإسلامية بحيث تحقق التكامل الاقتصادي.. والتكتل الاقتصادي الإسلامي المطروح الآن، هو السوق الإسلامية المشتركة وادعو كل الاقتصاديين الإسلاميين في العالم الإسلامي أن يؤسسوا السوق الإسلامية للأمة الإسلامية حتى تكون خيرات المسلمين للمسلمين.

السوق الإسلامية مطلب شرعي لأنه واجب، (فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، وما الحدود المصطنعة بين الدول الإسلامية إلا من صنع أعداء الإسلام.

● وماذا ترون في السوق الشرق أوسطية المطروحة الآن على الساحة؟

●● إن غاية الاقتصاد الإسلامي تعمير الأرض لتحقيق الخير للناس ليعيشوا حياة كريمة رغدة تمكنهم من عبادة الله عز وجل، فالاقتصاد في الإسلام مرتبط بالقيم الإيمانية والأخلاقية السامية، ولذلك حرّم الله عز وجل الاحتكار والغش والغرر والجهالة والتدليس والتطفيف والرشوة والربا والاستغلال والمكوس.. وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل ولقد نبه رسول الله ﷺ على ذلك، فقال: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» [رواه البخاري].

فإذا كانت الغاية الأساسية من السوق الشرق أوسطية ذلك وكانت أساليبها مشروعة، فلا حرج منها، وبذلك تسمى سوقا إسلامية ولكن الواقع والمتوقع أن تكون سوقا صليبية صهيونية يسيطر عليها اليهود، فمن دراسة وتحليل كل ما نشر عن مقاصد وغايات هذه السوق هو التحكم في أموال المسلمين وتكون تحت هيمنة أمريكا واليهود والغرب، وبذلك يكون هو الاستغلال الاقتصادي بعينه.

● من خلال تجربتكم في تدريس علم المحاسبة من منظور إسلامي كيف يمكن أسلمة العلوم التجارية؟

●● العلوم على اختلاف أنواعها في حاجة إلى التوجيه الإسلامي لتكون لنفع الإنسان وليس لضرره وتكون للبناء وليس للهدم، وهذا أمر فرضه الإسلام علينا فالتوجيه الإسلامي للعلوم يعتبر فريضة ومن مقاصد الشريعة وعلم المحاسبة (الحساب) ويطلق عليه في كتب الفقه الإسلامي علم كتابة الأموال، من العلوم الاجتماعية المحمودة، وكان موجودا عند العرب قبل الإسلام، وجاء الإسلام وصوره وحسّنه ووجهه توجيها إسلاميا في ضوء ماورد بمصادر الشريعة الإسلامية ونزلت أطول آية في القرآن لتضع قواعده الكلية، والتي تعتبر بمثابة الدستور الحقيقي لمهنة المحاسبة..

ومع ظهور الصحوة الإسلامية في كافة مجالات الحياة ولا سيما انتكاس المادية والعلمانية وعجزها عن الوفاء بالإشباع الروحي للإنسان، ظهرت هناك حاجة ملحة لإعادة النظر والدراسة والتقويم في العلوم جميعا سواء أكانت تجريدية أم اجتماعية إنسانية وتجري لها توجيها إسلاميا يأخذ نواحي واتجاهات متعددة، فمنها من يبحث عن أصوله في الإسلام، ومنها من نستفيد من نتائجه العلمية في إبراز عظمة الله وتقوية القيم الإيمانية عند الطلاب والمطبقين، ومنها توجيه النتائج التي توصل إليها في خدمة البشرية وتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية.

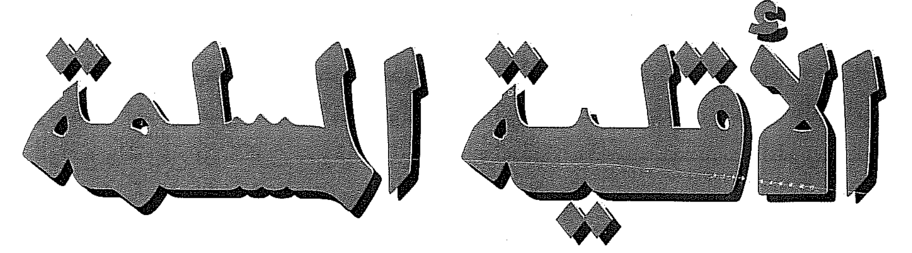
كما أن هناك ضرورة شرعية لاستقراء الجوانب التطبيقية للفكر المحاسبي الإسلامي في صدر الدولة الإسلامية وكيف انتشر في كثير من البلدان ومنها دول أوروبا عن طريق المفكرين المسلمين والتجار العرب، ولا يجب أن نبخس الحضارة الإسلامية دورها في نشر المعرفة الحميدة النافعة ليس فقط في مجال العبادات بل أيضا في مجال المعاملات ■

ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٨م، وقام بها (طارق بوتزاتسكي)



مخيم تربوي لأبناء المسلمين

يشكل المسلمون إحدى أقل الجماعات الدينية في بولندا، وتتكون الأقلية المسلمة من ثلاث فئات كل منها لها تاريخ مميز وعادات خاصة بها ومكانة مميزة في المجتمع البولندي، وأولى تلك الفئات هم (التتار) (وليسوا المنغوليين) أو بمعنى أدق البولنديون من أصل تتري، وتتميز تلك الفئة بأنها تمثل جزءا من التاريخ البولندي والتراث الثقافي والديني لبولندا منذ القرن الرابع عشر. أما الفئة الثانية فتمثل (القادمون الجدد من البلاد العربية)، ممن قدموا بهدف الدراسة في مستهل السبعينات، وتزوجوا في بولندا واستقروا فيها، وأما الفئة الثالثة فهم المهاجرون المسلمون الذين رحلوا إلى بولندا حديثا من (البوسنة والهرسك) بعد أن مزقتها الحروب..





بقلم: د. بوغدان سزاجكوسكي
*Dr. Bogdan Szjakoski

ترجمة: محمد عبد الرحمن السعلة

ولا يمكن الوصول لأرقام دقيقة عن تعداد الأقلية المسلمة في بولندا، حيث تختلف التقديرات التي توردها المصادر البولندية فيما بين (١٨٠٠) نسمة، إلى (٣٠٠٠) نسمة، ولكن المصادر غير البولندية تذكر أرقاما أكبر من ذلك تصل إلى (١٥٠٠٠) نسمة أو (٢٢٠٠٠) نسمة، وكل من الرقمين مبالغ فيه حتى لو أخذنا بعين الاعتبار تعداد المسلمين

*الأستاذ بقسم العلوم السياسية - جامعة أكستر (بريطانيا)

الوافدين إلى بولندا ويقيمون فيها بصفة مؤقتة، ويعكس نقص البيانات الدقيقة عن تعداد المسلمين البولنديين ضآلة المعلومات الموثقة عن الاتجاه الديني السائد في بولندا، خاصة أن الاحصائيات التي جرت خلال فترة الحكم الشيوعي لم يرد بها أي استفسار أو سؤال عن الانتماء الديني، ومن ثم فإن كافة الفئات الدينية استندت في تقدير عدد الأعضاء بناء على التخمين أو التقديرات الجزافية، ورغم ذلك فإنه بالنسبة للجماعات الصغيرة كالمسلمين يمكن الوصول إلى تقديرات معقولة ومقنعة من مشاهدة الحاضرين في المناسبات الدينية، والمسجلين كأعضاء في الهيئات الاجتماعية والدينية والثقافية..

وبناء على البيانات الحالية المتوفرة يمكن أن نستنتج أن الرقم الدقيق والأقرب للصواب لتعداد المسلمين البولنديين هو حوالي (٣٠٠٠) نسمة، وينتمي أغلبهم للمذهب السني. على أن الغالبية العظمى من المسلمين البولنديين هم من التتار، رغم وجود عدد ضئيل من البولنديين المهتدين حديثا للإسلام، عقب عودتهم إلى وطنهم بولندا بعد قضاء فترات من العمل في دول الشرق الأوسط والخليج العربي، وحيث إن المهتدين الجدد يمثلون عددا ضئيلا ولا ينتمون لأصل عرقي أو اجتماعي، فإن هذا البحث سوف يركز على جماعة التتار الذين يشكلون غالبية المسلمين البولنديين..

الجالية التتارية

وقد استقر التتار في مملكة بولندا، وليتوانيا في القرن الرابع عشر، حيث ورد أول ذكر للتتار في سرد تاريخي عام ١٣٢٤م من قبل المؤرخ (لوكاس واديجا)، وطبقا لما أورده مؤرخ بولندى آخر وهو (جان دلوجوس) في القرن الخامس عشر، عندما كان دوق ليتوانيا (ويتولد) في عام ١٣٩٧م - خلال رحلاته إلى نهر النوبي - يأسر «آلاف» التتار، وينقلهم مع عائلاتهم للاستقرار في بلاده..

وقد حارب التتار إلى جانب الجيوش البولندية والليتوانية إبان الحروب وخاصة في معركة (جرونوالد) في شرق بروسيا عام ١٤١٠م ضد النظام الجرماني، ومنذ عام ١٤١٢م قام الدوق (ويتولد) ببناء سلسلة من الحصون المنيعة على الضفة اليمنى لنهر (دنيبر) وزودها بالجنود المرتزقة من التتار، ومع توالي الأيام انضم إلي تلك الجماعات المقيمة على الحدود أعداد من الفلاحين السلاف وغيرهم من طريدي العدالة الذين عاشوا مع التتار واكتسبوا أسلوب حياتهم، وقامت تلك الحاميات بصد غارات النظام الجرماني ضد ليتوانيا..

وعلى مدى القرون الثلاثة التالية انضم الكثير من التتار لأسلافهم الأول، وأغلب تلك الجماعات كانت تأتي من القرم، ولكن توالي المجاعات والأوبئة والصراعات الداخلية دفعت أعدادا كبيرة من النبلاء التتار إلى ترك ديارهم والاستقرار في الأراضي البولندية، وخاصة حول عاصمة ليتوانيا وهي (فيلينوس)، وعلى سفوح جبال (تاترا) في جنوب بولندا، وفي منطقة (لوبلان)، ونال هؤلاء الأفراد حقوقا مساوية للمواطنين البولنديين والليتوانيين فيما عدا ممارسة الأنشطة السياسية، وقد اكتسب التتار شهرة وخبرة حربية وقتالية، ولذا فقد خدموا كوحدات خاصة إما مع القوات الملكية أو الجيوش الخاصة لحكام المقاطعات..

وكان النبلاء من التتار يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي يحظى بها النبلاء من أصل بولندي، وفي مقابل خدماتهم للتاج البولندي، حصلوا على الرتب الرفيعة والاقطاعيات الشاسعة، أما الآخرون من العامة فقد سكنوا في القرى وأقاموا في المدن الصغيرة واكتسبوا شهرة خاصة في تجارة وتربية الخيول وزراعة الحدائق والبساتين والحرف المختلفة، وفي عام ١٥٦٩م منح برلمان النبلاء تفويضا رسميا للتتار بإنشاء المساجد وبناء المدارس..

وقد بلغ تعداد التتار في عام ١٥٩١م قرابة (٦٠) إلى (٧٠) ألف نسمة ولهم حوالي (٤٠٠) مسجد، وطبقا لتعداد عام ١٦٣١م في عهد الملك (سيجموند) الثالث وصل تعداد التتار في بولندا إلى حوالي (١٠٠) ألف نسمة، وأورد المؤرخ التركي (إبراهيم باشا) الذي توفى عام ١٦٤٠م تفاصيل عن التتار منها انهم أقاموا في (٦٠) قرية أو مستوطنة..

وقد تمتع التتار بالتسامح الديني وأقاموا علاقات مع المراكز الإسلامية في الخارج، واكتسبت طبقة النبلاء البولنديين كثيرا من عادات التتار بل وأصبحت تلك العادات تمثل جزءا من تقاليد النبلاء البولنديين، خاصة ما يتعلق منها بالملابس الطويلة، وقبعات الفراء، والسيوف المعقوفة وتعود كلها لما اعتاد عليه التتار القامون من القرم..

وفي نهاية القرن السابع عشر، وجد الملك (سوبسكي) نفسه غير قادر على سداد مرتبات الضباط والجنود التتار لفترة ثلاث سنوات متتالية، ولذا قرر في عام ١٦٧٩م أن يمنح الجنود التتار تسع قرى من الأملاك التابعة للدولة عوضا لهم عن حقوقهم المتأخرة..

وخلال القرن السابع عشر، فقد التتار لغتهم الأصلية واستخدموا اللغة البولندية أو اللغة المحلية لروسيا البيضاء، ورغم إقامة التتار واستقرارهم في مناطق خاصة بهم، إلا أنهم ومن خلال التزاوج والاختلاط بالمواطنين البولنديين اكتسبوا القيم والعادات البولندية، وخاصة لتزايد الاضطهاد الديني في نهاية القرن السابع عشر وحظر بناء المساجد، ولكي يفقد التتار هويتهم الأصلية تزايد الضغط عليهم بحرمانهم من الزواج من المواطنين البولنديين حيث كانت عقوبة المخالف هي الإعدام، لكن تلك العقوبة كانت تخفف ولا تطبق لمن يتخلى عن تراثه ومعتقداته من التتار..

وفي عام ١٧٩٥، بعد تقسيم بولندا وانتهاء الدولة البولندية، انضم التتار إلى جانب البولنديين للنضال من أجل الحصول على الاستقلال، وأقسم التتار بالقرآن الكريم على الولاء لبولندا في حضور إمامهم، وكان إمام التتار حينئذ هو (ستيفان موكورسكي) الذي حثهم

الأقلية المسلمة في بولندا

على القتال لاستقلال بولندا، وأكد لهم أن التتار يتساوون في الحقوق مع البولنديين وأن من واجبهم الدفاع عن بلادهم، وفي عام ١٨٠٧م، ألغيت القيود المفروضة على التتار في دوقية وارسو (١٨٠٧ – ١٨١٥م)، وكان هذا الإلغاء بمثابة اعتراف بوطنية التتار للدفاع عن الدولة البولندية، كما قاموا بدور هام خلال حملة نابليون بونابرت إلى روسيا عام ١٨١٢م، والانتفاضات الوطنية التي قامت ضد الروس في عام ١٨٣٠م، وعام ١٨٦٣م، ولهذا كان التتار مضطهدون إبان فترة الحكم القيصري لبولندا..

وطنية أبناء الجالية ودورهم المشرف

وفي القرن الثامن عشر، لعب إمام المسلمين في بولندا دورا رئيسيا داخل وخارج صفوف الجالية، حيث كان يؤم المسلمين في المناسبات الدينية، إضافة لما كان يقوم به من مهام ومسؤوليات مدنية، وقد كان الإمام يؤم المسلمين لأداء الصلاة، ويتولى رعاية شؤون المسلمين، ويقوم بتسجيل عقود الزواج والميلاد ويصدر الشهادات اللازمة. وظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم عام ١٨٥٨م، وقام بها السيد (طارق بوتزاتسكي)..

وقبل الحرب العالمية الأولى، بلغ تعداد التتار المقيمين على أراضٍ تدخل في نطاق بولندا المستقلة حديثا – وفقا لأحد المصادر – حوالي (١٥) ألف نسمة، غير أن أحد المصادر الأخرى يذكر تعداد الأعضاء المسجلين في (اتحاد التتار) الذي تأسس قبل عام ١٩١٧، ليضم في عضويته التتار في بولندا، ليتوانيا، وروسيا البيضاء حوالي (١٣) ألف نسمة، وفي عام ١٩١٧م، هاجر كثير من التتار المقيمين في ليتوانيا ومملكة بولندا – التي أصبحت في عام ١٩١٨م جزءا من بولندا – إلى القرم وأذربيجان بناء على وعود بلشفية بمنح حق تقرير المصير للأقليات العرقية..

وخلال الحرب العالمية الأولى، حارب التتار في صفوف القوات البولندية، وأظهروا وطنية وحماسا منقطع النظير، مما أذهل البولنديين وغير البولنديين الذين أقروا وطنية التتار وأعجبوا بها، وعندما حصلت بولندا على استقلالها وسيادتها في عام ١٩١٨م، كان هناك عدد قليل من المناطق التي يقيم فيها التتار في المقاطعات الشمالية الشرقية في نطاق حدود بولندا، وبلغ تعداد التتار في تلك الأقاليم حوالي (٥٤٢٥) نسمة، وفي عام ١٩٢٥م، عقد أول مؤتمر عام للمسلمين في فيلينوس وتم اختيار السيد (يعقوب زنكوتش) الذي يحمل شهادة الدكتوراه في الدراسات الشرقية لمنصب المفتي العام للمسلمين في بولندا، وجرى في نفس عام ١٩٢٥م تأسيس الاتحاد الثقافي الاجتماعي للتتار في (وارسو)، وقام هذا الاتحاد بنشر مجلة باسم (حولية التتار)، كما نشر دورية تحت عنوان (حياة التتار) وخلال الفترة بين عامي ١٩٣٦م وعام ١٩٣٩م كان الجيش البولندي يضم فرقة خاصة للفرسان التتار..



● صف مدرسي اسبوعي للناشئة

أباد النازيون في عهد احتلالهم لبولندا الطبقة المثقفة من المسلمين التتار انتقاماً من وطنيتهم وحماسهم في الدفاع عن بلدهم

وفي عام ١٩٣٦م، صدر مرسوم خاص يسمح بتأسيس (الاتحاد الديني للمسلمين) في جمهورية بولندا، وتبعا لبنود هذا المرسوم وضعت المناطق الإسلامية البالغ عددها (١٩) منقطة، والمساجد وعددها (١٠) مساجد تحت إشراف المفتي العام للمسلمين، وكان لكل منطقة إمام ومجلس خاص ومسجد ومقبرة خاصة بالمسلمين..

النازيون يبيدون المسلمين

وخلال الحرب العالمية الثانية، أباد النازيون أهل الفكر والطبقة المثقفة من التتار بسبب الكفاح المشرف لكتيبة التتار ضد الجيوش الألمانية الغازية لبولندا في سبتمبر من عام ١٩٣٩م، وبعد الحرب العالمية الثانية، لم يتبق من القرى التي سبق أن منحها الملك (سوبسكي) للتتار سوى قريتين (بوهونكي وكروزنياني)، ونتيجة لإعادة رسم الحدود البولندية وتراجعها لمسافة ٥٠٠ كم غربا، فإن معظم مناطق التتار أصبحت في نطاق الاتحاد السوفييتي السابق، ولكن عددا من التتار الذين كانوا يقيمون في المناطق السابقة استقروا في أقاليم بولندا الغربية والشمالية الغربية، وهذا يعني فقدانهم لممتلكاتهم وتراثهم الديني الثقافي ومساجدهم ومقابرهم التي خلفوها وراءهم، ولم يتبق إلا منطقة (بوهنكي) ومنطقة (كروزنياني) وكلاهما في الشمال الشرقي لبولندا اللتين احتفظتا بمساجدهما ومقابرهما، أما التتار الذين كانوا يقيمون في مناطق أخرى فقد تشتتوا في انحاء متفرقة من البلاد، ولم يعد لهم أماكن خاصة للعبادة أو هيئات تلم شملهم، وكان لهذا الوضع أثر سيىء على القيم الدينية والعرقية للتتار المسلمين..

استعادة النشاط والبناء الداخلي

وفي عام ١٩٦٩م، بدأ العمل لاتخاذ خطوات جادة لإعادة بناء الهيكل التنظيمي للمسلمين في بولندا، وسمحت الحكومة في نفس العام بعقد أول مؤتمر عام للمسلمين البولنديين لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وانبثق عن هذا المؤتمر تشكيل (الاتحاد الديني للمسلمين في بولندا)، وكان لهذا الاتحاد مجلس إدارة يتألف من خمسة أفراد من المسلمين، برئاسة واحد منهم، وكان هذا الاتحاد بمثابة (المتحدث الرسمي) للأقلية المسلمة والمشرفة في بولندا، وفي عام ١٩٧١م أنشأت الحكومة مكتب الشؤون الدينية الذي كان يشرف على النشاطات الدينية لدى المسلمين..

ومنذ ذلك التاريخ، تم صيانة وبناء المساجد في مناطق التتار القديمة وهما منطقتي (بوهنكي وكروزنياني) من المنح المقدمة من دول الخليج العربي، وفي عام ١٩٨٤م وضع حجر الأساس لإنشاء مسجد جديد في (جادانسك) وهو أول مسجد يقام في بولندا منذ قرابة ١٩٢م عاما، ويضم المبنى مكتبة ومدرسة لتعليم اللغة العربية، إضافة إلى قاعة للمناسبات الدينية، ويقع المسجد على مقربة من كنيسة تتبع إحدى الطوائف الكاثوليكية الرومانية، ولا غرو أن يختلط صوت الإمام وهو يؤذن مناديا للصلاة مع صوت أجراس الكنيسة التي تدعو المسيحيين لإقامة قداس لهم..

التواصل الحضاري مع العالم الاسلامي

وخلال عقد الثمانينات، بدأ المسلمون البولنديون إقامة علاقات أوثق مع العالم الإسلامي، ففي عام ١٩٨٤م زار مفتي لبنان السيد/ حسن خالد رحمه الله بولندا لأول مرة، وعقب تلك الزيارة قام وفد آخر من رابطة العالم الإسلامي برئاسة نائب الأمين العام الشيخ محمد ناصر العبودي بزيارة أخرى لبولندا، حيث قام الوفد بلقاء التجمعات الإسلامية، وتأثر أعضاء الوفد بالمسجد المقام في (بوهنكي)، وكان من آثار تلك الزيارة توجيه الدعوة لعدد من المسلمين البولنديين لأداء فريضة الحج وزيارة مكة المكرمة في موسم الحج من العام التالي..

كما قدمت المملكة العربية السعودية عددا من المنح الدراسية للطلبة المسلمين لاستكمال الدراسات الإسلامية، وفي عام ١٩٨٨م قام الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبد الله عمر نصيف بزيارة بولندا، إلا أن المسلمين البولنديين قابلوا محاولات المسلمين لإقامة علاقات معهم بشيء من التحفظ، ورغم وجود روابط دينية قوية مع المجلس الإسلامي في سراييفو، فإن زيارات القادة المسلمين من دول الشرق الأوسط كانت ذات معنى رمزي وكانت ذات مغزى ثقافي أيضا..

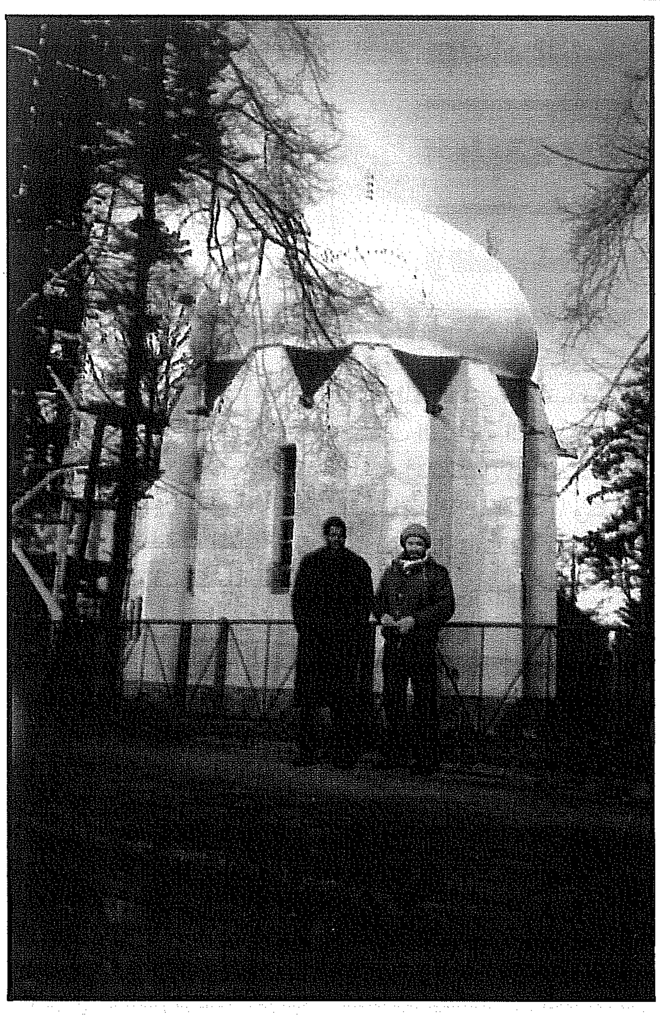
وفي عام ١٩٩٢م أعيد تأسيس (اتحاد التتار البولندي) ، وكان تأسيسه بمثابة تأكيد للتراث الطويل للتتار في بولندا، كما يعطي انطباعا مؤثرا للتتار البولنديين وارتباطهم مع بولندا.. وفقا لميثاق الاتحاد، فقد أعيد تأسيسه «إحياء للذكرى وتأكيدا لتواصل تاريخ الأجداد من التتار المسلمين الذين استقروا في جمهورية بولندا، منذ ستة قرون ماضية، منحتهم خلالها الأرض والسيادة. وضمنت لهم حرية العمل وكافة الحقوق المدنية الأخرى.. وأصبحت موطنا.. وللأبد سيظل التتار مخلصون لبولندا، وقد سبق لهم أن كرسوا خدماتهم لا في المجال العسكري فحسب، ولكن في كافة مجالات الحياة العامة بما فيها العلوم

الأقلية المسلمة في بولندا

والسياسة والزراعة والفنون. ووفاء لذكرى الآباء والأجداد، وبطولاتهم وحبهم لهذه الأرض، نعيد تأسيس (اتحاد التتار البولندي)..

مناطق الانتشار الاسلامي

ويعيش أغلب المسلمين البولنديين حاليا في ست مناطق، أقدمها: بوهنكي، كروزنياني، وارسو، أما المسلمون الذين وجدوا أنفسهم في عام ١٩٤٥م يقيمون في الاتحاد السوفييتي السابق ثم أعيد ترحيلهم إلى بولندا، فإنهم يقيمون في (جادانسك) وهم قرابة (٣٠٠) فرد، وفي (سيزوكين) ومدينة (بيالستوك) وأكبر تجمع لهم يقيم في (بيالستوك) حيث يقدر عددهم بحوالي (٨٠٠) نسمة، وفي عام ١٩٩٠م بدأ العمل في بناء مركز إسلامي في (بيالستوك) ويضم مسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ودارا للضيافة وأخرى للمسنين، أما المقيمون في (جادانسك) فيصل عددهم إلى حوالي (٣٠٠) فرد، وفي (وارسو) قرابة (١٥٠) فردا، وهناك عدد من عائلات المسلمين تعيش في مدن أخرى متفرقة في بولندا.. وتضم المناطق الإدارية الست للمسلمين أربع مقابر للمسلمين، تقع اثنتان منهم في (وارسو)، أما في المدن التي لا يوجد بها مقابر للمسلمين، فإن الجهات المعنية في البلدية تخصص لهم أماكن خاصة للدفن في المقابر المحلية. ولا توجد مدارس لتحفيظ القرآن الكريم في بولندا، ويستخدم المسلمون في أداء الشعائر الدينية لهجة هي خليط من لغات بولندا وروسيا البيضاء مع بعض المفردات من اللغة التركية ، واللغة العربية.. وقد هاجر كثير من المسلمين وخاصة من جيل الشباب الريف إلى المدن، إلا أنهم يحافظون على تراثهم وتقاليدهم،



● مسجد مدينة جدانسك

■ حافظ المسلمون البولنديون على هويتهم الثقافية والتراثية في نفس الوقت الذي ساهموا فيه ببناء وطنهم والدفاع عنه

ويقيمون روابط وثيقة مع الأقاليم الأصلية، ويعودون إلى قراهم في الاحتفالات والمناسبات الإسلامية..

الهيئات والجمعيات والفرق

ولدى المسلمين البولنديين أربع هيئات مستقلة، أقدم تلك الهيئات هو (الاتحاد الديني للمسلمين في بولندا)، ومقره الرئيسي في (بيالستوك)، وينتمي غالبية أعضائه للمسلمين من أصول التتار، وكان هو الجهة الوحيدة التي كانت ترعى شؤون المسلمين إبان فترة الحكم الشيوعي، وبداية من عام ١٩٦٩م، عقد الاتحاد مؤتمرا عاما للمسلمين كل خمس سنوات، وكان يحضر المؤتمر ممثلون عن كافة الأقاليم، وكانوا يقومون بانتخاب المجلس الأعلى للاتحاد..

أما المهديون الذين ينتمون للمذهب الشيعي، فقد أكدوا وجودهم في عام ١٩٣٦م، وفي العام التالي أسسوا (جمعية الوحدة الإسلامية) ومقرها في (وارسو)، وتضم حوالي (١٠٠) عضو، برئاسة إمامهم، وللجمعية معهد إسلامي خاص، وقد قامت في عام ١٩٩٢م بنشر (الدليل الإسلامي)، كما يقوم المعهد حاليا بإعداد

ترجمة معاني القرآن الكريم، وللجمعية نشاط مكثف وبخاصة في المناسبات الدينية، كما قاموا بإجراء لقاءات مع البابا يوحنا الثاني خلال زياراته إلى بولندا..

ومنذ اندحار النظام الشيوعي، تأسست هيئات أخرى منها (الجمعية الأحمدية للمسلمين) التي تضم اتباع المذهب الأحمدي (القاديانية) ومقرها في (وارسو)، وترتبط هذه الجمعية ارتباطا وثيقا بفلسفة وتعاليم مؤسس الجماعة (غلام أحمد)، وفي عام ١٩٩٣م كانت تلك الجماعة تضم حوالي (٥٣) عضوا، بخلاف (١٠٠) من المتعاطفين معهم، ولها مركزان أحدهما في (وارسو) والآخر في (بيدجو سوز)..

أما جمهور المسلمين فيقع مقرهم في مدينة (بروزكو) بالقرب من وارسو ويرأسهم الإمام العام لبولندا..

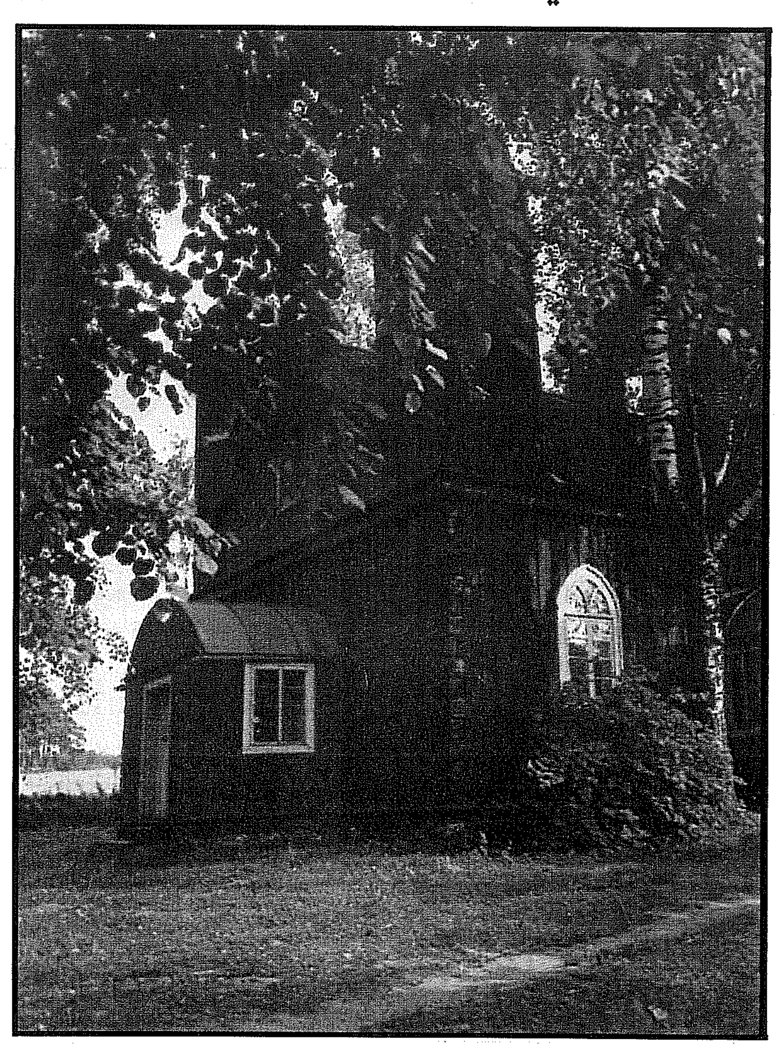
تركيبة المجتمع البولندي المسلم

ولا يعرف إلا القليل عن التركيب المهني والاجتماعي للمسلمين البولنديين، غير أن الدراسات الأولية تشير إلى أن حوالي ٢٠٪ منهم يمتهنون الفلاحة ودباغة الجلود، وحوالي ٥٥٪ ينتمون لطبقة العمال والموظفين، وحوالي ٢٥٪ إلى طبقة المثقفين والفنانين..

ومن العسير تمييز التتار في بولندا حاليا عن غيرهم من البولنديين، لأن التزاوج بين الجانبين ساهم إلى حد كبير في طمس المعالم المميزة للتتار، ورغم ذلك فإن تلك الأقلية المسلمة مازالت تؤكد وجودها في بلد غالبية المواطنين فيه من الرومان الكاثوليك، وحكمه لفترة تفوق أربعين عاما، نظام يقر الالحاد وينكر وجود الله..

وينظر المسلمون البولنديون نظرة خاصة لمكانتهم في نسيج الأقليات المسلمة في شرق أوروبا الوسطى، ويرون أنهم من خلال الجمع بين الثقافات الشرقية والغربية يمكن لهم الاسهام في حركة إحياء الروابط الأخلاقية بين أوروبا والإسلام، كما يأملون في القيام بدور الوسيط بين بولندا والأقطار الإسلامية، ويؤكدون أن التاريخ يثبت قيام روابط وثيقة بين بولندا وتركيا وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد أثبت التتار أن بولندا هي «أعظم بلد أوروبي لم يلطخه الاستعمار والبلد الوحيد الذي يتمتع بتراث مجيد من التسامح الديني»..

■ حافظ المسلمون البولنديون على هويتهم الثقافية والتراثية في نفس الوقت الذي ساهموا فيه ببناء وطنهم والدفاع عنه

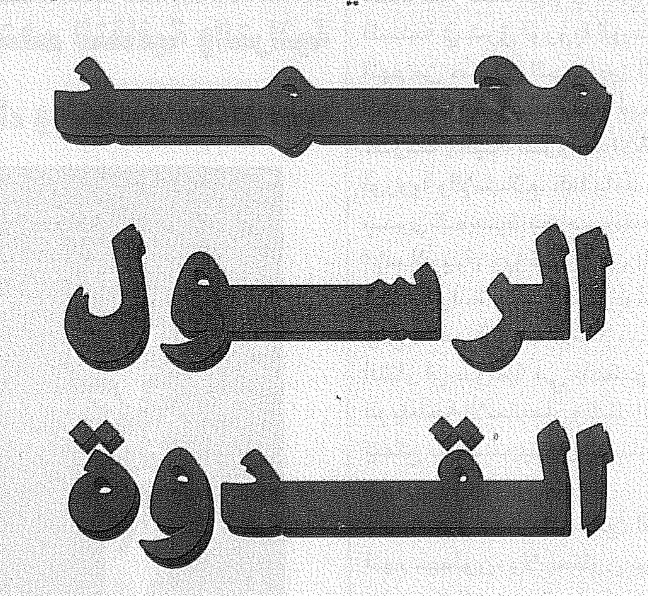


● مسجد ضاحية بيانو ستوك

ويشعر بعض المسلمين البولنديين أنهم مهملون، ولا يحظون برعاية الدولة، وفي هذا الصدد يقول أحد المسلمين في (بيالستوك): «ليس لنا تواجد عرقي، وإنما نحن بولنديون تصادف أننا مسلمون»..

وقد أسهم المسلمون البولنديون إسهاما بالغا في تأسيس دولة بولندا، كما قاموا بدور هائل لدعم الاستقلال، وخلال تلك الفترة احتفظوا بتراثهم الديني والثقافي المتميز، كما حافظوا على هويتهم الخاصة.. ويمثل المسلمون البولنديون نموذجا فريدا لما يمكن أن تقوم به التجمعات الإسلامية من إقامة روابط مع الجاليات الإسلامية الوطنية التي تشكل جزءا منها في نطاق أوروبا، وكيف يحافظون على ثقافاتهم وهويتهم ويساهمون بشكل إيجابي مع الجاليات الإسلامية الأخرى ■

الـذي يتتبع القرآن الكريم، ويتقصى آياته العظيمة، ويمعن النظر فيه، ينتهي منه إلى رصيد ضخم وثروة لا حدود لها، والثناء الحلو، والمديح الطيب، والتنويه الذي ليس قبله ولا بعده، برسول هذه الإنسانية، وسيد هذا الكون، حتى لكأنه بلغ قمة الثناء، وغاية المديح، ولا مجال وراء ذلك لزيادة أو فضل، وصارت هذه الكلمة وحدها مجردة عما يقترن بها، ويذكر معها، أو يجيء في إثرها من الأوصاف والنعوت تشيع في الجو الذي تحلق فيه، وتطير في سمائه، وتسبح في فضائه، معنى من السحر، وفيضا من الجلال، وشيئا من الإكبار والاحترام، لا يمكن لكائن من الناس أن يحدده التحديد الذي يكشف عن حقيقته في تلك الموسيقى التي يرسلها، والأنغام الحلوة التي يبعثها، والبلاغة الأخاذة التي يطلقها، والجاه العريض الذي يسيطر على الأنحاء من حولها، أو الجوانب هنالك في مكان الحديث.



بقلم الدكتور:
إبراهيم علي أبو الخشب

كأنما هي عنوان العظمة، والكبرياء والتعالي، والسمو والرفعة، والأبهة والجلال، لا يزاحمها في ذلك كله مسلط، ولا ينازعها جبار، ولا يشاركها صاحب نفوذ أو سلطان، ذلك لأن الذي خلق المتكبرين وبرأ الجبارين، أضفى عليها من جلاله ووقاره ما تذوب معه هذه الأوصاف، وتتهاوى عنده تلك النعوت، وتتطامن لديه هذه الكبرياء، ثم تقصر عن الإحاطة بكمالها الكلمات، وتقف موقف العجز عن التنويه بها الألفاظ، مهما ازرتها البلاغة، وأيدها المنطق، واسعفها البيان.

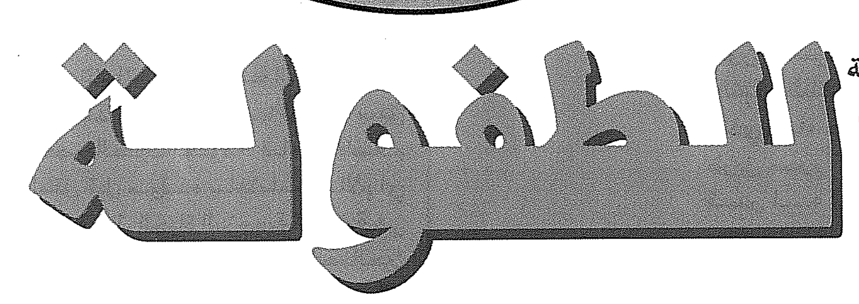
ويكفي أن تمر بخاطر الواجم، وأو تجري على لسان الواهم، أو تملأ قلب الواعي، وأو ضمير المتحدث، أو يقع عليها نظر قارئ في ثنايا سطور، أو في صفحة من كتاب، حتى يجد أنه تأخذه المهابة من كل جهاته، وتصيب جسمه القشعريرة التي تصيبه في حضرة عظيم من العظماء الذين تفيض من حولهم الخشية، وتفخر أمكنتهم العظمة، وتملأ ساحتهم المهابة، وترفرف عليهم أجنحة الوقار، من غير تكلف، لأنها صنع الله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ومن حبته عناية الله وأدركته رحمته وحفه لطفه، وشمله رضاه، كان حظه موفورا، ومكانته متمكنة.

وفي التاريخ عبرة

وفي تاريخه ﷺ ما يدل على أن تيجان الملوك، وعروش الجبابرة، وكبرياء من كانت الدنيا بأيديهم والسيوف بأيمانهم، والسلطان في حوزتهم، كانت تتساقط بين يديه، فلا يجرأ قوي أن يهدده، ولا يتطاول عظيم أن ينازله، ولا يمكن لشرير مهما كانت شراسته أن يهز كيانه، أو يزلزل بنيانه، أو يشوب يقينه الذي كان عامرا بربه، مملوءا بخالقه، الذي أرسله بالبينات، وأيده بالمعجزات، وجعله هو في نفسه خير عنوان لهذه الإنسانية في أخلاقه الكريمة، وأدبه وسلوكه القويم، وخلاله الطيبة، وذكائه اللماح، وعبقريته الفذة، وعقله الكبير، وقلبه الرحيم، وعطفه الشامل، وحبه الخالص، ورغبته في البر، وحدبه على الناس، وتفانيه في الإصلاح، وارتباطه بربه، وتطلعه إلى السماء. وهكذا لم تبلغ لفظة من ألفاظ الأعلام ولا اسم دل على مسمى، ولا كلمة من الكلمات في ضخامة جسمها ودوي صوتها، وحلاوة لحنها، وشهرة ذيوعها، وإيمان الخليقة بها – بعد لفظ الجلالة – ما بلغته تلك الكلمة، التي يتيمن بها المسلم، ويعتز بها الموحد، ويفاخر بها الإنسان، ويشرف بالانتساب إليها من تكامل له عقله، ونضج فيه وعيه، وصح عنده دينه، وارتضى فيه إدراكه، وسما لديه شعوره، وسلم له بصره وذوقه، وترددها ألسنة الملايين في بقاع الأرض، وأنحاء هذا الكون، وأرجاء هذه الدنيا، تلذذا بذكرها، وتيمنا بلفظها، وارتياحا لنغمتها، وسرورا

رعاية الإسلام الشاملة للطفولة





نذكر قول أحد الحكماء: (الطفل أب الرجل) ومعنى ذلك ان الطفل بتربيته واستعداده وتكوينه ووراثته تمتد صفاته وخصائصه اليه بعد ان يصل الى سن الرجولة. والأمر كذلك بالنسبة للطفل الانثى فان الطفل الأنثى هى التي ستكون أما.. فنستطيع ان نعدل ذلك القول بأن الطفل أب الرجل وأمه بعد مراحل من العمر فالصفات الاجتماعية من كرم وتعاون واحترام للكبير وصدق وأمانة مثلا يمكن تكوينها في الطفولة المبكرة وبالعكس الصفات الانطوائية أو الانسحابية من المجتمع أو العدوانية أو البخل أو الخوف من الظلام أو من الناس من غير مجتمعه المحدود قد تتكون بمؤثرات من الآباء في هذه المرحلة فتنتقل بجانب الخصائص الوراثية الى المراحل التالية من العمر وتستمر وقد تشتد في الكبر مالم تجد تربية تحاول تعديل السلوك واعلاء العدوان مثلا الى تنافس محمود في الدراسة والعمل.

ولنتفق اولا على ان مرحلة الطفولة هى المرحلة السابقة على مرحلة المراهقة ابتداء من الولادة حتى بداية المرحلة الاعدادية. فهذه المرحلة لها أثرها الكبير في تكوين شخصية الطفل فتكون سوية او غير سوية بدرجات متفاوتة. وأهم مراحل الطفولة في السنوات الخمس الأولى فالوالدان والاخوة الأكبر سنا ومشرفات الحضانة والروضة لهم – ومن يتعامل معهم الطفل ويحتك بهم – أثرهم في تكوينه وسلوكه وفهمه للمجتمع فهم ينقلون اليه خبرات المجتمع وقيمه من سلوك وأخلاق وعادات في المأكل والمشرب واللعب والتعاون والتعرف على البيئة والتكيف معها والتعامل مع الكبار و الصغار.

* أستاذ فلسفة – المغرب

بقلم: عبد الحفيظ نصار

ففترة الطفولة فترة نمو وتعلم وإعداد للحياة في المجتمع بصورة مبسطة تتفق مع نموه وطفولة الانسان أطول من فترة طفولة الحيوان اذ لايحتاج الحيوان لكي يتعامل مع البيئة إلا لبضعة أيام مثل القط الذي ينطلق بحثا عن طعامه بعد فترة رضاع قصيرة بينما الحياة في المجتمع الانساني تحتاج الى خبرة طويلة تتمثل بعد السنوات الخمس الأولى في الحضانة أو الروضة وفي تعليمه في المدرسة الابتدائية والاعدادية او مايسمي حاليا بالمدرسة الاساسية وبعدها المرحلة الثانوية وربما الجامعية ايضا.

ودور المعلمين او المربين هو نقل خبرات المجتمع العلمية والتطبيقية وقيمه الاخلاقية والدينية والوطنية وعاداته وتقاليده وتاريخه والتعرف على خائص مايحيط به من عوامل وكائنات ومخلوقات حسب مراحل نمو التلميذ وقد يتخصص طلبة الثانوية الفنية او بعض الكليات الجامعية أو بعض المعاهد مع الجانب النظري في النواحي التطبيقية لتلك العلوم للاستفادة منها وافادة المجتمع بها، ولكي يحقق المعلمون هذه الرسالة لابد وأن يكون على مستوى علمي وتربوي صالح لادائها وألا تقلل من شأن المرحلة الاساسية. ومرحلة الحضانة أو الروضة جزء منها وتتطلب ان يكون المعلمون والمعلمات والمشرفات بها على مستوى عال من التربية والتعليم.

تعليم آدم عليه السلام

رعاية الاسلام الشاملة للطفولة

وهنا نذكر أن آدم كان في حاجة الى هذا التعليم قبل ان ينزل الى الارض لضرورته في حياته وقد تولاه ربه بهذا التعليم او بما هو أرفع منه واعظم وبذلك رفع منزلة آدم على الملائكة، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال ياآدم أنبئهم،بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون ﴾ [البقرة:٣٠-٣٣].

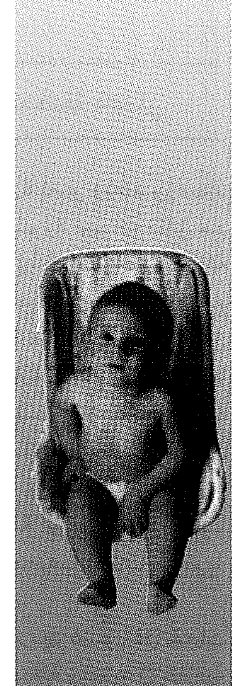
العناية بالطفولة قبل الولادة وبعدها

فأهم تلك المراحل مرحلة الطفولة كما ذكرنا وقد اهتم الاسلام بها اهتماما سبق به العصر الحديث بعلومه، فاهتم الاسلام بالطفل قبل مولده باهتمامه بالأم اي الزوجة فجعل الحياة الزوجية الشرعية هى أساس العمران والأبوة والأمومة الصالحين والخلف الصالح وقد من الله على عباده بنعمة الزواج والانجاب للبنين والبنات في قوله تعالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ [النحل:٧٢] وقال الله تعالى: ﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء:١].

فالاسلام نظم العلاقة بين الرجل والمراة فارتفع بهما عن ان يكونا مثل باقي الحيوانات إذ لابد من خطبة اي تعرف مبدئي وتراض بينهما بعد ذلك اي ايجاب وقبول منهما ومهر للزوجة ومن شاهدين وإشهار للزواج، فبذلك يكون الاسلام قد وضع الاساس السليم لبناء الاسرة ورعاية



الطفولة وتحمل مسؤولية الاطفال مسؤولية مشتركة فلا تكون العلاقة بين الذكر والانثى مجرد علاقة جنسية قد تأتي من ورائها مشكلة اجتماعية اذا لم تقم بينهما علاقة زوجية قد يعقبها العار خاصة للفتاة التي سقطت، وقد ينجبان من وراء تلك العلاقة العارضة، وقد يكون الضياع والتشرد للطفل الذي جاء عن طريق محرم ان قدر له ان يعيش. لذلك نحذر من اتخاذ فترة الخطوبة ذريعة لارتكاب المحرم اذ ليست الخطوبة إلا فترة وعد بالزواج يحل للخاطب ان ينظر الى ماأحل الله كشفه منها (الوجه والكفين) ﴿ ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها ﴾ [النور:٣١] ويتحدث معها لا ان يستحل



مالايحل الا بالزواج.

وللاسف فان بعض المسلمين يقعون في ذلك الخطأ او تلك الخطئية ومن أبوابها مايسمى بالزواج العرفي الذي يجحد فيه الأب ابوته للطفل ان لم تجد الام مايثبت تلك العلاقة بينه وبينها لان امر الزواج فيه على السرية بخلاف العقد الشرعي الذي يشترط الاشهاد عليه والاعلان عنه فضلا عن ان العلاقة الزوجية في الإسلام مبنية على المحبة والتفاهم والرحمة بين الزوجين حتى تكون فيض نعمة وحنان ومحبة وتنشئة صالحة للاطفال فالسعادة الزوجية سعادة ورعاية للاطفال. قال تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم:٢١].

وتتحقق السعادة للزوجين وأطفالهما بعد ذلك بحسن اختيار الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) [رواه البخاري ومسلم]، وقال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه فزوجوه إلا تفعوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» [الترمذي وأبو داود]، وقال ﷺ: «أربع من أصابهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: قلبا شاكرا ولسانا ذاكراً وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لاتبغيه حوبا في نفسها وماله» [الطبراني]، والاسلام يدعو الى حسن معاملة الزوج لزوجته حتى يكون البر والخير لأولادهما والعكس لمن يسيء اليها وخاصة في اثناء حملها أو بعد ولادتها امام اطفالها فينعكس ذلك على حياتهم نفسيا وصحيا بصفة عامة، قال تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراكثيرا ﴾ [النساء:١٩].

وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا» [رواه البخاري ومسلم]. وقال ﷺ: «النساء شقائق الرجال»، فمسؤوليتهما كلاهما في رعاية الاسرة قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده، وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع

في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» [رواه البخاري ومسلم].

تكريم الطفل في القرآن الكريم

وقد كرم الاسلام الطفل بذكر نشأته قال تعالى: ﴿ ونقر في الأرحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ﴾ [الحج:٥] وقال تعالى: ﴿ يأيها الانسان ماغرك بربك الكريم. الذي خلق فسواك فعدلك. في اي صورة ماشاء ركبك ﴾ [الانفطار:٦-٨] وقد أقسم الله تعالى بالاطفال في سورة البلد: ﴿ لاأقسم بهذاالبلد. وأنت حل بهذا البلد. ووالد وماولد. لقد خلقنا الانسان في كبد ﴾.

فالاطفال نعمة من الله علينا ان نحافظ عليها وقد دعا سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل الله راجين نعمة الذرية الصالحة في قوله تعالى: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ﴾ [البقرة:١٢٨] ودعا زكريا عليه السلام المولى عز وجل: ﴿ قال رب هب من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ﴾ [آل عمران:٣٨] وعباد الرحمن الصالحون يرجون الذرية الصالحة: ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ﴾ [الفرقان:٧٤].

حق الطفل في الرعاية الكاملة

دافع الاسلام عن حق الطفل في الحياة وحرم عادة كانت فاشية عند العرب في الجاهلية بوأد الأطفال خشية الفقر أو البنات خشية العار قال تعالى: ﴿ ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ [الاسراء:٣١] وانذرهم بسوء العاقبة قال تعالى: ﴿ واذا الموءدوة سئلت. بأي ذنب قتلت ﴾ [التكوير:٨و٩].

واهتم الاسلام برعاية الاطفال وحقهم في ان تستكمل مدة رضاعتهم حولين كاملين وهي المدة التي سبق بها الإسلام الطب الحديث في مدة الرضاعة اللازمة للطفل قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلف نفس



إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده وعلى الوراث مثل ذلك ﴾ [البقرة:٢٣٢] فلا تتحمل الأم الضرر برعايتها للطفل ولايضار الولد بالمبالغة في النفقة بل بالمعروف قال تعالى: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ [الطلاق:٧].

ورعاية الطفولة في الإسلام تلزم بالنفقة عند عجز الوالد عن النفقة على اطفاله تلزم الاصول الاجداد ثم الفروع كما تلزم بهذه الرعاية اذا لم يجدوا من يرعاهم.



وفي عهد عمر بن الخطاب فرض لكل طفل راتبا فسبق بذلك الدول الغربية المتقدمة التي تشجع على النسل بجعل علاوة اجتماعية لهم. وكان رسول الله ﷺ يعطي الآهل (المتزوج) حظين (نصيبين) ويعطي (العزب حظا واحدا) [رواه البخاري]، وقد جاء في حديث عن رسول الله ﷺ: «من ترك مالا فلورثته ومن ترك ضياعا - اي ورثة هلكى لا حول لهم - او كلا - اي ذرية ضعفاء فليأتني فأنا مولاه» [البخاري].

وقد أكد ذلك ابو عبيد في كتاب (الاموال) فقد جعل ﷺ للذرية في المال (مال الدولة) حقا ضمنه لهم.

ورعاية الطفل واجب على الأهل جميعا وان يكون البر بينهم جميعا قال ﷺ: «برأمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك» [رواه البزار].

والنفقة على الاسرة يعتبرها الإسلام عبادة بل أعلى مرتبة من النفقة في سبيل الله قال ﷺ: «دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك أعظمها اجرا الذي انفقته اهلك» [رواه مسلم]. وعن ام سلمة رضي الله عنها، قالت: قلت يارسول الله هل لي اجر في بني ابي سلمة ان انفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا انما هم بني، فقال نعم لك اجر ما أنفقت عليهم» [رواه البخاري ومسلم]. وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثما ان يضيع من يقوت» [ابو دواد] وفي رواية مسلم: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته».

والاسلام يرعى الطفل غير الشرعي فلا تجلد امه او ترجم ان ثبت عليها حد الزنا وهى حامل حتى تضع حملها وتتم رضاعته وترعاه الدولة بعد ذلك كما ترعى الطفل اللقيط وهى بذلك قد سبقت الدول الغربية التي لم تحرم الزنا وقد حرمه الاسلام سدا لذلك الباب قال تعالى: ﴿ ولاتقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [الاسراء:٣٢].

كما اهتم الاسلام برعاية اليتامي. واليتامي في عرف الاسلام من كانوا في مرحلة الطفولة وفقدوا الآباء أي لم يبلغوا ولم يصلوا لسن الرشد، قال تعالى: ﴿ وآتوا اليتامي أموالهم ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب ولاتأكلوا اموالهم الى اموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴾ [النساء:٢]. وقال تعالى: ﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ [النساء:١٠] وجاء في الصحيحين: «اجتنبوا السبع الموبقات» وذكر رسول الله ﷺ منها

رعاية الاسلام الشاملة للطفولة

أكل مال اليتيم. وقال ﷺ: «انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما» [رواه البخاري].

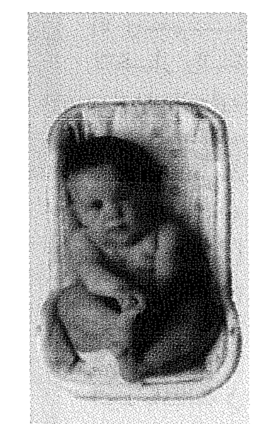
عدم التفرقة بين الاطفال

جاء في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: اني قد بلغ بي من الوجع وانا ذو مال ولايرثني الا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. فقلت بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: «الثلث والثلث كبيرأو كثير، انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس، وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ماتجعل في في امرأتك» ومن هذا الحديث نأخذ رعاية الاسلام للبنت بعد وفاة الاب وتأكيدا لنفقة الزوجة.

كما ان الإسلام لايقر التفرقة بين الابناء فقد جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه انه اتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فامرتني ان اشهدك يارسول الله: «قال أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال:لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال: فرجع فرد عطيته.

وجوب تربية الاطفال وتعليمهم

ومن أهم سمات الاسلام المميزة له على سائر الاديان انه جعل اول أمر من الله للداعية الاول رسول الله ﷺ ولسائر المسلمين أمرا بالقراءة: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان مالم يعلم ﴾ [العلق:١-٥]، فاقترن الأمر بالقراءة بذكر القلم اداة الكتابة، كما أقسم الله تعالى بالقلم ومايسطره في قوله تعالى: ﴿ ن. والقلم وما يسطرون ﴾. أي ماتسطره الملائكة او يسطره العلماء، وعلى المعلمين ان يأخذوا الاطفال بالرفق في تعليمهم. قال ﷺ: «ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرحمة مالايعطي على العنف» [رواه مسلم].



■ اهتم الاسلام بالطفل قبل الولادة: بحسن اختيار الأم، وبعدها: بالتربية والتوجيه

وأولى الناس بالرفق في تربيتهم وتعليمهم هم الاطفال وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا. [رواه البخاري]، والمعنى كان يتعهدنا ويراعي الاوقات في تذكيره وتعليمه لنا حتى لانمل ولايكون ذلك الا بتنظيم الوقت والمادة ومراعاة مستوى المتعلمين كما تدعو الي ذلك التربية الحديثة. قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [رواه ابن ماجة]. اي ومسلمة لان المقصود بالمسلم الجنس الذي يعم الذكر والأنثى. وقد وردت مادة العلم وإعلاء قدره وقدر العلماء واستخدام العقل والفكر واللب والحكمة في القرآن الكريم مئات المرات قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

ومايدل على مزيد العناية بتعليم الاطفال والكبار قال تعالى: ﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون﴾ [النحل:٧٨] وفي غزوة بدر كانت فدية الأسير المتعلم ان يعلم عشرة من اطفال المسلمين والفدية في ذلك الوقت كانت أربعة الاف درهم. وقال ﷺ: «ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة» [رواه مسلم]. وقال ﷺ: « انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم» [رواه البخاري] أي بأثره في تكوين وسلوك المتعلم.

والإسلام كان يراعي في الحرب الايذهب الاطفال إليها وقد كان رسول الله ﷺ يرد المتقدمين منهم للجهاد حتى تكمل تربيتهم وتعليمهم وتدريبهم كما كان يستبقى من المعلمين، من يقوم بتعليم الأطفال والكبار الذين لم يجندوا وحتى يتفرغ فريق من هؤلاء المعلمين للتفقه في الدين بمعناه الواسع وليفيدوا المسلمين المحاربين بعد رجوعهم بعلمهم وجعلهم كالمجاهدين.

قال تعالى: ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة:١٢٢]. وعن مالك بن الحويرث قال لنا النبي ﷺ: «ارجعوا الى اهليكم فعلموهم» [رواه البخاري]. وعن صفوان المرادي قال ﷺ: «مامن خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يصنع» [رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم].

ومسؤولية الآباء عن تعليم اهله عامة واولاده خاصة وتبصيرهم بالاسلام وفرائضه وآدابه تذكرها الآية الكريمة: ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ [التحريم:٦] والحديث الشريف الذي مر بنا وفيه: «والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها فكلكم راع وكلكم مسؤول عن

رعيته».

ومرحلة الطفولة لاتترك للحضانة أو الروضة او المدرسة وحدها أمر التربية اذ للبيت دوره الهام في التنشئة الصالحة وتربيتهم على أداء الصلاة ومعرفة آداب الإسلام. قال تعالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [طه:١٣٢]. وقال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع» [رواه أحمد وأبو داود والحاكم]، وقال ﷺ: «الزموا اولادكم وأحسنوا آدابهم» [الترمذي].

ومن الواجبات التي يربي عليها الاطفال معرفة حق الوالدين قال تعالى: ﴿ وقضى ربك الاتعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولاكريما ﴾ [الاسراء:٢٣] ونلاحظ اقتران الأمر بالعبادة بالاحسان للوالدين. ومعرفتهم حق الأم خاصة ومعرفة ماتتحمله الأم من مشقة في الحمل وفي التربية قال تعالى: ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الى المصير ﴾ [لقمان:١٤].

كما نجد رسول الله ﷺ في رده على من سأله من أحق الناس بحسن صحابتي يارسول الله؟ قال: «امك» قال:ثم من؟ قال: امك قال ثم من؟ قال: «امك». قال: ثم من؟ قال: «ثم ابوك». متفق عليه. كما ان المجتمع يفتقد كثيرا توقير الصغير للكبير ورحمة الكبير بالصغير. ومن الواجب تربية الأطفال عليها عملا بقول رسول الله ﷺ وامتثالا لتحذيره: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا» [رواه الترمذي].

وكان رسول الله ﷺ فيض حب وحنان على اولاده وأحفاده فقد روي عنه انه دخل عليه الحسن والحسين فاخذهما وقبلهما وعنده الاقرع بن حابس التميمي فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ماقبلت منهم احدا فنظر اليه رسول الله وقال: «من لايرْحَم لايُرْحَم» [رواه البخاري].

وفي هذا الاتجاه بالرحمة بالصغير ان عمر بن الخطاب ارسل لأحد ولاته ليتسلم كتاب توليته فيحضر اليه في مجلسه وتسلم كتابه وعند ذلك يدخل على عمر أحد اولاده الصغار فيأخذه عمر في حنان ويقبله فينكر الرجل

يحتاج المسلمون إلى فقه (التربية) كما يحتاجون إلى فقه (العبادات)



على عمر تقبيله لابنه ويقول معبرا عن غلظته: والله ان عندي عدة اولاد ماقبلت واحدا منهم. فعند ذلك يغضب عمر وينزع كتاب توليته من يده قائلا له: لئن كنت قاسيا على أولادك فستكون أشد قسوة على المسلمين فلا ولاية لك عليهم. ومن امثلة تربية الاطفال قال ابو هريرة رضي الله عنه: أخذ الحسن ابن على رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ «كخ كخ، ارم بها، اما علمت انا لانأكل الصدقة» [البخاري ومسلم].

والاسلام يوجب تعليم الاطفال العادات الحسنة فعن عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله ﷺ «كانت يدي تطيش في الصحفة فقال رسول الله ﷺ ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد» [البخاري ومسلم]: «وتطيش تدور في الصحفة» وقال ﷺ: «من ربى صغيرا حتى يقول لا اله الا الله لم يحاسبه الله» [الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل]. والرسول ﷺ كان يهتم بتربية الاطفال وخاصة البنات فقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: «من رزقة الله بثلاث بنات فأحسن تربيتهن ادخله الله الجنة. قالوا: واثنتين يارسول الله؟ قال: واثنتين. قالوا: وواحدة يارسول الله قال وواحدة».

والآداب الاسلامية لسلوك الابناء منبثة في القرآن الكريم والحديث الشريف فذكر منها وصية لقمان لابنه: قال تعالى: ﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الأمور. ولاتصعر خدك للناس ولاتمش في الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن انكر الاصوات لصوت الحمير ﴾ [لقمان:١٧-١٩].

فاين تلك الاخلاق في تربية الأبناء على معرفة حقوق الوالدين وآداب السلوك ورعاية الآباء لحقوق الأبناء مما يعرف في الغرب من حرية الأبناء المراهقين أو البنات المراهقات الى حد ان لهم الحق في شكوى والديهم للشرطة والقضاء اذا تعرضوا لحرياتهم الشخصية أو الجنسية.. وما يعرف من تفكك العلاقات الأسرية وكثرة مشكلات الابناء غير الشرعين ونسبتهم أحيانا لغير ابائهم مع وجود الآباء وماأعظم الإسلام الذي حافظ على حقوق الآبناء، قال تعالى: ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ [الاحزاب:٥].

وأين الرعاية والحماية للطفولة والامومة في مذابح الأطفال والامهات المسلمات واغتصابهن في البوسنة والهرسك ، وغيرها، تحت نظر العالم وبصره، بل وبانغماس بعض الدول الكبرى والصغرى في الجريمة بالتشجيع أو الصمت عنها إن لم يكن بمساعدتها وحرمان المعتدى عليهم من حق الدفاع عن أنفسهم باستيراد السلاح. ولقد تجمع الشتاء بجليده، وقد يكون اشد خطرا عليهم من الاعداء، فإذا لم يمد الغرباء أيديهم اليهم لإنقاذهم او من تبقى منهم؟ افلا يجب ذلك على الأشقاء؟ وإلا فما معنى الاخوة في الإسلام؟

من المتفق عليه أن الحياة تتجدد، والحضارة في تحرك فإلى أين تتجه؟؟

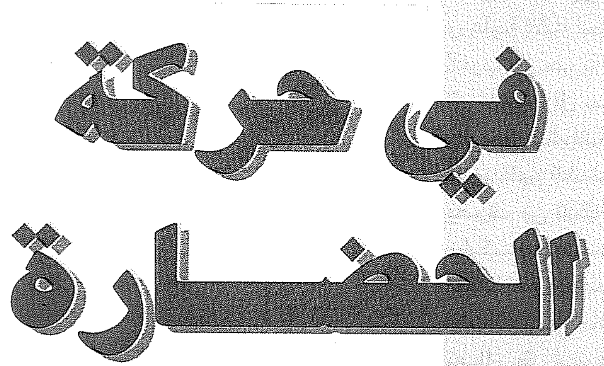
البعض يرى أن الحركة تسير إلى الأمام في خط مستقيم متصاعد، وهناك من يعكس الأمر فيرى أن الحركة في نكوص إلى الوراء.

وفريق ثالث يؤمن بأن للحضارة دورة أو دورات، يراها البعض مقفلة، بينما يراها آخرون تسير بشكل دائري، ويذهب غيرهم إلى أنها تشبه صعود الجبل.

والفريق الرابع ينفي كل ذلك، ويقول بأن الحضارة لا تلتزم خطاً معيناً، بل لكل حضارة مسارها وخطها الخاص بها.

وأخيرا لقد طرحت المفكرة الألمانية «سيغريد هونكة»، نظرية جديدة تفسر بها حركة الحضارة، وسوف استعرض الآراء الأولى بشيء من الإيجاز:

● اهتمت الحضارة الغربية بالمادة والاقتصاد ولكنها اهملت الانسان



بقلم د. نعمان عبد الرزاق*

١ - حركة التقدم الصاعد (١): وأقدم من قال بها بعض مفكري اليونان ثم تبناها بعد ذلك كل من «بيكون وديكارت» وقد انتشرت في أواخر القرن السابع عشر، حين احتدم الجدل بين أنصار القديم والحديث، فقام أنصار الحديث بتبني الفكرة لأنها تخدم مذهبهم.

ابتدأت الفكرة بالأدب لكنها ما لبثت أن تحولت إلى السياسة وعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ، وقد مهدت لفكرة «التطور» وجاء «هيغل» فصاغ نظرية يفسر بها التاريخ، وتلقفتها الماركسية وجعلتها محور نظريتها في الحضارة.

وكان المشجع عليها أولا التطورات العلمية، وما استقر آنذاك من أن العلم سيحل كافة المشاكل، حتى لا يبقى في الكون سر.

وقد واجهت النظرية نقدا بعضه يتصل بالمنهج والآخر يتعلق بالقيم وهكذا ابتدأت الفكرة بالأدب وبنقد رجال الكنيسة وانتهت بجملة علوم ومعارف ونقد الدين ذاته.

٢ - حركة النكوص: وهي نقيض الفكرة الأولى، فهناك من يرى أن الشرور غالبة على العصر، والأخلاق والقيم في تدهور، وخلف هذا وفوقه الحروب المدمرة، وفقدان السلام والطمأنينة، كما يبدي البعض تذمره من عجز الإنسانية عن التقدم الحقيقي فهذا «جيته» يقول(٢): لقد صار الإنسان أكثر ذكاء ووعيا، ولكنه لم يصر أكثر سعادة أو أنبل خلقاً.

ويذكر «أدوارد كربنتر» (٣) بأن المدنية مرض جميع الأجناس، أما المؤرخ

* مدرس بكلية التربية - الرياض

البريطاني «توينبي» فيصور الأمر وكأن صفقة خاسرة قد عقدت (٤) (فقد أغرت فنون الصناعة ضحايا وجعلتهم يسلمون قياد أنفسهم، وذلك ببيعها المصابيح الجديدة لهم مقابل المصابيح القديمة لقد أغوتهم فباعوها أرواحهم، وأخذوا بدلا عنها «السينما والراديو» وكانت نتيجة هذا الدمار الحضاري، الذي سببته تلك الصفقة، اقفرارا روحياً، وصفه أفلاطون بأنه مجتمع خنازير ولعل «ألبرت شفيتزر» خير معبر عن الفكرة فهو يقول (٥) : (إن تقدم الحضارة «الخارجية» يجر وراءه هذه النتيجة: وهي أن الأفراد – على الرغم مما يحصلون عليه من مزايا – يضارون من نواح كثيرة، مادية وروحية، فالانجازات المادية لا تصير حضارة، إلا بمقدار ما تستطيع عقلية الشعوب المتمدنة أن توجهها وجهة «كمال الفرد والجماعة». إن تركيب العالم والحياة قد تزعزع عندنا، فلم يعد الرجل العصري يشعر بدافع إلى التفكير في المثل العليا للتقدم والسعي إليها، إنه أشد استسلاما مما يعترف، لكنه يصرح بالتشاؤم، لأنه لم يعد يؤمن بالتقدم الروحي والأخلاقي للناس وللإنسانية، مع أن هذا التقدم الروحي والأخلاقي هو العنصر الجوهري للحضارة..).

أما كولن ولسون(٦) – الناقد البريطاني المعروف – فيرى أن حضارة اليوم يكتنفها صخب شديد، لا يدع مكاناً للدعة أو التأمل، فيفقد الإنسان السكينة الداخلية.

والمتأمل في الحضارات يجدها تتقدم في جانب وتتوقف في آخر وتتراجع في ثالث في آن واحد.

الحضارة مجموعة أمور مادية ومعنوية، يجمعها مكان وزمان، ثم تتفاعل مشكلة الحضارة، لذا فهي ليست كائناً عضويا يجب أن تتقدم كلها أو تتأخر كلها.

٣ – دورات الحضارة : يعتقد أكثر من مفسر للتاريخ ومهتم بالحضارة بوجود دورات حضارية، قد تعيد بها الحضارة نفسها بصورة أو بأخرى، دورات مغلقة – كما يراها البعض – ومفتوحة كما يراها غيرهم، ولعل أشهر المؤمنين بدورات الحضارة ابن خلدون وفيكو واشبنجلر وتوينبي وسيغريد، إلى حد ما.

■ يربط المؤرخ البريطاني توينبي بين انحلال الحضارات وانتشار الفساد في الفكر والسلوك

نظرية ابن خلدون (ت٧٣٢ هـ)

يرى ابن خلدون أن حركة الحضارة تأخذ شكلاً دائريا، تبتدىء بالبداوة ثم التحضر فالترف فالتدهور (٧).

ويرى ابن خلدون أن البداوة تتسم بالخشونة، ويظهر في أهلها الشجاعة والبسالة، إضافة للترابط والعصبية، وبفضل ذلك يتحقق تأسيس دولة يأتي بعد ذلك التحول إلى التحضر، حيث تتقدم الحضارة وترقى الدولة، وبعد مدة يسقط الناس في «الترف» الذي لا يلبث أن يسلمهم إلى التدهور والسقوط.

ويعتقد ابن خلدون أن الحضارة هي غاية العمران، وهي من جهة أخرى نهايته، فمتى وصلت الحضارة إلى هنا، عندها تتحول مجددا إلى البداوة لتنتهي إلى التدهور والسقوط، فهي دورة كاملة تبدأ بالبداوة لتنتهي بالسقوط.

نظرية الحضارة عند فيكو

عاش فيكو في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر، وهو يعتقد بأن التاريخ يمكن تفسيره بشكل علمي، فالمجتمعات تمر بمراحل معينة من «النمو والتطور والفناء» فهناك حلقات حضارية، حيث ينتقل الناس من البربرية إلى المدنيه بفضل «العناية الإلهية» التي تشمل الوجود كله.

ودورات الحضارة يفضي بعضها إلى بعض ثم تعود، وإن كان التاريخ لا يعيد نفسه بالضرورة، إذ ليس له عجلة تدور حول نفسها، بحيث تمكن مفسر التاريخ من التنبؤ بالمستقبل. وهو يعتقد أن الدورة تكون «لولبية» صاعدة متجددة، تشبه حركة «صاعد الجبل» الذي يدور حوله ويرتفع، حتى يصل القمة، فكل دورة تعلو على سابقتها وتزداد اتساعاً وشمولاً، وهكذا تبدأ الحضارة والمجتمع بالبربرية، وتتطور وتتقدم لتنتهي بالانحلال والبربرية، ولتبدأ من جديد دورة أخرى، تعلو سابقتها لتنتهي بالانحلال، وهكذا تتشابك الحلقات في صعود دائم، ففكرة «التقدم» أساسية لدى «فيكو» وإن كان التاريخ لايسير في خط مستقيم، وإن كان لكل حضارة طابعها الخاص، وهو يميز بين ثلاث مراحل متتابعة: اللاهوتية والبطولة والإنسانية، وكل واحدة أعلى من سابقتها(٨).

وقد نقدت هذه النظرية من أكثر من جهة، فالمراحل متداخلة، وتوجد في المجتمع الواحد، ويرى بعض النقاد أن «فيكو» استلهم نظريته من التوراة.

أدوار الحضارة عند اشبنجلر

يرى اشبنجلر أن الحضارة – ككل كائن – لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها، وهي تموت عندما تحقق روحها وتستنزف إمكاناتها، ثم لا تلبث أن تتخشب متحولة إلى «مدنية» ثم لا تلبث أن تنحل وتفنى (٩).

لكنه يعود ليشبه الحضارة بفصول السنة فيقول (١٠): (للحضارة ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، وصيفها الذي تنضج فيه، وخريفها الذي يسوده التحليل العقلي، وشتاؤها الذي تكون فيه قد استنفدت جميع إمكاناتها الداخلية، فتنصرف إلى الاهتمامات المادية وإلى الفتوح الخارجية، ويكون هذا مقدمة لانحلالها وانهيارها).

ثم يتحدث عن فاعلية الحضارة فيقسمها إلى ثلاثة أدوار:

١ – دور سابق للحضارة .

٢ – دور الحضارة الفاعلة.

٣ – دور الحضارة المستنفدة وتؤدي إلى الانحلال.

ويعتقد اشبنجلر أن حضارة الغرب قد وصلت إلى الدور الثالث، وهي سائرة للإنحلال حتماً، وعلى الغربيين أن يجابهوا هذا المصير بشجاعة ووعي (١١).

في حركة الحضارة

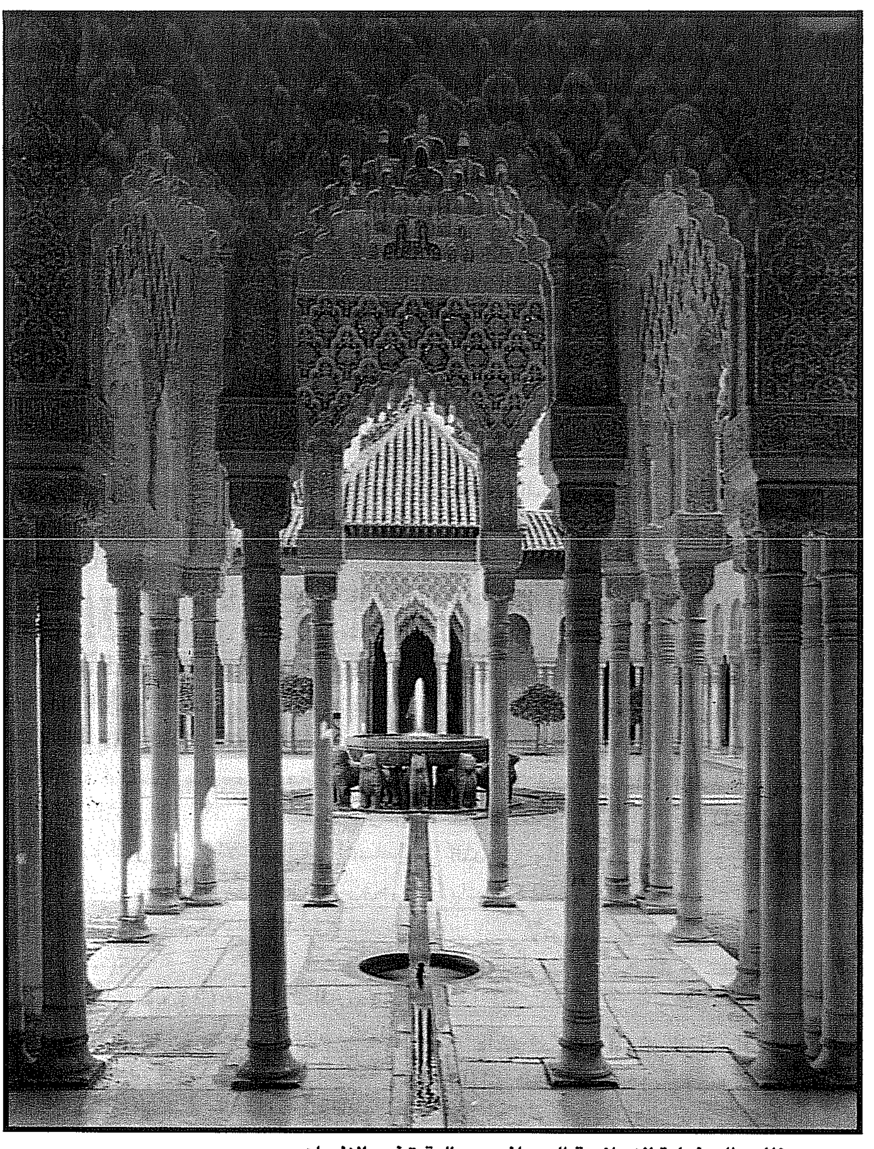
وهذه الحتمية في النمو والتطور والانحلال تتحقق في جميع الحضارات دون اختلاف، حتى اكتمال الإبداع يقع في ذات الأوقات، ولكل الحضارات، ومن هنا جاء النقد الشديد لهذه النظرية، وخصوصا من قبل «توينبي».

ومن جملة ما يرى اشبنجلر أن الحضارات لا تنتهي، تقدم منها الكثير، ومايزال في الطريق مثلها أو أكثر، وما الحضارة الغربية إلا واحدة من هذه الحضارات، ولكن استغرق أصحابها في حب الذات، فتوهموا أنها مركز لكل الحضارات (١٢).

لقد هوجمت نظرية اشبنجلر بقوة، خصوصا في الغرب، وعلى الأخص إيمانه بتدهور الحضارة الغربية وسقوطها، كما هوجم لأخطاء تاريخية وقع فيها، وهوجم تشبيهه للحضارة بالإنسان، فالإنسان له أطوار حياتية تمتد من الجنين حتى الموت، أما الحضارة فيمكن أن تجدد شبابها، وتعالج الاخطاء الكبرى، فلا وجه للشبه بين الحضارة والإنسان.

نظرية توينبي

كتب المؤرخ البريطاني توينبي «تاريخ العالم» تم طرح نظرية يفسر بها التاريخ وحركة الحضارة، فيشبهها بحركة العجلة التي تدور على محور دورات متكررة متتابعة، وبفضل ذلك تسير العجلة، وهكذا فإن للحضارة حركة شاملة متقدمة إلى الأمام، ناتجة عن حركة دورية جزئية، ويشبه حركة الحضارة بحركة «مكوك» الحائك فهو مستمر في الذهاب يمينا وشمالا، وعلى وتيرة واحدة، وبفضل هذه الحركة يتم النسج المطلوب، وهكذا تنسج الأيام التاريخ من خلال تكرار الأحداث، وهكذا يتصور توينبي وجود حركتين، حركة إلى غاية أمامية أو خلفية، وحركة دوران حول النفس مثل حركة المكوك (١٣).



● من مظاهر الحضارة الاسلامية العمراني: جمالية تخدم الانسان

ومع إيمان توينبي بدورة الحضارة، لكنه يرفض نظرية اشبنجلر وصيحته وقوله بأن الحضارة مثل الكائن الحي، تولد وتنمو وتشيخ وتموت، كما يرفض نظرية ابن خلدون في دورة الحضارة.

كذلك يهاجم فكرة أن كل حضارة لا بد أن تتقدم حتى تكمل نموها، فهو يرى أن بعض الحضارات توقفت، ويعد من ذلك البدوية والعثمانية، فهي لم تستكمل كل منهما نموها، وله في نمو الحضارات أفكار جيدة، وكذلك في انحلال الحضارة وسقوطها، فهو يرى «بحق» أن الإنحلال يزامنه ويرافقه عادة فساد كبير يدب في أرواح الناس، وتغيير جذري في سلوكهم ومشاعرهم، فيقوم مكان الصفات الجيدة والقوى المبدعة نوع من «الثنائية»، في المواقف والنزعات المتناقضة، مما يكشف عن فوضوية وفساد روحي، يشمل الأخلاق والعادات، وانحطاط يسود الآداب والفنون، وهكذا تسقط الحضارة وتنهار.

ولعل خير مناقش لنظرية «توينبي» هو «سوركن» الروسي الأصل، والأمريكي الجنسية (١٤) ومن المعجبين بماركس.

سيغريد هونكة

كاتبة ومفكرة ألمانية اشتهرت بكتابها «شمس الله تسطع على الغرب» أما كتابها

الجديد «من أفول الغرب إلى طلوع أوروبا تغير العقلية واحتمالات المستقبل» صدر عن دار النشر «هورتسونته فرلاغ» وعدد صفحاته (٣٣٥) صفحة.تطرح المفكرة فكرة ملخصها : أن حضارة الغرب صائرة إلى أفول لكن أوروبا لن تزول، وهي بهذا الطرح تخالف كلا من «نيتشه» الفيلسوف المتغطرس واشبنجلر مفسر التاريخ المتشائم.وترى أن الزائل من حضارة الغرب هو «الخاصية الغربية» فقط، كما تعتقد أن الانهيار الشامل لكافة القيم في الغرب المسيحي، شرط أساسي لكي تكتشف أوروبا هويتها الحقيقية، وتحقق نهضة فكرية. ولا تشارك سيفريد اشبنجلر آراءه بوجود قانون طبيعي قاهر، أو حتمية تسري على كافة الحضارات، من النشوء إلى السقوط، ولا الدورات الحضارية، إنما ترجع ذلك إلى أسباب بنيوية نفسية ليس إلا. وبموجب نظريتها في العوامل «النفسية والفكرية» تفسر سر تقدم الحضارات وتراجعها، فمتى تغيرت هذه العوامل خلال العمليات التاريخية، أحدثت الأثر في الحضارة.وتطرح نظريتها على الوجه التالي: إن شعبا من الشعوب متى صرف وأبعد، في زمن مبكر عن ثقافته ومعتقداته، ودينه وقيمه، وذهنيته وتصوراته، عن طريق الاحتلال أو التبشير، ثم تغلبت ثقافة أخرى على ثقافته، عندئذ يمر ذلك الشعب المغلوب، بفترة تتغير فيها القيم تغييرا كاملا، ويحدث خلل في التوازن، وتفسد الأخلاق فساداً كبيراً، ثم يحصل الانهيار، يعقب ذلك مرحلة يسودها الانسجام والتعود على الجديد، والتعامل معه، بشكل إيجابي، فتحدث نهضة ثقافية، قد توصل إلى مرحلة حضارية مزدهرة، لكن هذا الازدهار ما يلبث أن يتوقف ثم يتحول إلى ركود، يعقبه تقهقر وانهيار، وهذه الدورة تحدث لا بسبب شيخوخة الحضارة - كما يراها البعض - وإنما لأن عقلية الشعب تعارض البنية الفكرية، التي جاء بها الغالب، إذ هي بنية فكرية «غير مناسبة» تحدث مع الوقت فراغا في النفوس، فينبذها الناس آخر الأمر، ثم يعزز هذا الفراغ أزمة فكرية ونفسية خطيرة، لكنها تكون ضرورية، لأنها تمهد لظهور العقلية الأصلية من جديد، تلك العقلية التي كبتت زمنا طويلا وسجنت، فمهمة «الأزمة» أن تهيء الظروف المواتية، لنهضة ثقافية جديدة، تقوم على قاعدة «العقلية الأصلية»، وتسد الفراغ الفكري، وتطلق القوى الفكرية، وفقا لطبيعتها الذاتية، وقوانينها الخاصة.

الغزو الفكري وحركة الحضارة

وابتداء استطيع القول بأن هذه النظرية تصلح إلى حد كبير، لتفسير الأزمة التي نمر بها، فالغرب حين غزانا عسكريا، أردف ذلك بغزو ثقافي حضاري شامل، هز قيمنا ومعتقداتنا وتصوراتنا، ثم تصور الكثير منا إنه متى أخذ ثقافة الغازي وقيمه وتصوراته، فإنه سيلحق به وقد يتفوق عليه، ومع فشل التجارب الغربية، عاد الكثير منا إلى ثقافته وقيمه ومعتقداته وتصوراته الأصلية، وقد شخص المستشرق «جاك بيرك» أزمتنا أفضل تشخيص حين حاوره مندوب مجلة عربية قائلا(١٥) (تقول في كتابك «الإسلام في مواجهة التحدي» مخاطبا الحكام العرب والمسلمين: استمروا في فبركة دول تقوم بوظيفة «الدركي»، في هذه المنطقة أو تلك، وإقامة أنظمة تصنع في مختبراتكم، حاولوا تطبيق الاشتراكية المستوردة، أو الديمقراطية البرجوازية، أفرضوا أنظمة الحكم الغربية، تحت شعار «العصرية» أو الأنظمة المضادة تحت شعار «التحرير» فستجدون الأفراد والجماعات يبحثون عن حقيقتهم بعيدا عن جميع محاولاتكم، لا بل إن الإسلام لمعظم هؤلاء قريب جدا، بل هو أقرب إليهم من حبل الوريد.

فشل التبعية

جواب جاك: هذه الحقيقة هي بالفعل أهم ما توصلنا إليه، نحن المراقبين الأجانب، وربما شاركنا في ذلك عدد كبير من المراقبين في العالمين العربي والإسلامي، فكل سياسة ذات صفة «تبعية» مرتبطة بأي نظام سياسي يتجه يمينا أو يساراً، أو بينهما، قد انتهت إلى الفشل، وما نراه في العالمين العربي والإسلامي منذ سنين، هو «خيبة أمل» الجماهير الشعبية في الأنظمة ذات الصبغة اليسارية أو اليمينية أو الليبرالية، لذا عادت الجماهير إلى ماتملكه من نظام أكثر ملائمة لها، وأكثر تجذرا في نفوسها، وأعني به «الإسلام» الذي لم يزده توالي العصور إلا تألقا ورسوخاً.. فأمام «الناصرية» التي فشلت وغرقت في البيروقراطية والخراب الاقتصادي، وأمام الفشل للنظام اليميني الذي أقامه «الشاه» وغرق في الطغيان والفوضى، وأمام فشل الأنظمة اللبرالية في بعض أنحاء العالم الإسلامي، والتي لم تكن سوى أقنعة لهيمنة الاستعمار الجديدة أمام جميع هذه الحالات من الفشل، وجدت الجماهير أن «خلاصها» لن يتحقق إلا بالعودة إلى ما هو أكثر «خصوصية» بها، وهي وإن لم تذكر الخصوصية بالذات، بل ذكرت «الإسلام» كما لم تذكر القومية، لأن الإسلام أقوى تأثيراً في النفوس من القومية، لأنه أقوى خصوصية منها ومن غيرها، فالأمة نفضت يدها من جميع الأنظمة، وهي تريد الإسلام، وخلافها مع حكامها حول هذا الأمر، وكل اختراع لمعارك فرعية كاذبة لا قيمة له.. إذن هكذا فجعت الأمة بثقافة وقيم غريبه، فرضت فرضا، ومازال يروج لها في كافة الوسائل، مع ثبوت الفشل الكبير، كما صوره المستشرق جاك بيرك.

وهذا المستشرق «فيليب روندو»(١٧) يشارك زميله ذات القناعة إذ يرى فشل التيارين الغربيين الرأسمالي والاشتراكي في إحداث أي تغيير نافع في العالمين العربي والإسلامي، وما قدمته الرأسمالية هو إحداث فصل بين أقلية «متغربة» ذات امتيازات وجماهير

■ يرى ابن خلدون أن حركة الحضارة تأخذ شكلاً دائرياً، تبتديء بالبداوة وتمر بالتحضر والترف وتنتهي بالتدهور

في حركة الحضارة

متروكة للفقر والتخلف.

المعطيات الدينية اكثر فاعلية

وكانت المعطيات الدينية هي الأكثر فاعلية، إذ طرحت كأساس روحي وأيديولوجي، ثم شكلت المعطيات الثقافية قاعدة مشتركة لكافة الطبقات الاجتماعية، ولكل البلدان الداخلة في «مجال الحركة الإسلامية» مانحة هذه المرحلة نوعاً من الشرعية التاريخية ومن «الأصالة الثقافية» لذا ليس من المستغرب أن يأخذ هذا التيار مداء إلى الحد الذي نراه اليوم، وهكذا أدرك الغرب «أخيرا» أن الإسلام السياسي يمكن أن يكون انعطافا في تاريخ التحرر الوطني، بالنسبة إلى بعض البلدان الإسلامية.

فحسب نظرية سيفريد إن الشرق الإسلامي، الذي فرضت عليه قيم وتصورات ومعتقدات غريبة عنه، تجرعها حينا، ثم هو يعود إلى أصالته وقيمه، تاركا تلك القيم، متشككا كل التشكك في جدواها وفائدتها.

وهذا د.هشام شرابي الكاتب العلماني – كما يصف نفسه – يتحدث عن العلوم الإنسانية في العالم الثالث، فيرى أنها غربية الأساس والهدف والتصميم(١٨) (... إن أنظمة المعرفة وأساليب البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، هي أنظمة وأساليب غربية في أشكالها، غربية في صميمها، فالعلوم الإنسانية والاجتماعية في العالم الثالث كلها، في العصر الحديث مستمدة من الغرب، وتنتج وتعيد إنتاج المعرفة الغربية محليا، من هنا يمكننا تفهم أسباب الرفض المطلق عند «الأصوليين» وإصرارهم على العودة إلى الدين والتراث، لاستعادة الهوية الأصلية من خلال معرفة تراثية مستقلة عن كل الأطر والمفاهيم الأجنبية..) إهـ.

ويتحدث د. شرابي عن المعرفة المنقولة والمستوردة، فيرى أنها لا يمكن بحال أن تحرر فكراً، أو تطلق قوة مبدعة، أقصى ما يؤمل منها تعميق التبعية (١٩) (المعرفة المنقولة أو المستوردة والتي تفشي الوعي المنقول أو المستورد – لا يمكن أن تحرر الفكر، أو أن تطلق قوى الخلق والإبداع في الفرد أو في المجتمع، بل هي تعمل في أعمق المستويات على تعزيز علاقات التبعية الثقافية والفكرية والاجتماعية).

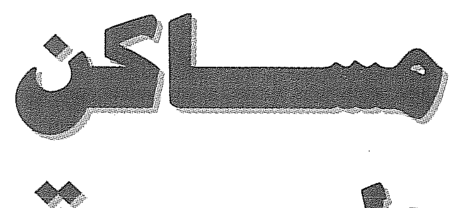
هذه شهادة رجل هجر وطنه واستوطن الولايات المتحدة، ويعلن دون كلل عن علمانيته، ثم هو يصرح بأن التابع لا يمكن إلا أن يعيش ويموت تابعاً، وقديما قال علماؤنا : التابع تابع ولا يفرد بحكم. فهل يكف تجار «التغريب» عن المتاجرة ببضاعتهم، أم تراهم استمرؤا ذلك؟، ومن يهن يسهل الهوان عليه!!! ختاما« الحضارة تتحرك وبين العناصر الفاعلة «تدافع وتصارع» كذلك الذي أشار إليه قوله تعالى .. ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ البقرة/ ٢٥١ واليوم هناك شعور كبير في أمتنا بالقهر والاقتلاع، والدفع بنا إلى متاهات مظلمة، وإبعادنا عن ديننا وعقيدتنا ومصالحنا، وحتى أحلامنا، يقوم به الغرب محرضا ومخططاً، ويقوم به مغتربون من أبناء من جلدتنا، من هنا راحت جماهيرنا، تنكفىء على مقوماتها وهويتها وتاريخها، وكل أمة تواجه خطرا كالذي تواجهه لاتستسلم، بل تحارب بكل الوسائل الشريفة، وتعود إلى ثقافتها الأصلية – كما ترى سيفريد، وإلى أخص خصوصيتها وهو الإسلام، الذي قال عنه «جاك بيرك» بأنه أقرب لهذه الجماهير من حبل الوريد. إن الإسلام بالنسبة لجماهير الأمة هو «طوق النجاة» أحب ذلك الغرب أم كره، وغضب الأذناب أم رضوا، ﴿ والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف/ ٢١] ■

■ لقد صار الإنسان أكثر ذكاء ووعيا، ولكن هل صار أكثر سعادة أو أنبل خُلُقاً؟

الهوامش

١) في فلسفة الحضارة الإسلامية / د. عفت الشرقاوي ص ١٧٣ الطبعة الثانية، وفي معركة الحضارة / د.قسطنطين زريق ص ١٥١ الطبعة الرابعة، وتفسير التاريخ / للكاتب ص ٤٣ الطبعة الأولى.
٢) في معركة الحضار ة ص ١٥٤
٣) في فلسفة الحضارة ص ١٨٠.
٤) سقوط الحضارة / كولن ولسون ص ١٦٤ الطبعة الثانية.
٥) دولة الفكرة / د. محمد فتحي عثمان ص ٨٩ الدار الكويتية
٦) سقوط الحضارة ص ٨.
٧) في معركة الحضارة ص ١٥٨.
٨) في معركة الحضارة ص ١٨٧ والحضارة الإسلامية / د. الواعي ص ١٤٤.
٩) تدهور الحضارة اشبنجلر / ترجمة أحمد الشيباني ١/ ١٢، ١/ ٢١٨ دار الحياة.
١٠) المرجع السابق، وفي معركة الحضارة ص ٦٤.
١١) في معركة الحضارة ص ٦٥
١٢) في فلسفة الحضارة الإسلامية ص ١٩٧.
١٣) في معركة الحضارة ص ١٦١.
١٤) التفسير الإسلامي للتاريخ / د. عماد الدين خليل ص ٨٩ الطبعة الثانية.
١٥) مجلة المجلة السعودية العدد (٥٦) عام ١٤٠١هـ.
١٦) الصحوة الإسلامية للكاتب ص ٢٧ الطبعة الأولي.
١٧) المرجع السابق.
١٨) النقد الحضاري للمجتمع العربي / د. هشام شرابي ص (٣٦) الطبعة الأولي.
١٩) المرجع السابق ص (١٥١).

هل تعيش في بيت ضيق، ازدحم فيه الأثاث، وتراكمت في زواياه الأشياء، وكادت تخرج من خزائنه الثياب؟ هل مللت من إصلاح صنابير المياه، وضقت ذرعا باستمرار انقطاع الكهرباء، وكثرت في جدران بيتك وسقوفه الشقوق؟ هل لاحقتك الإنذارات بدفع إيجارات بيتك الشهرية المتراكمة، وتمنيت لو كنت تملك بيتا يغنيك عن البيوت المؤجرة؟



مساكن طيبة

بقلم: محمد رشيد العويد *

لعلك توافقني على أن البيت الواسع، المريح، ذا المرافق الصحية الحديثة، المجهزة بمختلف وسائل الراحة، المبرد صيفا، المدفأ شتاء، هو ثلث العيش المريح في هذه الدنيا، إن لم تكن له نسبة أكبر. وتوافقني على أن الإنسان يمضي أكثر من نصف عمره في بيته، ولعل المرأة تمضي فترة أطول بكثير في البيت.

إذا لم يتحقق مرادك في مسكن مريح، واسع، جميل.. في الدنيا، فسيتحقق مرادك، إن كنت من المؤمنين الصالحين، وشملك الله برحمته، في بيت في الجنة. فكيف يكون بيت الجنة؟

يصف سبحانه مساكن الجنة بأنها طيبة: ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة:٧٢].

«ومساكن طيبة» أي حسنة البناء، طيبة القرار، فهي «قصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر»، وهي «المساكن التي يطيب العيش فيها»، وهي «طاهرة زكية مستلذة، وهذا إشارة إلى حسنها بذاتها».

ووصف المساكن بأنها طيبة لها دلالة هامة، فلا يكفي أن تكون المساكن فاخرة البناء، فاخرة الأثاث والرياش، ليكون العيش فيها طيبا، فكم من القصور في الدنيا لا يجد فيها أصحابها العيش الطيب، ولا توفر لهم الإقامة الهانئة، المطمئنة، لأن نفوسهم غير مرتاحة وغير مطمئنة، ومن ثم فلا يطيب العيش فيها.

ويتأكد هذا المعنى في آية أخرى في سورة الصف: ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن. ذلك الفوز العظيم ﴾ [الصف:١٠-١٢].

عن ابن عباس أنها دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت: يارسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها؟ فقال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران، وحصباؤها الدر والياقوت، فيها النعيم بلا بؤس، والخلود بلا موت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه».

وقال ابن مسعود: جنات عدن بطنان الجنة. قال الأزهري: بطنان الجنة وسطها. وبطنان الأدوية المواضع التي يستنقع فيها ماء السيل، وأحدها بطن. وقال عطاء عن ابن عباس: هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن، وهي المدينة التي فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى، وسائر الجنات حولها، وفيها عين التسنيم، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب، فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأذفر. وقال عبد الله بن عمرو: إن في الجنة قصرا يقال له عدن، حوله البروج، وله خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حرة، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد».

ولقد جاء الحديث عن مساكن الجنة بلفظ «الغرف» و«الغرفات» كما في الآيات الكريمات التاليات: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ [الزمر:٢٠].

في صحيح مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم. كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله.. تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى.. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

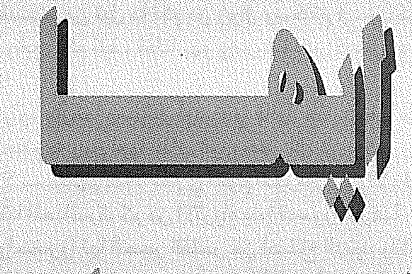
إن المرء في الدنيا يبذل الكثير لبناء مسكنه في الدنيا، وتجميله، وملئه بما استطاع من الأثاث والرياش، والأجهزة الحديثة المختلفة، لكنه مايكاد يشعر أنه اكتمل حتى يرحل عنه: بل يرحل عن الدنيا كلها.

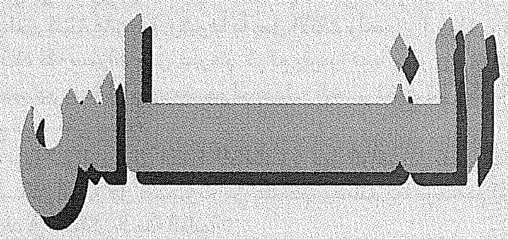
ولقد ذكرنا سبحانه بهذه الحقيقة: حين أخبرنا عن الأقوام الذين نزل بهم العذاب والهلاك: فمضوا وبقيت مساكنهم: تحمل العبرة، وتحكي العظة، وتذكر من يأتي بعدهم بأنه لا خلود.. بل إن أعمارهم أقصر من أعمار مساكنهم: قال تعالى: ﴿ وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل. أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ [إبراهيم:٤٤ - ٤٥].

﴿ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم، قالوا: هذا عارض ممطرنا. بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ [الأحقاف:٢٥].

وفي حياتنا المعاصرة، كم من الأثرياء بنوا قصورا فارهة، بذلوا لها المال الكثير، وأحضروا لها الحجر الفاخر من أصقاع الدنيا، والأجهزة الحديثة من آخر المخترعات، وفرشوها بأجمل الأثاث وأحسن الرياش، وأمضوا في ذلك كله سنوات من عمرهم، ثم لم يقيموا فيها سوى سنوات قليلة. وبعضهم عدة أيام، وبعضهم لم يمهله العمر فمات قبل اكتمالها، فلم يقم فيها حتى ساعة.

فيا أيها الراكنون إلى الدنيا، المطمئنون بها، الراضون بمساكنها دون مساكن الجنة هل صحوتم من غفلتكم، وعملتم بما يوصلكم إلى حياة الخلد في مساكن الجنة الطيبة ؟





شعر :محمود مفلح

اتق الله أيهذا الهمام
وتيقّظ فلا يضيع الزمامُ
اتق الله فالدنانير صفر
وحكايا «رصيدنا» أوهام
نحن ظل على الحياة ونمضي
ما لظل على الحياة دوام
فلماذا يئزنا الطمع الوغْد
وتفرى قلوبنا الأسقام؟
ولماذا يكيد بعضٌ لبعض
ولماذا تقطّع الأرحام؟
ولماذا لانستسيغ حلالا
وعلى الموبقات هذا الزحام؟
ولماذا ينفي الكرام من الأرض
وفيها يعربد الأقزام؟

سقطت أمة، وضاعت شعوب
لم يحكم مسارها الإسلام
وإذا غابت العقيدة يوما
عن أناس، فإنهم أنعام
وإذا صارت القلوب هواءً
فعليها وحامليها السلام

أيها الناس نحن أمة ذكر
ولنا في تراثنا أعلام
أمة زفها الزمان فكانت
كعبة للهدى، ومنها الإمام
أمة، زلزلت صروح الطواغيت
وفرت في دربها الأصنام
لم تغادر مرابع النصر حتى
غادر الحب روضها والوئام
أمة أيقظت نجوم المعالي
البرايا كل البرايا نيام
ولها في ذرا الحضارة شمس
ولها في ذرا الفتوح حسام
ولها منهج مضيء وغاي
ولها في كتابها أحكام
ولها هذه الكواكب في العلم
وهذا الابداع والالهام
هكذا تبسط الموائد في الغر
ب، ونجزي كأننا الأيتام؟!

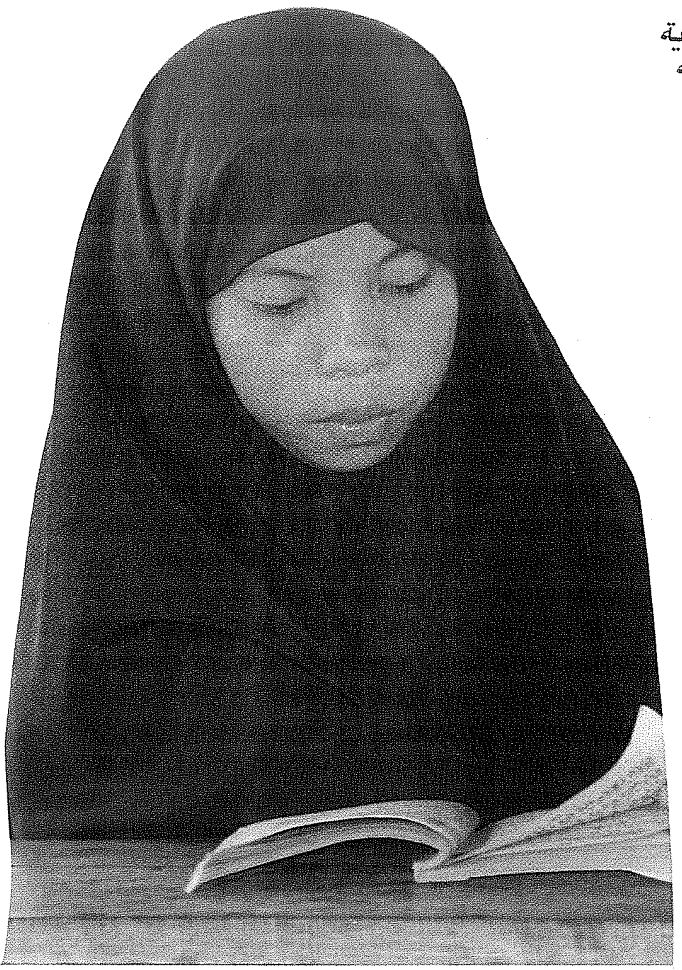
رضع الناس من لبان العداوا
ت ولم يدرك الرضيع الفطام!
لا وربي لسنا على الأرض بدعا
مثلما زينت لنا الأفلام
نحن أدرى بأننا أمة الحق
وفينا ستشرق الأيام
الشتاء الثقيل سوف يولي
عن ربانا وسوف يشدو الحمام
خضرة الأرض نحن في زمن العقـ
ـم ونحن الأفكار والأقلام
وعيون الزمان سوف ترانا
ولدينا بعدالضياع الزمام
أيها الناس كيف مزق شملي
وتداعى على هذا الظلام
كيف ماتت على الشفاه التسابيـ
ـح وضلت طريقها الاقدام؟

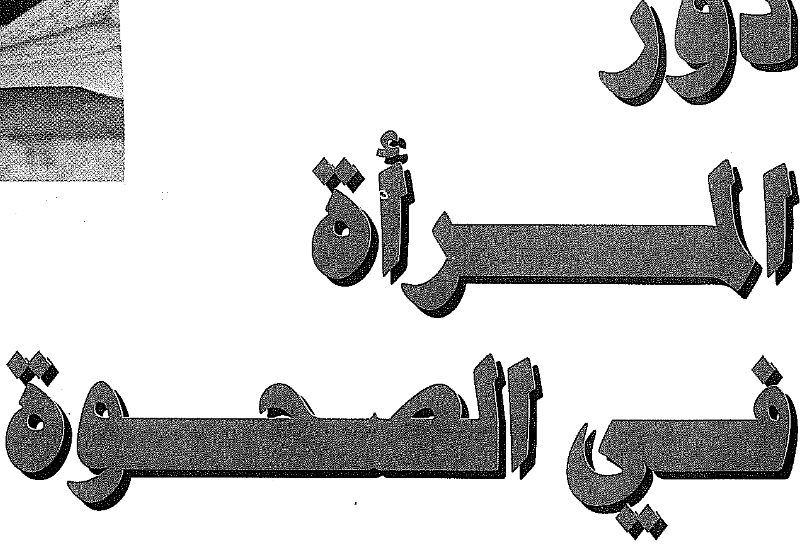
وأرى الناس سادة وعبيدا
بعضهم قاعد وبعض قيام
بعضهم يأكل الخشاش من الجوع
وبعض من تخمة لاينام؟!
وأرى جاهلا يقود السرايا
وحصيفا يصد عنه الأنام
وأرى باطلا يسدد حقا
وحقوقاً كأنها آثام!
وعييا يجرب القول فينا
وفصيحا يضيع منه الكلام

وبلاد الإسلام تزفر نارا
حل فيها الطاعون والاجرام
صب فيها الحقد الصليبي
سوطاً عن عذاب، ودبر الحاخام!
يذبح المسلمون في كل أرض
كالمواشي ويخرس الإعلام!
ويغوص الأطفال في الدم والنا
ر فلا حيرة ولا استفهام؟
يادماء الإسلام تسفك سفكا
هل لدينا من بعدها إسلام؟
وإذا قطة من الغرب ماتت
ضجت الأرض واستفاق النيام
فلماذا الاسلام؛ يا أيها القوم
لماذا يا أيها الأعلام؟!
وحدنا وحدنا نقاسي وفينا
كل يوم تجرب الألغام
هل عنانا بقولة المتبني
ما لجرج بميت إيلام)
إنها محنة الشراع وهذا
الموج من حوله وهذا الظلام

هل هناك صحوة إسلامية، وإذا كانت هناك صحوة إسلامية حقة فما دور المرأة المسلمة فيها، وما دور الفتاة المسلمة بصفة خاصة؟ وما دور الفتاة الجامعية بصفة أخص؟

– لا شك أننا نعيش صحوة إسلامية ولا شك أن المسلمين قد أتى حين من الدهر غفوا فيه غفوة طويلة كانت رحمة وخيرا من الله، ودخلت عليهم الدول المعادية من الشرق ومن الغرب والشمال والجنوب، وغزتهم وانتزعتهم من إسلامهم الصحيح وفرضت عليهم تشريعات غير إسلامية من أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية غير إسلامية.. لقد حدث هذا كله في فترة من الفترات، وشاء الله سبحانه وتعالى – بعمل المجددين والدعاة والمربين – أن تقوم دعوات إسلامية في كل مكان وهذا أمر طبيعي يتفق مع طبيعة الأمة الإسلامية، لأنها أمة لا يمكن أن تموت كما أن الإسلام لا يقبل أن يظل أهله نياما، فالدين ينفخ في أهله الروح، ويبعث الله بين الحين والحين من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، ولا تزال طائفة من هذه الأمة يقومون على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ولذلك انطلقت الصيحات تعمل على الإيقاظ والتجديد حتى كانت الصحوة الإسلامية التي نعيشها حاليا.





بقلم الأستاذة: خديجة علي شعبان

آثار ملموسة للصحوة الإسلامية

تظهر هذه الآثار بوضوح في العودة إلى المساجد، فقد كنا في وقت من الأوقات لا نرى في المساجد الا كبار السن من الرجال، والآن نجد عشرات الآلاف من الشباب لدرجة أن بعض البلاد عملت بنظام القرعة نظرا للتزاحم الشديد على آداء فريضة الحج بين الشباب. ومن مفاخر هذه الصحوة عودة الفتاة المسلمة عن قناعة واختيار للحجاب والزي الشرعي الذي أمرها الله به حيث قال: ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾ الأحزاب/ ٥٩.

– لقد كان الالتزام بالحجاب الإسلامي شاذا في نظر كثير من المسلمين إلى وقت قريب، فقد كان الإنسان يسير في بعض العواصم العربية في وقت من الأوقات لا يكاد يجد امرأة محجبة، حتى العجوز الشمطاء، تسير في الشوارع سافرة متبرجة... والآن نرى الحجاب الإسلامي قد انتشر بين الشابات المسلمات والنساء المسلمات عموما.. وليس هذا في دول الخليج فقط ولا في بلاد العرب والمسلمين. وانما خارج بلاد المسلمين كذلك، ولسنا مبالغين إذا قلنا إنها صحوة عالمية، بل إن هذا هو الواقع.

الشباب المثقف والشابات المثقفات

المعروف أن الشباب المثقف والشابات المثقفات هم العمود الفقري للأمة، فهل لهؤلاء دور في الصحوة الإسلامية؟

نعم لم يعد التدين مقصورا على كبار السن كما قلت، بل نلاحظ أن الشباب هم الأكثر حرصا على التدين والأكثر حماسا للإسلام..

فالبنت تناقش أبويها وأهلها والولد يناقش أبويه وأهله، لأن هناك فهما «جديدا» للإسلام إنها بحق صحوة الشباب المثقف صحوة الفتى الجامعي والفتاة الجامعية، فهذه ليست صحوة الرجال فحسب، وانما للمرأة دور بارز فيها، إنها صحوة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات والقانتين والقانتات ولن تكون إلا كذلك فالله تعالى يقول: ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرت أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ الأحزاب/ ٣٥.

والمرأة – كما نعرف – نصف المجتمع أو أكثر ولا يمكن إغفال دورها لأن هذه الصحوة ستعطيها حقها الطبيعي وستحدد ملامح شخصيتها التي تميزها عن غيرها.

عمل المرأة في ظل الصحوة المعاصرة

إن عمل المرأة متشعب الجوانب، فهناك عملها مع نفسها وهذا يتمثل في بلورة شخصيتها بما يتفق مع الإسلام من ناحية العقيدة والفكر، ومن ناحية الخُلق والسلوك فتطارد الأوهام والخرافات، خرافات الجن والشعوذة والعفاريت وضرب الرمل وفتح الكتاب وقراءة الكف والفنجان.

على المرأة المسلمة أن توثق صلتها بربها وأن تنقي فكرها من آثار الغزو الفكري، وتعرف كيف ترد على الشبهات والأباطيل التي ألصقت بالإسلام، عليها أن تفهم لماذا تأخذ نصف ما يأخذه الرجل في الميراث، ولماذا تكون شهادتها نصف شهادة الرجل أحيانا.. لا بد من فهم هذا كله، حتى يكون إسلامها نقيا.. عليها أن تقوّم خلقها بما يتفق مع الإسلام وسلوكها بما يطابق آداب الإسلام.. عليها ألا تظل أسيرة للمرأة الغربية، فالمرأة الغربية شيء والمسلمة شيء آخر، إذ أن الغربية لا تتقيد بمنهج الحلال والحرام فالعلاقات الجنسية عند الغرب أشبه بكلأ مباح.. أما عند المسلمين فهناك الحرام والحلال كما شرع الله تعالى.

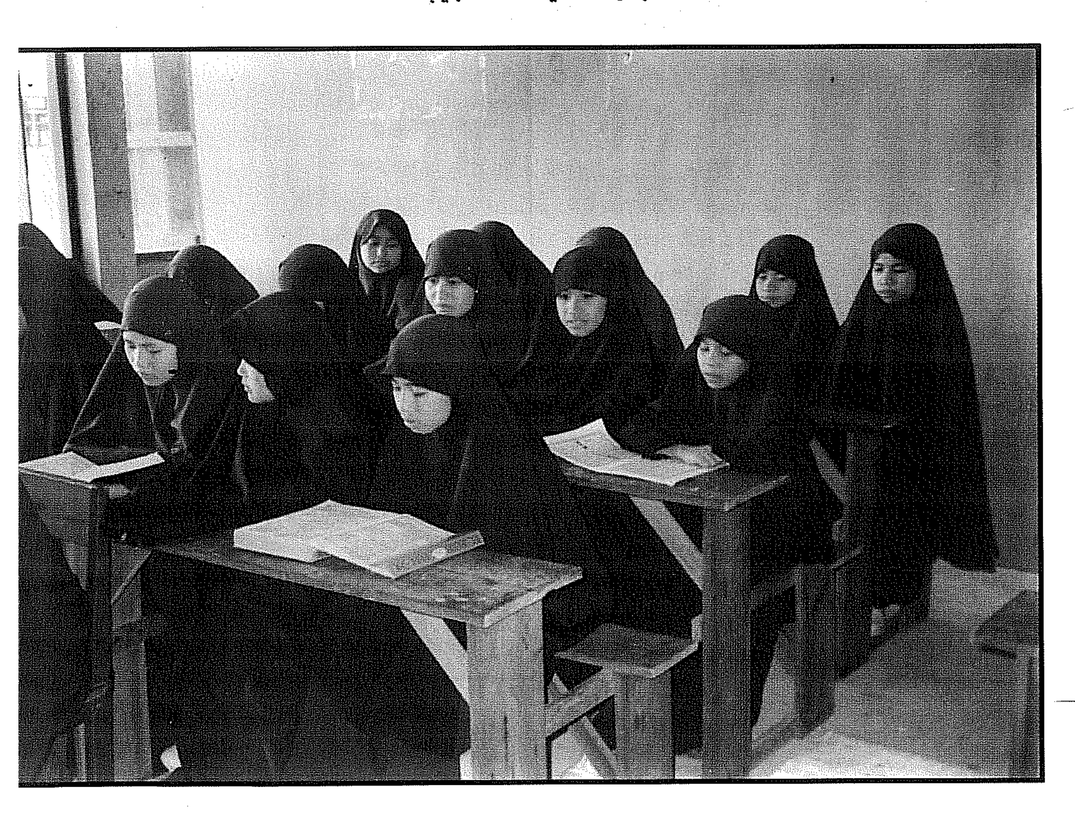
شخصية المرأة المسلمة أقوى

إنني اتعجب من بعض التصرفات.. فإطالة الأظافر مثلا ما الحكمة منه؟ وما الجمال الذي يضفيه على المرأة حينما تتشبه بالسباع أوالوحوش؟ وقد كرم الله الإنسان ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ التين/ ٤ إن من سنن الفطرة تقليم الأظافر، ومطلوب من المرأة المسلمة ألا تقلد لمجرد التقليد، فتقصير الثوب مناف لمبادىء الإسلام الذي طلب من المسلمة أن تغطي جسدها لأن جسدها كله عورة ولا يحل لأحد أن ينظر إليها إلا زوجها أو ما حرّمه الله عليها من الرجال الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الأحزاب ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولانسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله على كل شيء شهيدا ﴾ الأحزاب/ ٥٥

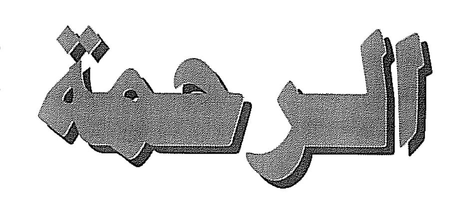
فالمسلم والمسلمة ليسا ذنبا للغربيين والشخصية الإسلامية مستقلة ومتميزة في سلوكها عن غيرها في مظهرها وفي مخبرها، فبمجرد رؤية المسلمة أو المسلم يكون الانطباع عن الإسلام.

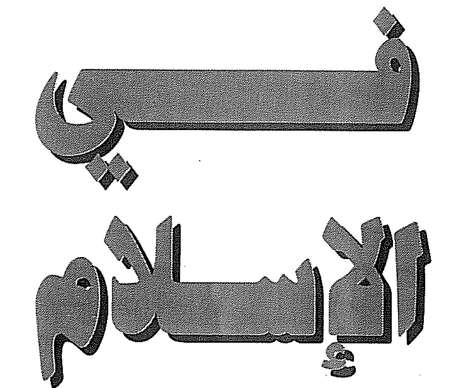
– والدور المطلوب منا لخدمة الدعوة الإسلامية هو أن نتمثل تعاليم الإسلام في سلوكنا وفي كل شأن من شؤون حياتنا حتى نعطي الصورة الصحيحة والوضيئة، فإذا ما دعونا الناس إلى الإسلام خرج الكلام من القلب وانطبق على القالب وما خرج من القلب دخل إلى القلب. وخير أساليب الدعوة وأصدقها وأجدرها نفعا الدعوة بالسلوك والأعمال قبل الأقوال.

وفقني الله وإياكِ لما يحب ويرضى وألهمنا المساهمة الفعالة في ترشيد هذه الصحوة حتى تبلغ مرماها عن قريب فإنه سميع مجيب ■



نلاحظ أن الشباب هم الأكثر حرصا على التدين والأكثر حماسا للإسلام



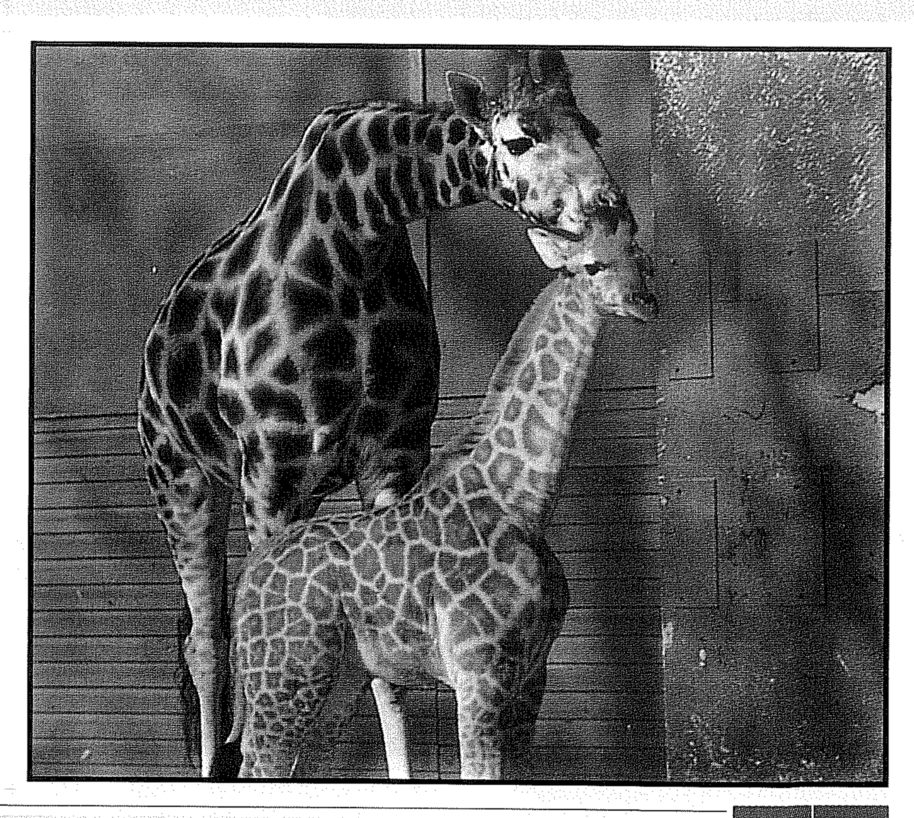


الرحمة في الإسلام

لقد كان الدعاء بالرحمة قاسماًمشتركاً بين جميع الانبياء والرسل بل وجميع الخلق منذ بدء الخليقة. دعا بها آدم وحواء ﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [الأعراف:٢٣] ودعا بها سيدنا نوح ﴿ وإلاتغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ﴾ [هود:٤٧] ودعا بها سيدنا يونس ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ [يونس:٨٦] ودعا بها سيدنا موسى ﴿ انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ﴾ [الأعراف:١٥٥] ودعا بها سليمان ﴿ وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ [النمل ١٩] ودعا بهذا اصحاب الكهف ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ﴾ [الكهف:١٠] والدعاء بالرحمة على لسان رسولنا الكريم تكرر باساليب مختلفة قال تعالى ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون:١١٨] ومن ادعيته المأثورة(اللهم رحمتك أرجو فلاتكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا اله الا انت) [رواه ابوداود] باسناد حسن.(ياحيي ياقيوم برحمتك أستغيث) اخرجه النسائي والحاكم وصححة الطبراني باسناد صحيح وبها يدعو المؤمنون ﴿ واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا وهب لنامن لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران:٨]

رحمة الله تعالى بخلقه أوسع من أن تُعد أو تُحصى

بقلم: اشرف شعبان أبو أحمد



والرحمة هي الرقة والتعطف أي رقة القلب وعطفه. ومن الرحمة يشتق الرحمن والرحيم وهما من ابرز اسماء الله الحسني واشهرها بعد لفظ الجلالة(الله) وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في جميع فواتح السور﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ماعدا سورة التوبة التى نزلت بدون البسملة كما ذكر اسم الرحمن واسم الرحيم منفصلين في الكثير من الآيات القرآنيةوالمصلي يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة مالايقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ﴾ وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم في يومه فاذا أدى السنة زاد عن ذلك...(١)

والرحمن اخص من الرحيم واكثر مبالغة منه ولذلك لايسمى به غير الله تعالى ﴿ قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ﴾ [الاسراء:١١٠]ومعناه ذو

الـــرحمة لانظير لـــه فيهـــا وهي أبعـــد من مقدورات العبـاد. قال رسـول الله ﷺ قال تعـالى«أنـاالله وأنـا الـرحمن خلقت الـرحم وشـققت لـه من اسمي فمن وصلهـا وصلتـه ومن قطعها قطعته» الترمذي .

ورحمة الـــرحمن تعم العـــالمين مـــؤمنهم وكافرهم صالحهم وطالحهم برهم وفاجرهم أي تعم الخلق جميعا. ورحمة الرحيم تخص المـــؤمنين لقـولـه تعـالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ [الاحزاب:٤٣]. وقيل الرحمن من ستر في الـدنيا والـرحيم من غفـر في العقبى. وقال عبـد الله بن المبـارك(الرحمن) إذا سئل أعطى و(الرحيم) إذا لم يسـاءل غضب.وقال السدي(الرحمن) يكشف الكروب و(الرحيم) يغفر الذنوب..(٢)

والرحمة والتي هي قاعدة قضاء الله تعالى في خلقه وتشملهم وتحفهم في الدنيا والآخرة قد كتبها الله على نفسه قال تعالى ﴿ كتب ربكم علي نفسه الـرحمة ﴾ [الانعام :٥٤] وأخرج الشيخان عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال. قـال رسول اللـه ﷺ «لما قضى الله الخلق ـ وعند مسلم ـ لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهـو عنـده فـوق العـرش إن رحمتي سبقت غضبي وعنـد البخـاري في رواية اخـرى«إن رحمتي غلبت غضبي»

وانـه لفضل عظيم من الله أن يجعل رحمتـه لعبـاده مكتوبـة عليه، كتبهـا هو على نفســه وجعلهـا عهـدا منـه لعبـاده كما أن اخبـاره لعبــاده بما كتبه على نفســه من رحمتـــه والعناية بابـلاغهم هذه الحقيقة هي تفضل آخر من اللـه عز وجل لايقل عن ذلك التفضل الأول حيث تبعث الاطمئنـان في كـل مـايمـر بالزمن من ابتلاءات بأنها ليس تخليا من الله عـزوجل عنـه أو طرده ـــ جل شـأنـه ـــ من رحمتـه وإنما تختفي من ورائهـا الخير كلـه للمـــؤمن. كما أن علم المؤمن بـــرحمة اللـــه تضفي الثقة في أن كل زلـة للمسلم سيغفرها اللـه إن شاء بـرحمته فـلاييأس أو يقنط من ذنوبـه بل يجدد توبته ويزيـد من استغفاره ليعود إلى سالف عهده.

ولبيان وتمثيل حجم الـرحمة التي كتبها الله على نفســه فلنعلم أن جميع أشكـال وصـور الرحمة التي تعيش في كنفها جميع المخلوقات منذ بدء الخليقة أو النشأة الأولى وحتى يومنا هذا وستستمر إلى يوم القيـامة ماهي إلاجزء واحـد فقط من مائة جـزء. قـال رسول اللـه ﷺ«جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جـزءا واحدا فمن ذلك تتراحم الخلائق حتي تـرفع الدابـة حافرها عن ولدهـا خشية أن تصيبه»اخرجه الشيـخان . وأخرج مسـلم قـال رسول الله ﷺ «إن لله رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة» وقـــال«إن اللـــه تعـــالى خلق في السماوات والارض مـــائة رحمة كل رحمة طبـاق مـــابين السماء والارض فجعل منها في الأرض رحمة واحـدة فبهـا تعطف الـوالـدة على ولـدهـا. والوحش والطير بعضهـا على بعض فإذا كان يوم القيامة اكملها الله تعالى بهذه الرحمة».

ورحمة الله بعباده لاتكون في الآخـرة وحدها بل تكون في هـذه الأرض أو في الحياة الـدنيا. قال تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الـدنيـا والآخرة لمسكم في مـاأفضتم فيـه عذاب عظيم ﴾ [النور:١٤] ورحمة الله أكبر من أن يتفهمهاالبشر مالم يحطهم الله ببيانها لهم فهذا هو سيدنا موسى نبي بني إسرائيل يتعجب ويستغـرب لأفعال قـام بها سيدنـا الخضر عنـد خرقـه للسفينـة وقتله للغـلام وإقامتـه للجدار ولكـن سيدنـا الخضر الذي قال فيه ربنـا عزوجل ﴿ آتيناه رحمة عندنا وعلمنـاه من لدنـا علما ﴾ [الكهف:٦٥] كان أعلم بها ولـذا فهو يـرد على سيـدنا مـوسى بقوله ان الذي فعلته في هـذه الاحوال الثلاثة السـابقـة إنما هى رحمـــة من اللـــه. قـال تعالى﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخـذ كل سفينة غصبـا، وأما الغـلام فكان أبواه مـؤمنين فخشينا أن يـرهقهما طغيانـا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقـرب رحما .وأمـا الجدار فكـان لغـلامين يتيمين في المدينة وكـان تحته كنـز لهما وكان أبوهما صـالحا فأراد ربك أن يبلغـا أشدهما ويستخـــرجا كنـــزهما رحمة مـن ربك ومـافعلتـه عن أمـــري ذلك تأويل مـالم تسطـــع عليـه صبرا ﴾[الكهف:٧٩ ـ٨٢]

فهنـاك الكثير من الأمـور تجري حولنـا قـد يندهش أو ينزعج لظاهرها أي إنسان ولكنها تمثل في باطنها رحمة من الله ورحمة الله خير أي متعـة أو منفعة من متـاع أو منافـع هـذه الدنيا الزائلـة. قال تعالى﴿ ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [الزخرف:٣٢] أي أن رحمة اللـه بخلقه خير لهم ممـا بأيديهم من أمـوال ونفـائس وكنوز وبنين ونسـاء وأنعـام وأى متاع من متـاع الحياة الدنيـا ولذلك فإن خير دعاء من الأبناء للآباء علمه لنا الإسلام جزاء تـربيتهم بكل مـافيهـا من اثـرة لـلابن علي نفسيهما والسهر من أجـل راحته بل الجوع والتعريـة من أجل إشباعه وكسـوته لم يكن الـدعاء مقـابل ذلك أن يعـوضهما الله مـالا أوصحـة بل كان يطلب الـرحمة ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيـــاني صغيرا ﴾ [الاسراء :٢٤] فرحمة اللـه أوسع ورعايـة الله أشمل وجناب الله أرحب من أى نعمة أخرى.

ورحمة اللـه سبحانـه وتعالى بجميع خلقـه أوسـع وأشمل وأكبر من أن تحدد أو يحصيها عدد ولانهاية لها ويعجـز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلهـا.قال تعالى﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف:١٥٦] ورحمة الله تفيض على عباده جميعا وتسعهم جميعا وبها يقـوم وجودهم وتقـوم حيـاتهم وهي تتجلي في كل لحظـة من لحظـــات الـوجـود أولحظات الحياة للكائنات فأما في حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتـابعها في كل مواضعها ومظاهـرها ولكننـا سنذكـر منها لمحـات في مجالاتها الكبيرة.

إنها تتجلي ابتداء مـن وجود البشريـة ذاته في نشأتهم من حيث لايعلمون وفي إعطائهم هذا الـــوجـــود الإنســانى الكـــريم مـــافيـــه من خصائص يتفضل بها الانسان على كثير من العالمين.

وتتجلي في هـــدايتهم إلى الإيمان وبـالتـــالي السعادة في الآخـرة والنظر الى وجهـه الكريم بإرســال الرسل إليهم بـالهدى كلما نسوا أو ضلوا وأنزل معهم الكتب السماوية. فالقرآن الكـــريم رحمة قـال تعـــالى ﴿ ونزلنا عليك الكتـاب تبيـــانـا لكـل شيء وهـدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل ٨٩. وقال تعـــالى ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمـــؤمنين ﴾ [الاسراء:٨٢] ففي القرآن شفـاء وفي القرآن رحمة لمن خـالطت قلـوبهم بشاشـة الإيمان فأشرقت وتفتحت لتتلقى مافي القرآن من طمأنينـة وأمان. فيه شفـاء من الـوسوسـة والقلق والحيرة فهـو يصل القلب بـــاللـــه فيسكـن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ويرضى فيسترق الـرضى من الله والامن، ويـرضي فيستروح الرضى من الله والـرضى عن الحياة والقلق مرض والحيرة نصب والوسوسة داء ومن ثم

الرحمة في الإسلام

هو رحمة للمؤمنين، وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان وهي من آفات القلب تصيبه بالمرض والضعف والتعب تدفع به إلى التحطيم والبلى والانهيار، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين .وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعوروالتفكير فهو يعصم العقل من الشطط ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لايجدي ويأخذه بمنهج سليم مضبوط يجعل نشاطه منتجا ومأمونا ويعصمه من الشطط والزلل وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلاكبت ولاشطط فيحفظه سليما معافى، ويدخر طاقاته للانتاج المثمر ومن ثم هو رحمة للمؤمنين. وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها فتعيش الجماعة في ظل نظامه الاجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.(٣)

كما أن الله تعالى أرسل محمدا ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى ﴿ ومارسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[الأنبياء:١٠٧] وقال عليه الصلاة والسلام«إنما أنا رحمة مهداة» كما وصفه ربه بها فقد كانت هذه الصفة هي المهيمنه على سلوكه فقال جل شأنه﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[التوبة:١٢٨] بل اكد رب العالمين ان فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكه كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة إذ يقول سبحانه وتعالى﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران:١٥٩]فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيما بهم لينا معهم ولو كان غليظ القلب ماتألفت حوله القلوب ولاتجمعت حوله المشاعر فالناس في حاجة الى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة والى بشاشة سمحة والى ود يسعهم وحلم لايضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة الى قلب كبير يعطيهم ولايحتاج منهم إلى عطاء يحل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ماغضب لنفسه قط ولاضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة بل اعطاهم كل ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أورآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحيبة وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته..(٤)

فما احوجنا نحن المسلمين إلى داع وإمام يتصف بصفات رسول الله ﷺ فيستحق رحمة الله فتلين له قلوب العباد ويلتفوا حوله ليعيدوا للإسلام ازدهاره وللمسلمين مجدهم. قال تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ﴾[الاحزاب:٢١]

وتتجلي رحمته في القضاء على الفتن والفرق بين الناس والتفافهم حوله جماعة واحدة وفرقة واحدة هى الفرقة الناجية قال تعالى ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين. الا من رحم ربك ﴾[هود:١١٨و١١٩]فكثرة الاختلافات بين الناس وكثرة مذاهبهم وتعدد عقائدهم وتعصب كل فرد لرأيه يعادي به ويقاتل به كل مخالف له في الرأي، هو نذير عدم رحمة من الله وخاصة اذا كانت هذه الفرقة داخل الصف المسلم قال الرسول عليه الصلاة والسلام« ان اليهود افترقت على احدى وسبعين فرقة وإن النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة» قالوا من هم يارسول الله؟ قال«ماانا عليه واصحابي»[ابو داود]

وتعدد الآراء واختلافها تصح إن كانت جميعها تنبع من معتقد واحد ويبتغي بها وجه الله اما اذا تعددت المذاهب وخضعت الآراء للأهواء والمصالح الشخصية وأسلمت وجهها تارة للشيوعية أو الاشتراكية وتاره اخرى للرأسمالية الصليبية فانها تصبح ظاهرة مرضية يجب علاجها الذي قد يطول أو يقصر تبعا لعودتنا إلى عقيدتنا وصلابة تمسكنا بها واتخاذها منطلقا لرؤية وحل مشكالنا.

وتتجلى الرحمة الالهية في قاعدة التكليف قال تعالى﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾[البقرة:٢٨٦] وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكاليف التي يفرضها الله عليه في خلافته للارض وفي ابتلائه اثناء الخلافة وفي جزائه على عمله نهاية المطاف ويطمئن الى رحمة الله وعدله في هذا كله فلايتبرم بتكاليفه ولايضيق بها صدرا ولايستثقلها كذلك، وهو يؤمن بأن الله الذي فرضها عليه اعلم بحقيقة طاقته ولو لم تكن في طاقته مافرضها عليه ومن شاء هذا التصور فضلا عما يسكبه في القلب من راحة وطمأنينة وأنس ان يتسجيس عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه وهو يحس أنها داخلة في طوقه ولو لم تكن داخلة في طوقه ماكتبها الله عليه فإذا ضعف مرة أو تعب مرة او ثقل العبء عليه ادرك انه الضعف لا فداحة العبء واستجاش عزيمته ونفض الضعف عن نفسه وهم همة جديدة للوفاء مادام داخلا في مقدوره، وهو ايحاء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق فهى التربية كذلك لروح المؤمن وهمته وارادته فوق تزويد تصوره بحقيقة إرادة الله في كل مايكلفه..(٥)

فهذه الآية رحمة لأنها بمثابه اطمئنان واثارة لطاقة الانسان، فمهما يقع على عاتقه من متاعب واهوال فلايضيق بها ولاينزعج ولايفل منها لانها تعد استكشافا لطاقات كامنة داخله ثم يكتشفها من قبل اذا ماآمن وايقن ان ماكلف به فهو قدر طاقته كما اخبرنا العليم الحكيم.

وتتجلي رحمة الله في النفس الناهية عن السوء التي تقف حائلا دون ارتكاب المعاصي والآثام وهو مانفتقده الآن النفس التي تمنع السارق عن السرقة والنهب وتنهي مرتكب الفواحش للاستمرار فيها وتدفع بالعاصي بعيدا عن المنكرات والمعاصي.قال تعالى ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلاما رحم ربي ﴾ [يوسف :٥٣] فهي تذكره بالله وعقابه في الدنيا والآخرة وتوقظه من غفلته وتدفعه جريا إلى الاستغفار والتوبة، فهذه النفس الحية التي توقظ صاحبها من الغفلة وتثبت في نفسه دائما الخوف من الله والإيمان بحسابه، وتنهي صاحبها عن السوء، هي رحمة من الله عز وجل. وتتجلى رحمته تعالى في

التجاوزعن سيئاتنا إذا عمل أحدنا السوء بجهالة ثم تاب. ومن قبل فان الوقاية من الوقوع في المعاصي وسد أبواب الرذيلة وصرف القلوب والحوار عن الآثام وتوجيهها الى الله فانها من اجل مظاهر رحمة الله ،تتجلى رحمته في المجازاة عن السيئة بمثلها ومجازاته على الحسنة بعشر أمثالها والمضاعفة عن ذلك لمن يشاء ومحو السيئة بالحسنة وكلها من فضل الله وتتجلى أيضا في تأخير العقاب إلى يوم القيامة. قال تعالى﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك عل ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاءأجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا ﴾[فاطر:٤٥] يوم القيامة لايبلغ أحد أن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته حتى رسول الله كما قال عن نفسه،عن عائشة رضي الله عنها قالت. قال رسول الله ﷺ: «لايدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا: ولاأنت يارسول الله؟ قال:«ولاأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» أخرجه البخاري.

وتتجلى رحمة الله في النجاة من المهالك والتي لايتنجى منها مهما اتخذ من الأسباب إلا برحمة من الله. قال تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين. قال ساوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾[هود:٤٢و٤٣] لقد اتخذ ابن سيدنا نوح من الأسباب مايظن أنها تنجيه من أمر الله فاعتقد أن الطوفان لايبلغ رؤوس الجبال وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق، ولكن سيدنا نوحا وهو المدرك لحقيقة هذا الهول وحقيقة هذا الأمر يخبره بألا لاجبال ولامخابىءولاحام ولاواق ولاغيرهم من ا لأسباب تنجي من أمر الله إلا من شملته رحمة الله بالعناية والحماية. وماأكثر المهالك التي تحيط بنا وتلحقنا من رأسنا حتى أخمص قدمنا، وهاهم العباقرة والجهابذة يقدحون زناد فكرهم لحلها وماهناك أدنى بصيص في ازالتها بحلولهم مالم تشملنا رحمة الله، وبرحمة الله نجي سيدنا هودا وصالحا وابراهيم وشعيبا ويونس من مكائد قومهم التي دبرت للاطاحة بهم وأجهض كيد عدوهم، ورحمة الله وجدها سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث جعلها الله بردا وسلاما عليه، ووجدها يوسف عليه السلام في الجب، كما وجدها في السجن، كما وجدها يونس عليه السلام في بطن الحوت، ووجدها موسى عليه السلام في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به ويبحث عنه، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها الرسول عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون آثارهما.

وتتمثل رحمة الله في شفائه لسيدنا ايوب بل وتعوضه عما فقده فقد أصاب سيدنا أيوب من البلاء في ماله وولده وجسده فقد كان له من الدواب والانعام والحرث شيء كثير فابتلى في ذلك كله وذهب عن آخره، ثم ابتلى في جسده ولم يبق احد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بامره في وفاء قلما نجد مثله في أيامنا هذه ويقال إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله.قال تعالى﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾[الأنبياء:٨٣و٨٤].

وتتجلى رحمة الله في إرزاقنا بالاولاد خاصة إذا كان هذا الرزق لشيخ كبير ولزوجة عقيم، وهو الذي نعتبره نحن البشر فوق العادة أو غير مألوف فسيدنا زكريا هذا الشيخ العجوز وزوجته العاقر التي لاتلد وقد وهب الله لهما يحيى فلاييأس عديمي الإنجاب من رحمة الله أبدا مهما طال بهم العمرولايستسلموا للقوانين البشرية المحدودة بل يلجأون إلى المولى عز وجل قال تعالى﴿ كهيعص. ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾[مريم:١ ـ ٧].

كما أن المكتشفات العلمية والمنشآت البنائية بنت كل عصر ومعجزة عصرها هي صورة من صور رحمة الله وهكذا كان بناء ذي القرنين للسد لمنع يأجوج ومأجوج من الفساد والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى﴿ قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا علي أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال مامكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه ومااستطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ﴾[الكهف:٩٤و٩٨]. ونحن الآن واعداء الإسلام يحيطوننا من كل جانب لايهدا بالهم حتى يحد تواكل وسيلة أحدث من الاخرى وأكفأ من سابقتها للفتك بالمسلمين وها نحن نقف مكتوفي الأيدي مشلولي التفكير ولن ينقذنا إلا رحمة الله تقدرلنا بناء تجهيزات تحمينا من الاسلحة الذرية والبيولوجية والكيماوية التي يوجهها أعداؤنا الينا.

وتتجلى رحمة الله في كل مانجده حولنا وفوقنا وتحت أرجلنا ومانلمسه ومانحسه بحواسنا من آيات ونعم وهي كثيرة لا تحصى، المطر، الرياح، الليل، النهار، الشمس، القمر، البحار، الأنهار، النباتات، الحيوانات، الأراضي الزراعية والصحراوية، المال، البنون ،وكل متاع من متاع الدنيا وكل ماسخره الله لنا في الأرض والسماء.

وكل هذه المتع وكل هذه النعم وكل هذه المسخرات وجودها في حد ذاته نعمة ولكن ان لم تشملها وتحفها وتحيطها رحمة الله فانها تتحول من نعمة إلى نقمة. فما من نعمة يمسك الله معها رحمته حتى تنقلب بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله حتى تكون بذاتها نعمة.

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله فإذا هو هوادة ويسر ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت عنه رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام ويعبر بدونها المناهج والمسالك فاذا هي

الرحمة في الإسلام

مهلكة وبوار ولاضيق مع رحمة الله إنما الضيق في إمساكها دون سواها. لاضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك ولاوسعة مع إمساكها ولو تقلب الناس في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء. فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكد والمعاناة.

هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب وتوصد جميع النوافذ وتسد جميع المسالك فلا عليك فهو الفرج والفسحة واليسر الرخاء وهذا الباب وحده يغلق جميع الأبواب والنوافذ والمسالك فما هو بنافع وهو الضيق والكرب والشدة والقلق والعناء.

هذا الفيض يفتح ثم يضيق الرزق ويضيق السكن ويضيق العيش وتخشن الحياة ويشوك المضجع فلا عليك فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة وهذا الفيض يمسك الرزق ويقبل كل شيء فلاجدوى وإنما هو الضنك والحرج والشقاوة والبلاء.

المال والولد والصحة والقوة والجاه والسلطان تصبح مصادر قلق وتعب ونكد وجهد إذا أمسكت عنها رحمة الله فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان.

يبسط الله الرزق مع رحمته فاذا هو متاع طيب ورخاء واذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة. ويمسك رحمته فاذا هو مثار قلق وخوف واذا هو مثار حسد وبغض ويكون معه الحرمان ببخل أو مرض وقد يكون معه التلف بإفراط او استهتار ويمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع ومضاعفة الأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء سهر بالليل وتعب بالنهار.

ويهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة وتلذذ بالحياة، ويمسك رحمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله على الصحيح القوي فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح ويدخر السوء ليوم الحساب ويعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح ومصدر أمن ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر. ويمسك الله رحمته فاذا الجاه والسلطان مصدر قلق على قوتهما ومصدر طغيان وبغي بهما ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لايقر له معهما قرار ولايستمتع بجاه ولاسلطان ويدخر بهما للآخرةرصيدا ضخما من النار والعلم الغزيز والعمرالطويل والمقام الطيب كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال وقليل من المعرفة يثمر وينفع وقليل من العمر يبارك الله فيه وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة.

والجماعات كالآحاد والأمم كالأفراد في كل أمر وفي كل وضع وفي كل حال ولا يصعب القياس على هذه الأمثال..(٦)

هكذا تتعدد وتتباين صور رحمة الله التي يكتبها لمن يشاء ويخص بها من يشاء من عباده، ولكن هناك جملة من الصفات التي اذا اتصف بها الفرد وتحققت في نفسه وترجمتها جوارحه إلى افعال ولسانه إلى إقوال استحق بها رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة منها: الإيمان بالله ورسوله والتمسك بالقرآن والسنة والعمل بما فيهما والطاعة التامة لكل احكامهما وتقوى الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وعمل الصالحات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلح بين الناس والصبر على المصائب وولاية المؤمنين والجهاد في سبيل الله والهجرة لله ولرسوله وسماع القرآن والانصات إليه وتدبر معانيه وكثرة الاستغفار وتجديد التوبة وعبادة الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك .

قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة:٧١]

﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ [البقرة:٢١٨] ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف:٥٦] ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ الجاثية: ٣٠ ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ [الحديد:٢٨] ﴿ قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾[النمل:٤٦] ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ [البقرة:١٥٥ ـ ١٥٧]

﴿ واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الاعراف:٢٠٤] ﴿ انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [الحجرات:١٠]وقال ﷺ «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء» رواه ابو داود والترمذي.وقال «من لا يرحم الناس لايرحمه الله» رواه البخاري ومسلم واحمد« انما يرحم الله من عباده الرحماء» «ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء» وقال «من لايرحم من في الارض لايرحمه من في السماء» رواه الطبراني.

ورحمة المؤمن لاتقتصر على إخوانه المؤمنين وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أولى الناس بها وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعا وقد قال رسول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم«لن تؤمنوا حتى ترحموا قالوا يارسول الله كلنا رحيم. قال انه ليس برحمة احدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة» رواه الطبراني.

وحكم عليه الصلاة والسلام على العارين من الرحمة بأنهم هم الأشقياء فقد روى الترمذى وابو داود وغيرهم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال«لاتنزع الرحمة الا من شقي» ويمكن إجمال صفات من ليس لهم نصيب في رحمة الله بالآية الآتية قال تعالى ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب اليم ﴾ [العنكبوت:٢٣] ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ [الحجر/٥٦].

وهناك من البشر من يتغير حالهم اذا من الله عليهم برحمته او امسكها عنهم ابتلاء لهم ومنهم من يؤول علي غير وجهها فينسبها إلى مقدرته الشخصية قال تعالى ﴿ وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴾ [الروم:٣٣]

﴿ واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ [الروم:٣٦]والآية الكريمة تنهى أن ينقط عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة واسع. قال تعالى ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر:٥٣]

ولم يكتف الإسلام ببيان صور الرحمة الإلهية أو بيان صفات المستحقين للرحمة وان كان هذا يكفي ليتعظ ويعتبر الانسان ويعكف على بحث سبل الاهتداء إليها بل أمر الإسلام باشاعة جو الرحمة في المجتمع قال تعالى ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [البلد:١٧] فالتواصي بالمرحمة أمر زائد على الرحمة إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به والتحاض عليه واتخاذه واجبا جماعيا وفرديا، في الوقت ذاته يتعارف عليه الجميع ويتعاون من اجله الجميع..(٧).

والرحمة صفة يتصف بها المؤمنون أتباع سيدنا ونبينا محمد ﷺ والذين يسيرون على هداه ووفق سنته فهم متراحمون فيما بينهم يعطف بعضهم على بعض ويواسي كل منهم اخاه فمشاعرهم متلاقية واحاسيسهم تنبض بالتعاون والتساند والتعاطف والتآلف لامكان للقسوة بين قلوبهم ولاتظهر الشدة او الغلظة في محيطهم الامع اعدائهم من الكفار قال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [الفتح:٢٩] وقال عليه الصلاة والسلام (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم.

والمؤمن مأمور بأن يكون له حظ ونصيب من أسماء الله الحسنى يتخلق بها في سلوكياته وحظ العبد من اسم (الرحمن)أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر الي العصاة بعين الرحمة لابعين الإيذاء وأن يرى كل معصية تجري في العالم كمعصية له في نفسه فلايدخر جهدا في إزالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي من أن يتعرض لسخط الله تعالى وحظ العبد من اسم (الرحيم) ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته ولايترك فقيرا في جواره أو في بلده الا ويقوم بتعهده ودفع فقره إما بماله أو جاهه أو بالشفاعة إلي غيره فإن عجزعن جميع ذلك فعليه بالدعاء واظهار الحزن رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته..(٨)

فالرحمة منهج المؤمن في حياته وقاعدة سلوكياته في يومه وليلته واذا غرست في القلب كان من ثمارها تصور رشيد وبصيرة واعية ونفس سمحة سلسة خلصت من العقد والمنعطفات السلوكية وهي في الوقت نفسه تمهد الطريق لظهور سلوكيات أعلى وأنبل ولقدجعلها الله تبارك وتعالى سنة من سنن الحياة ودعامة لاستمرارها وبدونها لن تقوم للحياة قائمة ولن يستطيع البشر النهوض بما خلقوا له من رسالة فهي سياج للأمن والأمان في المجتمع..(٩).

والرحمة من معالم الايمان وسمة من سماته، وغيابها عن سلوك الإنسان يعني فساد سعيه وضلاله وغلبة الشقاء عليه وتظل الرحمة مع المسلم في كل خطاه سمة مميزة لشخصيته لاتنفك عنها،تحكم علاقاته مع من حوله ورحمة الانسان بنفسه تكون بالوقوف بها عند مامر الله والانتهاء عما نهى عنه فلا يوردها موارد الهلاك ولايكلفها من العمل مالايطاق وان يزكيها فلا يظلمها فمن ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء وألا تذل رقبته إلا الله وألا يركع لأحد سواه والرحمة تأبي على صاحبها ان يعكف علي ملذاته ومراته وان يتمتع بثروته وقد علم ان بجانبه مريضا حرمه المرض لذة الحياة او جائعا حرمه الجوع لذيذ المنام، او منكوبا اصابته الايام، او يتيما يبكي أباه، أو أرملة فرق بينها وبين عائلها القدر فالرحمة تحمل صاحبهاعلى أن يتألم لآلام الناس ويبكي لبكائهم، فإذا رأى فقيرا أحس بالآم فقره وأثقال بؤسه وإذا رأى منكوبا تأثر بوطأة نكبته، فالرحمة تحمل صاحبها على أن يخفف الويلات ويمسح العبرات ويكافح الآلام ويدفع الاحزان ويحنو على الضعفاء والمنكوبين كما تحنو الأم الحنون على أبنائها، يقول المنفلوطي:« لو تراحم الناس ماكان بينهم جائع ولا عريان ولامظلوم ولاستقرت الدموع في المدامع واطمأنت الجنوب في المضاجع ومحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو الصبح ظلام الليل».(١٠)

وقد نبه الإسلام إلى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغي أن يحظوا بأضعاف الرحمة والرعاية وهم الآباء والأبناء و الأقارب والأيتام والمرضى وذوي العاهات حتي الحيوان لم يسكت الإسلام عن طلب الرحمة له وقد أعلن النبي ﷺ أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلبا فغفر الله لها وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت فلا هي اطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الارض.

واخيرا فان الرحمة هي سر حياة هذه الأمة وبدونها تفقد مقومات قيامها والرحمة لفظ واسع المضمون يشمل كل أمر.

ويتسع لكل فعل وحض الإسلام على نشر اشعة الرحمة بين أركان المجتمع المسلم لتدفئة كل فرد من افراده والتي كلما قويت واتسع مداها شملتنا الرحمة الالهية والتي نحن في أمس الحاجة إليها فكل الصفات الطيبة الحميدة التي على المسلم أن يتحلى بها ويتصف بها في تعامله مع أخيه المسلم تجدها تنمو وتزدهر وتنتشر في جو من الرحمة والألفة والعكس بالعكس إذا وجد الجفاء والشدة في التعامل انفتح المجال للصفات غير الحميدة ■

المراجع

١ـ كتاب الايمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨

٢ـ المختصر من معاني اسماء الله الحسنى محمود سامي ص ١٤

٣ـ في ظلال القرآن سيد قطب ج٤ ص ٢٢٤٨

٤ـ في ظلال القرآن سيد قطب ج١ ص ٥٠٠و٥٠١

٥ـ في ظلال القرآن سيد قطب ج١ ص ٣٤٤

٦ـ في ظلال القرآن سيد قطب ج٥ ص ٢٩٢١ ـ ٢٩٢٣

٧ـ في ظلال القرآن سيد قطب ج٦ ص ٣٩١٣

٨ـ كتاب الايمان والحياة سويسف القرضاوي ص ٢٨٨و٢٨٩

٩ـ (١٠) مجلة المجاهد ـ مصرية العدد ١٣٢ جمادى الآخر ١٤١١هـ ديسمبر ١٩٩٠م

● الإسلام دعوة حيوية، تحث على الرجاء، ونداء مفتوح إلى الأمل

الرجاء وأثره في حياة الفرد

بقلم الأستاذ: سعد صادق محمد

الإنسان – كبشر – من طبيعته أن ينسى ومن فطرته أن يغفل، بيد أنه مهما طالت غفلته، وأحسّ بوخز الألم من أخطائه، يكاد يعصف بإنسانيته، ويقضي على روحه، وظن أنه بعيد عن ربّه، وأغلقت دونه الأبواب، وسدت أمامه السبل.. مهما حدث ذلك، وشعر وقتا ما أنه في حاجة إلى من يهديه من حيرته، وينقذه من عثرته.. فلا يجد إلا الله وحده عز وجل.. عندئذ يجد من خلال هذا الضيق القابض عليه، يدا رحيمة حانيه تمتد إليه، وتقترب منه، ولا تغيب عنه في ليل أو نهار، كما يجد وسط هذا الظلام شعاعا وهاجا لا يخبو، ولا ينطفىء، وهتافا علويا يهتف به. فعن ابي هريرة قال: قال رسول ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فاعطيه، من يستغفر فأغفر له» [متفق عليه]

الرجاء.. من الأمل، وهو نقيض اليأس، ويأتي الرجاء كذلك بمعنى التوقع وقيل: هو النظر إلى رحمة الله، كما يطلق الرجاء بمعنى الخوف، ولا يكون بهذا المعنى إلا إذا كان معه حرف نفي، كما في قول الله تعالى ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾ [نوح:١٣]. والمعنى: لاتخافون لله عظمة.

والرجاء ثلاثة:

١ – رجل عمل حسنة، فهو يرجو قبولها.

٢ – ورجل عمل سيئة، ثم تاب فهو يرجو المغفرة.

٣ – ورجل كاذب يتمادى في فعل الذنوب ويقول: أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة، ينبغي أن يكون خوفه غالبا على رجائه (١).

من فضل الله تعالى على عباده أنه يعاملهم بما يتناسب وطباعهم التي فطروا عليها، ويتفق مع بشريتهم التي وجدوا عليها.

الله يفتح أبواب رحمته

ولما كان الإنسان بحكم تكوينه ينسى ويخطىء وبحكم بيئته وما ورثه منها من البواعث، يخالف ربه ويعصيه، ويرتكب الأوزار والذنوب حتى يؤدي ذلك إلى اليأس من رحمة الله، والقنوط من مغفرته، فإن الله الرحمن الرحيم يفتح دائما أبواب رحمته لعبده، ويمد يده له، ليبعده عن دائرة القنوط واليأس، ويفتح له أبواب الرجاء ويمهد له سبل التضرع، ويتضح هذا من الآية الكريمة ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر:٥٣].

يذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في أهل مكة، حين قالوا: يزعم محمد أن من عَبَد الأوثان، وقتل النفس، لم يغفر له، وقد عبدنا وقتلنا، فكيف نسلم؟

وقيل: نزلت هذه الآية في وحشي قاتل حمزة، لما أراد أن يسلم، وخاف ألا تقبل توبته، فلما نزلت الآية أسلم، فقيل لرسول الله ﷺ هذه له خاصة، أم للمسلمين عامة: فقال: «بل للمسلمين عامة» (٢).

وقيل أنزلت في أناس أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا ألا تقبل توبتهم.. ويجب أن نعلم أن العبرة في عموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فنزول هذه الآيات في الواقع لا يمنع من عمومها.

ففي هذه الآية الكريمة ينادي رب العزة عباده إلى عدم القنوط، ويقربهم من رحمته ويطمئنهم أنه يقبل التوبة من عباده، فقوله: ﴿ يا عبادي ﴾ أنه يضيفهم سبحانه وتعالى إليه إضافة رحمة ورعاية وإحسان، وهي إضافة تعلو على إضافة الأبناء إلى الآباء حنانا ورحمة وإحسانا، وهؤلاء الذين يناديهم ربهم هذا النداء الرحيم، ويضافون إلى عزته إضافة إكرام وبر، هم العصاة، الخارجون على حدود الله، المعتدون على حرماته، الجاحدون لنعمه.. إنهم الذين أسرفوا على أنفسهم بما حملوا من أوزار، ووقعوا فيه من ذنوب.

وقول الله ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ معناه أنه اليد البارة الرحيمة الحانية التي يربت الله بها على هؤلاء المذنبين بمجرد أن يلتفتوا إلى هذا النداء الرحيم، ويستجيبوا له، فالله جل جلاله، دانٍ من عباده برحمته، إذا هم أقبلوا عليها، واستظلوا بظلها.

وقوله عز وجل: ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ يوحي بأن الله أعطاهم شحنة من النور تضيء الظلام لمن أسرفوا على أنفسهم، فيبدده، ويقضي على اليأس الذي يلف حياتهم، فيغفر لهم ذنوبهم، مهما كانت بشعة وشنيعة، فما أعظم مغفرة الله، وما أوسع رحمته بعباده المسيئين، ويؤكد هذا قول ربنا الرحيم: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقوله: ﴿ إنه هو الغفور الرحيم ﴾ هنا

وصف الله نفسه بصفتين عظيمتين الأولى: «غفور»، وهو لفظ يفيد المبالغة، وهو إشارة إلى إزالة موجبات العقاب، الصفة الثانية: «الرحيم» وهو لفظ يشير إلى تحصيل الرحمة والثواب ونلاحظ هنا أن قوله تعالى: ﴿ انه هو الغفور الرحيم ﴾ أفاد الحصر، ومعناه أنه لا غفور ولا رحيم إلا هو (٣).

والرسول ﷺ يشير في حديث له، إلى أن باب التوبة مفتوح للإنسان في كل وقت، يقول «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه أحمد ومسلم].

الإسلام يدعو إلى الرجاء وينفر من اليأس

من المعلوم أن الإسلام دعوة حيوية، تحث على الرجاء، ونداء مفتوح إلى الأمل، ولم يشجب الإسلام شيئا في حياة المسلم - كما شجب اليأس، مخافة أن يدب في نفس الإنسان، ويحيط بها ويخمد سعيها، ويوقف تقدمها، ويكون من شأن ذلك إلحاق الهزيمة بصاحب هذه النفس.. هزيمة تصيبه في شتى ميادين الحياة ودروبها، ويبرز هذا المعنى في خطاب الله تعالى للمقاتلين في غزوة بدر، بعد هزيمتهم نتيجة عدم طاعتهم لأمر قائدهم رسول الله ﷺ، يقول الله للمؤمنين المقاتلين ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ [النساء:١٠٤].

يطلب الله من المؤمنين في هذه الآية الا يضعفوا في طلب المشركين الذين ناصبوهم العداء، بل عليهم أن يستعدوا لقتالهم بعد الفراغ من الصلاة، مع أخذ الحذر، وحمل السلاح عند أدائها، وكان ذلك في صورة أمر بالهجوم.

وكان الهدف من الأمر بالاستعداد لقتال المشركين، أن تشتد عزائم المسلمين، وتعلو هممهم، ليواجهوا أعداءهم بقوة، فإن هم فعلوا ذلك، كتب الله لهم إحدى الحسنيين.. النصر، أو الجنة بالشهادة، ولا شك أن هذا الموقف من أصحاب رسول الله ﷺ درس للمسلمين في كل زمان ومكان.. انه نموذج يتعلم منه أصحاب العزائم القوية كيف يواجهون المحن، ويقفون في صلابة أمام الشدائد.

حسن الظن بالله

والمؤمن يجب أن يكون حسن الظن بالله، لأن هذا دليل على حسن اليقين، وتمام العبادة، والله عند حسن ظن عبده به، ورجائه فيه، وأمله منه، ولذا يدعونا رسول الله ﷺ أن نقبل على الله ونحن عند حسن ظن طيب به، وطمع في قبول رحمته، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل (أنا عند حسن ظن عبدي بي) رواه الشيخان والترمذي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: «حسن الظن من حسن العبادة» [رواه أبوداود.]، وعن جابر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» [رواه مسلم].

أثر الرجاء في الدنيا

حسبنا من الرجاء في الدنيا، أنه يدفع إلى العمل الصالح الذي يستعد به المؤمن للقاء الله تعالى، والذي يعود عليه، وعلى أمته بالنفع العام، والخير الشامل، لاسيما وأن الحياة إلى فناء، وأن العمر إلى نهاية، وأنه لن ينجى الإنسان من بين يدي ربه يوم القيامة إلا عمله الصالح، الذي يتفضل الله بقبوله منه، وإثابته عليه. ولا شك أن هذا الحال، هو أكبر الآثار، وأعظم النتائج التي يسوق إليها الرجاء الحق، وما لم يؤد الرجاء إلى هذا الأثر البار، والنتيجة الوافية، فلا قيمة له، ولا عبرة به، وفي هذا روى (٤) ابن ابي حاتم، عن طاووس، قال: قال رجل يا رسول الله: إني أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئا، حتى نزل قول الله: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف:١١٠].

أثر الرجاء في الآخرة

من كان صادق الرجاء في ربه، حسن الظن به، عظيم الأمل فيه، فإنه واجد فعلا في الآخرة أثر ذلك كله، صفقة رابحة، وثوابا مضاعفا ونعيما مقيما، ومزيدا من الفضل والمغفرة، وإلى ذلك الموقف نقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ﴾ [العنكبوت:٥]. ويقول الأمام ابن كثير في تفسيره للآية يقول الله (من كان يرجو لقاء الله) أي في الدار الآخرة، وعمل الصالحات، ورجاء ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له رجاءه، ويوفيه عملا كاملا موفورا، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء، بصير بكل الكائنات، ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ وهو السميع العليم ﴾. ويقول المراغي في تفسيره للآية: أي من كان يطمع في ثواب الله يوم لقائه فليبادر إلى فعل ما ينفعه، وعمل ما يوصله إلى مرضاته، ويجتنب ما يوجب سخطه، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء لآت لا محالة، والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بعقائدهم وأعمالهم، ويجازي كلا بما هو أهل له.

اليأس ظاهرة سلبية

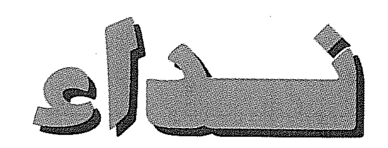
وإذا كان الرجاء ظاهرة إيجابية، تدعو صاحبها للتضرع إلى الله، والتعلق برحمته، والأمل فيه، ولا يرضى اللجوء الا لساحته، لنيل عطائه وغوثه.. فإن اليأس ظاهرة سلبية، يلجأ إليها ضعاف النفوس، الذين يفقدون الأمل في الرجاء، ويركنون إلى الروح اليائسة، التي تخمد عزائمهم، وتبلد مشاعرهم، وتوهن طاقاتهم، فيرضون بالجزع والفتور، فهذه الروح تورد صاحبها موارد الهلاك، ويروى أن بعض الصالحين كان يقول: «إن لي إلى الله حاجة أدعوه لها منذ أربعين عاما، وما استجاب لي، ولا يئست من دعائه». فهذا مثل حي على أن الإنسان المؤمن لا يصيبه اليأس، أو القنوط مهما طال به زمن الدعاء، والطلب. اللهم ارزقنا الصبر الجميل على محن الحياة، ونعوذ بك من أهل اليأس والقنوط ■

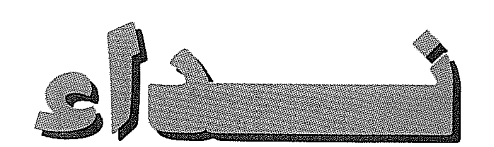
الهوامش

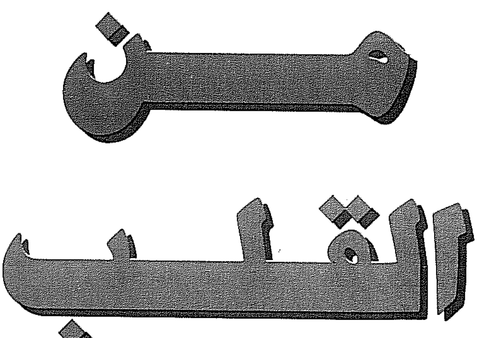
١) راجع لسان العرب لابن منظور. ج ٤ ص ٣٠٩ و٣١٠ بتصرف.
٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٧/ ٣ و ٤ بتصرف، وراجع: نشرات التوعية الدينية الصادرة من وزارة الأوقاف المصرية بعنوان «الدين والحياة» العدد ١٨٤ غرة شعبان ١٣٩٧ - ١٨ من يوليو ١٩٧٧.
٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٧/ ٣ و ٤.
٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣/ ١٠٨.



● الاقتتال الداخلي الأفغاني إلى متى؟







نداء نداء من القلب

أكد الشيخ / أحمد الدبوس (مدير مكتب الطاجيك بلجنة الدعوة الاسلامية - الكويت)، أن افغانستان في الوقت الحاضر أحوج ما تكون لوقوف الدول الإسلامية بجانبها، ومساعدة المسلمين هناك على تخطي المحنة التي يمرون بها، واجتياز واقعهم المرير، وتضميد جراحهم العميقة، مشيراً إلى أن الصورة ليست شديدة القتامة، وأن الحرب الدائرة هناك والصراع حول السلطة لا يتعدى ولاية كابول وبعض الولايات المحيطة بها، أما بقية الولايات - وعددها ٢٨ ولاية - فإن الأوضاع فيها تسير على ما يرام، وإن كانت الحرب قد أتت بآثارها الكئيبة على كثير من مجريات الحياة.

وأوضح أن المسلمين هناك بحاجة إلى من يقف بجانبهم، ويشد من أزرهم، ويواسيهم ويقوم بواجبه الشرعي تجاههم، عملا بقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ مؤكدا أن المشكلة الحقيقة التي يعاني منها المسلمون في أفغانستان هي الجهل، إضافة إلى الفقر الذي يشمل كافة نواحي الحياة، إضافة إلى وجود المؤسسات النصرانية التي تعمل وحدها على الساحة في ظل انسحاب المؤسسات الإسلامية من هناك.

وقال الشيخ احمد في حوار صحفي عقب عودته من أفغانستان ومشاركته في مؤتمر «هيرات» الشعبي:

إن المؤتمر أصدر العديد من القرارات التي تهدف إلى إنهاء الاشتباكات بين الفصائل المتصارعة وإصلاح الأوضاع المتردية إصلاحا جذريا، مشيراً إلى أن أهم تلك القرارات تتعلق بإنشاء جيش تعداده ١٠٠ ألف جندي يتم تشكيله من كافة الولايات الأفغانية ويخضع للحكومة الموحّدة، ويقوم بحفظ النظام في البلاد، إضافة إلى الحكم بعدم أهلية (دوستم) للمشاركة في المؤتمر، وضرورة إخضاعه للانصياع والاستسلام، سواء أكان ذلك باللين والود أم بالحرب والقوة، فيما وصف القائد حكمتيار أنه مسلم ويحق له المشاركة في أعمال المؤتمر بشرط موافقته المبدئية على القرارات التي أصدرها، أما إذا أصر على موقفه العدائي فلا سبيل من مواجهته عسكريا بكل حسم.

وفيما يلي نص الحوار مع الشيخ أحمد الدبوس:

*** هل لنا في التعرف على أسباب زيارتكم الأخيرة لأفغانستان؟**

** الهدف من الزيارة هو المشاركة في مؤتمر هيرات، وهو مؤتمر شعبي أقيم لبحث الأوضاع التي تمر بها أفغانستان، بمبادرة من أهل الخير هناك وعلى رأسهم صاحب الفكرة أمير هيرات محمد إسماعيل خان، وحضره ممثلو (٣٠) ولاية، إضافة إلى بعض القادة العسكريين ولفيف من القضاة وكبار العلماء، وذوي الرأي والمشورة في البلاد وعدد من المهاجرين في الخارج.

وقد تميز مؤتمر هيرات بالتفاعل الطيب بين الحضور، وابتعاده عن المشكلات والخلافات الحزبية التي طالما حدثت في المؤتمرات السابقة، واعتقد أن القرارات والتوصيات التي خرج بها المؤتمر كفيلة بإصلاح الأوضاع وفك الاشتباكات بين القبائل المتصارعة في أفغانستان.

*** هل شاركت في المؤتمر بدعوة رسمية، وكيف كان أسلوب المشاركة؟**

** نعم كانت مشاركتي بدعوة رسمية، وكانت مشاركة جزئية ليس لها علاقة باتخاذ القرار أو حسم الأمور السياسية، إنما لإبداء الرأي ونقل الصورة الحقيقية إلى المجتمع الكويتي.

*** الآن، كيف ترى المستقبل في أفغانستان؟**

** أنا متفائل جدا بقرب انتهاء الحرب في أفغانستان، لكن يجب علينا النظر إلى أفغانستان على أنها دولة مسلمة، وشعب مسلم، وألا نترك المسلمين هناك بدون تضميد لجراحهم وتخفيف معاناتهم، فيجب على المسلمين أن يؤدوا واجبهم تجاه إخوانهم هناك، وألا ينظروا إلى الأوضاع الأفغانية من منظور سياسي، إنما ينظرون إليه من المنظور الخيري والإنساني، من المنظور الذي يجب فيه على الإنسان أن يقف مع أخيه الإنسان، فأفغانستان أحوج ما تكون اليوم إلى المساعدة أكثر من أي وقت مضى، وبخاصة بعد انسحاب الجمعيات والمؤسسات الخيرية الإسلامية، وترك الساحة لتلك المؤسسات النصرانية لتعمل وحدها، ومايترتب على ذلك من أخطار جسيمة يتعرض لها المسلمون هناك..

وقد وجّه الشيخ الدبوس النداء التالي إلى المسلمين القادرين في جميع أنحاء العالم:

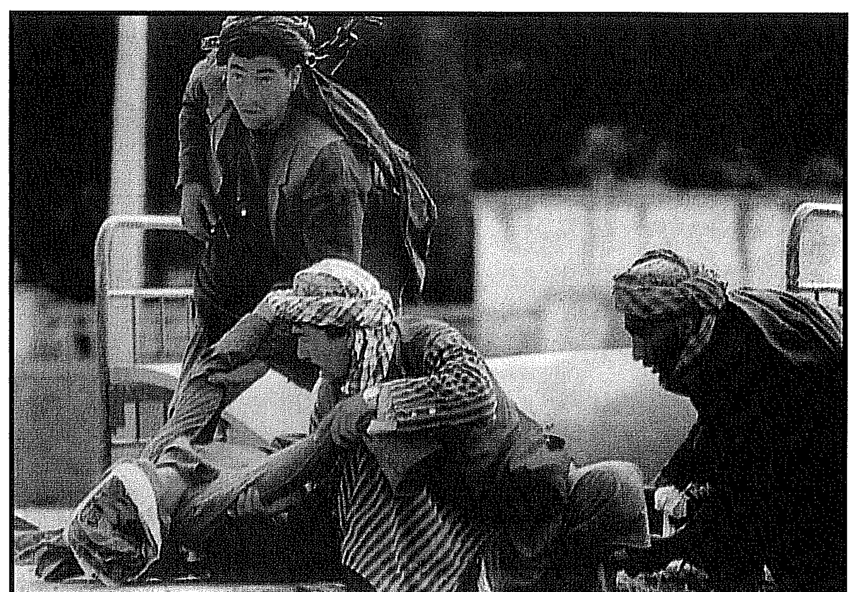
أدعو الأخوة والأخوات من أهل الخير والصلاح أن ينظروا إلى أهل أفغانستان نظرة أخوية إسلامية لا نظرة الحكم بالجزء على الكل قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾.

وقال الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

إن إخواننا في أفغانستان بحاجة ماسة أكثر مما كانوا عليه من ذي قبل حيث إن الجراحات كبيرة والمحن كثيرة فلا نتركهم ولا نتخلى عنهم، بل يجب أن نقف معهم شرعا وأخوة وإنسانيا وعاطفيا ولا نجعل المؤسسات النصرانية والتي هي أكثر من ٣٠ مؤسسة في أفغانستان تعمل معهم الآن.

صحيح أن الحرب والصراع موجودان في كابل، لكن بقية الولايات والتي عددها ٢٩ ولاية تحتاج للدعم والعمل الخيري والإنساني والاجتماعي لأن الحكم بالجزء على الكل لا يجوز شرعا. وهو ظلم وتجنٍ وجور بل من العدل والحق أن نعمل معهم في محنتهم ونسد حاجتهم لأن هذا من واجب الإخوة والإيمان والإسلام.

ولا نجعل أخواننا في أفغانستان تحت رحمة المؤسسات النصرانية التي هي أكثر من ثلاثين مؤسسة تعمل هناك باسم الإنسانية التي تخدم عقيدتها ومبادئها ومخططها فمن باب أولى أن تكون المؤسسات الإسلامية والخيرية والشعبية التي انسحبت وتركت الواجب الاخوي والشرعي هي العاملة هناك وسوف نكون محاسبين أمام الله والضمير على هذا الانسحاب والترك للمؤسسات النصرانية التي جاءت لتعمل في وسط الإخوة الأفغان.



أيها الأخوة والأخوات يا أهل الخير والإنسانية أخواننا في أفغانستان يعانون من الفقر والجراحات والمحن التي لا يعلم حالهم إلا الله، فالله الله في إخواننا في أفغانستان لا نتركهم وهم بحاجة ماسة لنا الآن وبماذا نجيب الله عن حالهم إذا سألنا؟

فالمسارعة المسارعة لنصرة إخواننا والعمل لسد حاجتهم وفقرهم ولا نتركهم فريسة لتدخلات أجنبية ■

سبق العرب لأوربا في العلوم الطبيعية

بقلم: أحمد أبو الدهب محمود*

حضارة العرب كانت اعظم حضارة شهدها العالم اجمع طوال العصور الوسطى. فلقد عم الظلام غرب أوروبا فانحطت وسادت الخرافات، وانعكس ذلك على النشاط الاقتصادي، وعلى العكس من ذلك، ففي تلك العصور نفسها ازدهرت الحضارة العربية، وزخرت المكتبات العامة والخاصة بآلاف الكتب والمخطوطات. في كل فن وعلم، وأدى ذلك إلى وفود الرحالة والسفراء الغربيين من مختلف بلاد أوربا إلى الدول العربية الإسلامية وسجلوا اعجابهم بهذه النهضة العربية العظيمة.

وموضوعنا هذا (سبق العرب لأوربا في العلوم الطبيعية) سوف يؤدي إلى كشف نواح جديدة في الحضارة العربية، ويظهر فضل الحضارة العربية على الغرب الأوروبي.

والحقيقة ان شعوبا كثيرة لم تحقق ما تحققه العرب، برغم ما كانت تمتلك، تلك الشعوب من مقومات الحضارة ما يؤهلها لذلك. فبيزنطة مثلا وريثة الحضارتين الشرقية والاغريقية بقيت على جهالتها وفارس اقتبست من حضارات الصين والهند والاغريق وكانت أسعد حظا من بيزنطة.

كانت انجلترا الانجلوسكسونيين في القرن السابع الميلادي إلى ما بعد العاشر فقيرة، وتنتشر في أرضها الأمراض والاوبئة. وأهلها لايعرفون النظافة، وكانت الاسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة.

وكان شرلمان، أعظم ملوك أوروبا أقرب إلى الأمية، وكانت كتب الفلسفة والعلوم المادية والادبية يتنافس فيها علماء العرب في بغداد وقرطبة، وكانت الكتب تترجم من اللغة العجمية إلى العربية.. هذا هو حال أوربا الغربية.

أما أوربا الشرقية فكان نصيبها لا يقل عن مثيلاتها. ولم تخلص روسيا من كابوس الجهل الا في القرن الثامن عشر على يد بطرس الاكبر.

الميادين وأثر العرب في حضارتها:

الكيمياء

يعد (جابر بن حيان) أكبر كيميائي في التاريخ الانساني في تلك العصور وله اثر كبير في تكوين مدرسة كيماوية ذات اثر بالغ في بلاد الغرب، وترجمت عدة مقالات له إلى اللاتينية. وألف كتابه (الاستتمام) وترجم إلى اللغة الفرنسية في سنة ١٦٧٢م.

وقد توصل العرب إلى تركيب (المواد المفرقة)، واستخدمت هذه المواد ليس في الحرب فقط ولكن في السلم ايضا وبنقل وترجمة هذه الكتب (كتب جابر بن حيان والرازي) إلى اللغات الاوربية، قام الاروبيون بتقسيم المواد الكيماوية إلى مواد نباتية وحيوانية ومعدنية، وحتى الآن نجد ان هناك أسماء وكلمات عربية ما تزال بمعناها في القواميس الاجنبية مثل الاكسير - صودا - عطار - بنزين - الكحول.. إلخ. ويدين الطب الغربي لعلم الكيمياء العربي بأشكال من العقاقير وغيرها.

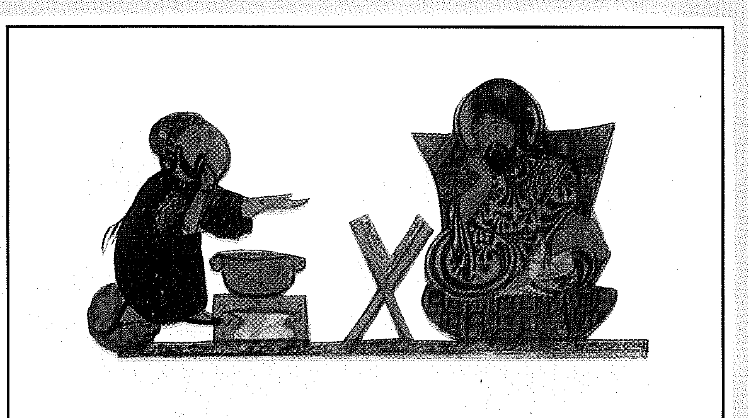
الصيدلة

بعد ان مات قسطنطين الافريقي وضع عميد كلية الطب في سالرنو كتابا على الطريقة العربية واخذ الغرب عن العرب علوم الاقرباذين، وطرق استخلاص الادوية وتحضيرها كما انتشر في البلاد الغربية العقاقير الطبية، وكذلك كتب كثيرة تعلم منها أجيال من الصيادلة الغربيين.

الرياضيات

الثابت ان الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي، اما المسلمون - وهذا واضح من المصادر العربية - فكانوا يعرفونه من القرن الثامن، وكانوا يرسمونه حلقة، والتعبير عن الصفر موجود في مصادر اخري كثيرة منها كتاب (النقط) لابي عمرو عثمان ابن سعيد الداني.

لم يقتصر فضل العرب على علم الحساب فقط، ولكن امتد إلى علم الجبر الذي اخذه الاوربيون عن العرب، ومازال حتى الان محتفظا باسمه العربي في كافة اللغات الأوروبية، وتم وضع كتاب في هذا العلم الفه (محمد بن موسى الخوارزمي)، ونقله إلى اللاتينية (روبرت الشسترى) سنة ١١٤٥م، وعالم آخر له فضل على



الغرب في علم الجبر هو أبو بكر محمد بن حسن الكرخي) ومن مؤلفاته (الفخري في الجبر والمقابلة) وكتاب: (الكافي في الحساب).

الهندسة وعلم المثلثات

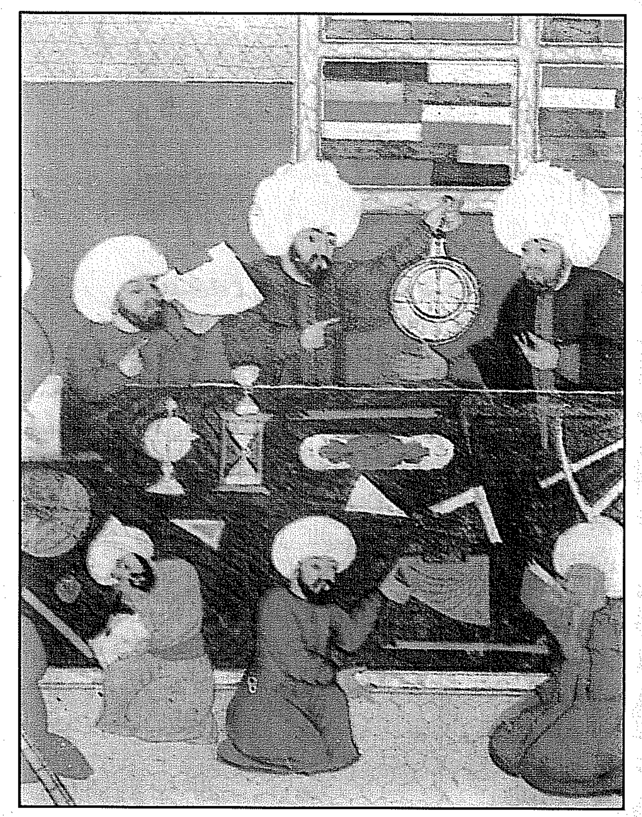
كان للعرب الفضل في ترجمة كتاب اقليدس في الهندسة، ونقلها عنهم الاوروبيون الى اللاتينية في القرن الثاني عشر وأدخل العرب الماس إلى علم حساب المثلثات وحلوا المعادلات المكعبة، كما اقاموا الجيوب مقام الاوتار وتعمقوا في أبحاث المخروطات.

واهتم العرب بعلم الميكانيكا، حتى أننا نجد (الطومس) المتوفي سنة ١٢٧٤م ترجم (الكرة المتحركة لاوطولوقس)، وليس أدل على أثر العرب في الرياضيات ان البابا سلفستروس الثاني واسمه جربرت كان يحب الأرقام التسعة التي تعلمها عن العرب، وأخذ الاوربيون عن العرب فن الحساب في السدس الاعشاري وتقسيم الدائرة إلى ستين جزاء، ونجد نظرية الفارابي ونظرية ابن سينا في الاحجام اللامتناهية الصغرة هي التي امدت العلماء الغربيين فيما بعد بنظرياتهم في الذرة.

الطب

كان قانون ابن سينا في الطب موضع اهتمام الغرب منذ القرن الثالث عشر إلى السادس عشر، واعتمدت كليات الطب في أوربا على كتب الرازي زمنا طويلا لذلك فان كتب الرازي وابن سينا كانت اساسا للتدريس في جامعة لوفان في القرن السابع عشر من الميلاد.

وعند الفرنسيين كان الطب العربي اساس علم الطب، وسبق العرب الاوربيين إلى وصف بعض الامراض، مثل الجذام ومرض الحصبة ومرض الجدري وغير ذلك. ولم يكن عالم واحد من مراكز العلم الاوربية إلا ومد يديه إلى الكتب العربية. ولم يكن هناك كتاب واحد في أوربا خلال هذه الحقبة الا ونهل من الكتب العربية، وكانت هناك كتب كثيرة لابن سينا وحنين بن اسحق والرازي وابن زهر. وأول وصف الكافور لإنعاش القلب هم الاطباء العرب، وكذلك القهوة المطحونة كعلاج لالتهاب اللوزتين وغير ذلك.



الجراحة

كتاب ابي القاسم خلف بن العباس الشهير بالزهراوي هو (التعريف بمن عجز عن التأليف) هذا الكتاب كان المصدر الاول لجميع الجراحين في القرن الرابع عشر، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية سنة ١٤٩٧م ثم طبع مرة اخري سنة ١٨٦١م، وهذا الكتاب وضع اسس الجراحة الاوروبية.

الفلسفة

يجمع الباحثون على أن ابن رشد هو اهم فيلسوف عربي درس الفسلفة الارسطية وانتقد أرسطو كثيرا، ووضع اساس فلسفة عربية رائدة، وقد ادرك الاوروبيون قيمة هذا الفيلسوف العربي فقام (ميخائيل سكوت) سنة ١٢٣٠م بترجمة أعمال ابن رشد إلى اللاتينية.

وكان ابن رشد في القرن الخامس عشر هو المعلم الاكبر دون منازع في كلية بادوا بايطاليا، وظهرت آثار آراء ابن رشد في فلسفة القديس (توما الاكويني) (١٢٢٥ - ١٢٧٤م)، وماكتبه توما عن العقل والعقيدة وعجز المقال، عن ادراك الاسرار الالهية ليس الا مقابلا يسيرا لما كتبه ابن رشد في كتاب (فضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) وقد تأثر توما تأثرا بالغا بفلسفة ابن رشد لدرجة ان كتاب (الخلاصة) لتوما يحوى بعض المذاهب اسلامية الأصل.

الفلك

الاسماء العربية باقية بلفظها في المعجمات الفلكية الاوروبية، سواء من اسماء الكواكب والنجوم، او اسماء المدارات والمصطلحات، واهم هذه المؤلفات هو (كتاب الزيج الصابي) للبتاني، مما كان له اثر عظيم في تقدم العلم في أوربا في العصور الوسطى وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وقد امر (الفونسو العاشر) ملك قشتالة بترجمته من العربيَة الى الاسبانية في القرن الثالث عشر. وكان العرب في القرن السابع عشر ومابعده هم سادة البحر الأبيض المتوسط، وأعطوا الطليان والفرنسيس الألفاظ البحرية.

كما أقدموا على قياس خط نصف النهار الذي لم يوفق له علماء أوربا إلا بعد مرور ألف سنة، وقام العرب باكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بيضي، وقدموا اختراعا ت أخرى تشبه المعجزات مبتكرين آلات مختلفة للمراقبة والقياسات.

وهكذا نجد ان للعرب فضلا كبيرا على الحضارة الاروربية، وقد شهد بذلك (لبتري) عندما قال: (لو حذف العرب من التاريخ لتأخرت نهضة الآدب عدة قرون في الغرب) ولولا المعارف العربية لكان وجود الفكر الأوربي الحالي مستحيلا

*باحث مصري

إننا نذهب كل يوم إلي عالم آخر. يأخذنا في أي وقت ونحن في أي وضع وهو نعمة من الله عز وجل وحق من حقوق البدن مما قام به، ويكون أساسا لعمل فعال بعد الاستيقاظ، وهذا العالم يأخذ ثلث عمرنا تقريبا ولكي لا يكون هذا سلبيا فله وقت بل وله وضع معين كي يسعد الإنسان به كما يسعد بيقظته.

* يتطهر قبل النوم - إن أحتاج - وينام على يمينه، ويذكر الله عز وجل حتى يأخذه النوم، ويدعو إذا تحار من الليل ويحمد الله إذا انتبه.

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم أضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك أمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة فاجعلهن أخر ما تقول» البخاري

لماذا النوم على الجنب الأيمن

الجاذبية الأرضية مع القلب-الكلية اليسرى أكبر من اليمنى-الرئة اليسرى أصغر من اليمنى-الكبد أكبر أعضاء الجسم البشري

* صدقت يا سيد المرسلين وطبيب الحائرين فيما قلت فقولك الحق.

«النوم على الجنب الأيمن»

منذ ١٤ قرن تقريبا يؤكد كبار الأطباء وعلماء الطب أن النوم على الجنب الأيمن هو أفضل أوضاع النوم بل وإنه لا يجب أن نقارن بين النوم على الجنب الأيمن وأي وضع آخر وذلك لفوائده ومنافعه المتعددة عن أي وضع اخر وأكده سيد الرسلين وطبيب الحائرين حيث قال اضطجع فهو أمرٌ لنا أثناء النوم وأمر للعلماء لكي يفسروا سر النوم على الجنب

بقلم الأستاذ / البدري محمد الهادي مطاوع

الأيمن.

١ - لكي لا يضغط الكبد (أكبر غدة في الجسم البشري) بوزنه الثقيل على الأعضاء بداخل البطن.

٢ - الرئة اليسرى أصغر من الرئة اليمنى التي يقع عليها الضغط، عن الرئة اليسرى وبالتالي يتساويان في حجم الهواء بالداخل.

٣ - الكلية اليسرى أكبر من الكلية اليمنى وبالتالي تقدر الكلية اليسرى على جذب كمية من الدم تعادل الكلية اليمنى.

٤ - القلب مائل جهة اليسار وبالتالي يكون منسابا لأسفل (مع الجاذبية الأرضية) جهة اليمين التي هي أكبر من الجزء العلوي جهة اليسار.

وبالتالي يرتاح القلب عما لو نمنا على الجنب الأيسر في عدد الضربات وكمية الدفع في الضربة الواحدة ولكي لا يكون الدم في جهة اليسار أسرع منه في جهة اليمين.

حالات النوم

النوم البطيء نتيجة لنشاط قشرة المخ بينما النوم السريع نتيجة جذع المخ

تحدث حالتان غير متشابهتان ومتكررتان أثناء النوم تتمثلان في

١ - حالة (مرحلة) النوم البطيء - المنتظم : بدون أحلام، مع موجات بطيئة من نشاط الدماغ.

٢ - حالة (مرحلة) النوم السريع - غير المنتظم : مع حدوث أحلام نشاطة ومؤثرة وسرعة حركة مقلة العين، وأضطرابات شديدة للنغمة العضلية.

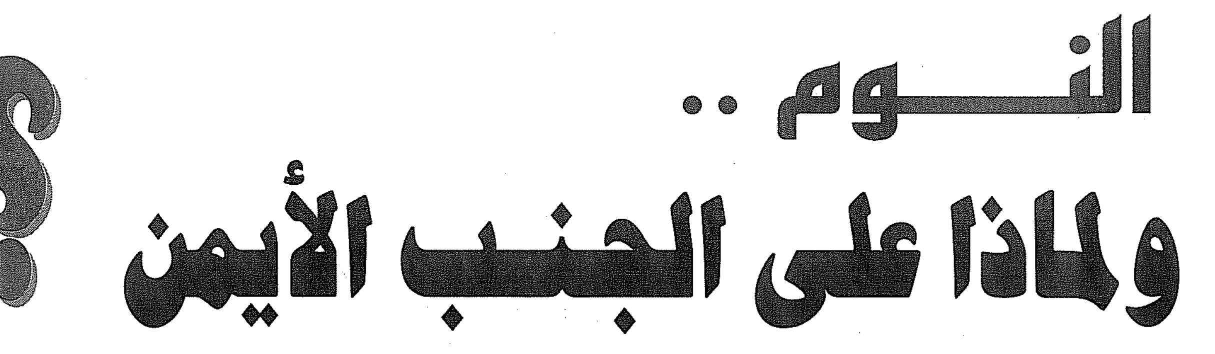
وتبلغ مرحلة النوم البطيء - المنتظم من ٧٥ : ٨٠٪ من زمن فترة النوم الكلية لدى الإنسان.يتخللها حالات من النوم السريع أكثر من مرة، ويعتقد أن النوع البطيء نتيجة نشاط قشرة المخ، والنوم السريع نتيجة نشاط الجزء الأسفل من جذع (ساق) المخ وكلتا المرحلتين من النوم ضرورتيين وحيويتين. وتتحكم قشرة المخ في نشاط مراكز تحت القشرة فيما يتعلق بثبات عمليتي النوم واليقظة، وكذلك تنظيم الوظائف اللا إرادية أثناء النوم، والمتصلة باستشفاء (العودة إلى الحالة الطبيعية) لمختلف الأجهزة والأعضاء.

أوقات وساعات النوم الضرورية للإنسان

الشخص البالغ يحتاج إلى ٦ - ٨ ساعات أنس أوقات النوم هو النوم ليلا.

﴿وجعلنا نومكم سباتا. وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا﴾ النبأ/ ٩ - ١١.

وأكد علماء الطب وعلم النفس أن في الليل تنشط الهورمونات وخاصة وقت الظلام





والهدوء ولا مانع من أن يأخذ الفرد قدر ساعة بعد الغذاء إن شعر بالنوم وإن لم يشعر لا ينام.

وأكدوا كذلك أن أفضل أوقات النوم ما بين الساعة ١٠ أو ١١ مساء وحتى الساعة ٥ أو ٦ صباحا.

ساعات النوم الضرورية للإنسان

تختلف ساعات النوم من شخص لآخر وحسب العمر والشخصية والحالة النفسية والحالة البدنية.

ولذا من الطبيعي حدوث تفاوت في ساعة أو ساعتين من عدد ساعات النوم بين أبناء المرحلة الواحدة. ويحتاج الأطفال في الثلاثة أشهر الأولى من عمرهم إلى عشرين ساعة ومن ١٦ - ١٨ ساعة حين يكون عمره ستة أشهر ١٤ - ١٥ ساعة عندما يكون عمره سنة. وتقل تدريجيا ساعات النوم من ٦ - ٨ ساعات في الشخص البالغ ثم تقل بعد ذلك وتصل للكبار من ٦ - ٤ ساعات ومن المعلوم أنه كلما كانت حركة الشخص مستمرة ومتواصلة أثناء النهار كلما كانت ساعات النوم أكثر وأعمق.

التغيرات التي تحدث أثناء النوم

الأم تصحو عند سماع بكاء طفلها

النوم يعتبر الجزء المكمل لليقظة على مدى اليوم فهو ليس حالة خمود أو حالة سلبية كما يعتقد بل هناك أنشطة وتغيرات عديدة تحدث أثناء النوم. مثلا تستمر حركات الجسم وتقلباته، يزيد مجرى الدم في المخ أثناء النوم عنه أثناء اليقظة ينشط الجهاز الباراسمبثاوي في الجهاز العصبي اللا ارادي. وأحيانا يبدو عل النائم أنه غير منتبه.. إلا أن عدم الانتباه يأخذ مجرى أنتعائي. فالأم تنام نوما عميقا وحولها ضجيج الشارع أو الراديو ولكنها تصحو في الحال عند سماع بكاء طفلها. معنى ذلك أن هناك أجهزة معينة في حالة نشاط، هذه الأجهزة مخصصة لالتقاط منبهات معينة مثل صوت الطفل مثلا. كما تتغير بعض وظائف الجسم فمثلا يزداد معدل إفراز الهرومونات المسؤولة عن نمو الجسم ويزداد نشاط الغدة الدرقية، بينما تقل إفرازات الفم والأنف والزور ويحدث تقلص لعضلة العين ويقل معدل ضربات القلب كما يقل ضغط الدم وينخفض معدل العمليات الحيوية في الجسم وتنخفض درجة حرار الجسم.

المراجع

١ - أسرار النوم تأليف : الكسندر يوريلي - ترجملة د. : أحمد عبدالعزيز سلامة / سلسلة عالم المعرفة.

٢ - الصحة الشخصية في المجال الرياضي - د. على جلال الدين - جامعة الزقازيق

٣ - المجلة العربية - العدد ١٢٢ دار الأسفهان بجدة.

٤ - عذابك له علاج - د. أحمد عكاشة مؤسسة - أخبار اليوم.

٥ - مجلة العلم - العدد ١٣٢ - أكاديمية البحث العلمي بمصر.

معالم على طريق الإيمـان

بقلم: د. محمد شتا أبو سعد

إن الإسلام دين القلب النقي، والنية الصادقة الصافية، والإخلاص التام، في ظل التوحيد الخالص، وما على العبد بعد ذلك، إن أسعد نفسه طالما كان قلبه عامرا بتقوى الله.

ولايتصورن أحد، أن كل إنسان يستطيع كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء التي قد تدفع صاحبها الى حب الدنيا، إلى درجة تمكنها منه، واستيلائها على كل جوارحه وقدراته، بحيث لا يتصرف إلا لتحقيق كل ما هو دنيوي.

نعم قليلون هم الذين يستطيعون التغلب على مطالب الدنيا، ونزغات الشيطان فيها، ولكن الأمر مقدور، بحول الله وقوته، إذا بدأ كل مسلم بتربية أولاده على حب الآخرة، فالتربية الروحية هي الطريق الصحيح لتحقيق الغنى الحقيقي بالآخرة على الدنيا، وهي تربية تحتاج الى مساندة إعلامية، وإلا فإن الاعلام غير الملتزم يجهض كل خطوات التربية.

فالتربية هي سبيل بناء الاجيال التي تستغني بالآخرة عن الدنيا فتتمثل سلوك السلف القويم وعقيدتهم الراسخة، من أجل تحقيق آمال المستقبل بالفهم الدقيق للدين، والإيمان العميق برب العالمين، هما سبيل الحب الوثيق للآخرة.

الإيمان حقيقة عقلية

إن الإيمان ليس فكرة عاطفية وإنما هو حقيقة عقلية، إذا صحت، تحركت الإرادة الإنسانية صوب الحق في الآخرة، متغلبة على كل صعاب الحياة الدنيا، من خلال التربية الروحية..

القلب الموصول بالله

وعماد التربية الروحية، هو القلب الحي الموصول بالله، الذي لا ينبض بحب شيء سواه، ولذا فإن خشية الله تملأ كل جنباته فلا تترك لحب الدنيا فيه مكانا أو مجالا، وهذا هو معنى القلب الموصول بالله، أما ادعاء الوصول لله فهذا تخريف صوفي وعفن فكري يهدم أصول العقيدة وينقض أركان الإسلام والايمان والاحسان.

ورحمة الله تحل بهذا القلب لا محالة، فيكون مهبط تجلياته، وكيف لا والله سبحانه وتعالى لا ينظر الى صورنا وإنما ينظر الى قلوبنا. نظرة رضي بسلوك العبد الذي جعل الآخرة غايته: ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء ٨٨و ٨٩].

أدران المادة

إن التربية الروحية تتجه الى قلب المؤمن، تحييه فلا يتعلق بالدنيا، وتستنقذه من أدران المادة فلا يخضع لها، وتعمره بالعقيدة فلا يخربها، وترققه بالرحمة فلا يقسو، وتعلمه الوفاء العهد مع الله فلا ينقض ميثاقا أبدا، ولايكون كبني إسرائيل حيث ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾. [المائدة :١٣]

فإذا تمت تربية العبد تربية روحية، ذكر الله فاطمأن قلبه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد:٢٨] وأناب إلى الله وخشى ربه، وتوكل عليه، وعندئذ لا يكون للفقر معنى في قاموس المؤمن، إن الصعب يسهل بين يديه، فلا المتاعب تنال منه، ولا المشاق تثني إرادته ولا العذاب الدنيوي يوقف مسيرته نحو الله.

حب الدنيا مأساة

أن التربية الروحية تحول دون تمكن حب الدنيا من قلب المؤمن، فلا تنبت شجرة الخطيئة فيه، ولا يصبح حب الشهوات هو كل غايته ومراده، ولا يصبح للبحث عن الجاه والسلطان مكان في حياته، فهو يلوذ بجاه من لا جاه قبله، ويحتمي بسلطان من لا سلطان بعده، فلاحب الشهرة يحركه، ولاشح النفس يتمكن منه، ولا هواه يسيطر عليه، ولا إعجابه بنفسه يقوده الى حتفه.

التزام الكتاب والسنة

وتقوم التربية الروحية على التزام القرآن الكريم منهجا والسنة النبوية المطهرة طريقة حياة، والتقرب إلى الله بالفرائض، وملازمة الجماعة في صلاتها وتحركاتها.

العقيدة تقهر الشهوات

وبهذا الوضوح تملأ العقيدة الصافية قلب المؤمن، فينشغل بالآمال الكبيرة عن الشهوات الصغيرة، وبحقائق الآخرة عن أوهام الدنيا، ويصحو الضمير عن موت الأفئدة، وبالتوبة عن الأسباب الموقعة في الخطأ.

طريق التوحيد

إن التربية الروحية تربط على قلوب المؤمنين في كل مكان فلايفصل بينهم زمان أو مكان، وإنما ينتظم هذه القلوب طريق واحد هو طريق التوحيد، الذي تذوب فيه الألوان والأشكال والصور والأحساب والأنساب والأعراق، ويصبح المسلم للمسلم ساعده الذي يدفع عنه الأذى، ويحب له الخير، ويحول دون استضعافه، فترتفع راية التوحيد عالية خفاقة، تأنس لها كل القلوب، العامرة بالإيمان، فتختفي آثار عصور التخلف وما أدخل على الإسلام من شوائب وبدع، وتزول آثار الغزو الفكري والاستعمار الثقافي، وتنتشر الأصول الحقيقية لهذه العقيدة الصافية من خلال توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، فلا توجه العبادة إلا الى الله وتوحيد أسماء الله وصفاته، ويتحول كل مسلم إلى أداة بناء سبيلها الإخلاص والثبات والثقة في أن نصر الله قريب، وغايتها فعل الخير الذي هو مهمة الأمة المسلمة، ووسيلتها الحكمة والموعظة الحسنة وعدم الخوف من لومة اللائمين ولا ثورة الحاسدين، ولا عقبات الكائدين الضالين المضلين.

أثر تحقق التربية الروحية على الحقيقة الإيمانية

فإذا حققت التربية الروحية، فقد انفتحت الأبواب أمام نشر الحقيقة الإيمانية، تلك الحقيقة التي توصل إلى أعلى المراتب في الآخرة، حتى وإن لم يدرك الإنسان كل مراده في الدنيا.

وقد لا يتقبل الشباب ذلك بسهوله، ولهؤلاء نقول كلمة هادئة، الباب مفتوح أمامكم، فاختاروا السبيل الذي تريدونه، فإن اخترتم طريق الخير نلتم الرضوان، وإن اخترتم طريق الباطل فلن تجنوا سوى الخسران.

وطريق الرضوان، هو طريق مراتب الآخرة، التي يتربع على قمتها رسل الله، وهم المصطفون من عباده الذين يستحقون السلام ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ [الصافات:١٨١]، ثم أنبياء الله، ثم ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم من الصديقين وغيرهم. ثم أئمة العدل، والمجاهدون في سبيل الله، وأهل الإيثار والإحسان، ثم أهل النجاة من النار، ثم أهل التوبة النصوح، ومن يلحق بهم من أهل الأعراف.

طريق الخسران

أما طريق الخسران، فهو طريق أهل الشر والمحنة والبلية، ومن عرفوا الطاعة فعصوا، وعرفوا المعصية فاجترحوا السيئات ولم يطيعوا، ورؤساء الكفر وأئمته ومقلدوهم من الإنس والجن.

السلفية لا تضيق بالمعاصرة

وهذه الحقائق لا تزال تفرض نفسها كل يوم في عالم طغت فيه المادة حتى أعمت البصائر والأفئدة، وصار لها اتباع يقولون مالنا بماضينا، علينا بعصرنا، وهؤلاء يرددون كلاما لا يفهمونه، أو يفهمونه، ويريدون به هدم العقيدة، فالسلفية لا تتعارض أبدا مع مستلزمات الحياة العصرية، ومقتضيات العلم، وموجبات الحضارة والمدنية والتطور، ولكن أي حضارة بمنأى عن الكتاب والسنة إنما هي خسارة، وكل مدنية بمنأى عن الكتاب والسنة إنما هي زراية وبلية، وكل تطور بمنأى عن هدي السلف إنما هو تهور أحمق، يهدم ولا يبني، ومن هنا كانت العقيدة هي العاصم من القواصم، والشريعة هي سبيل الحياة المستقيمة، وحب الآخرة، هو الأساس الوحيد لسير الحياة الدنيا بانتظام وبلا تهارج أو فساد، أما ماعدا ذلك من حب الدنيا حتى تصبح هذه الدنيا أكبرهم الإنسان، فإنه سبيل الهلاك والضياع، ولانجاة من كل ذلك إلا بالتربية الروحية الواعية، والدعوة الصادقة الصافية المخلصة إلى الله، والعمل الجاد المنتج الذي لا يبتغي به العامل سوى وجه الله، الذي يقوم به، كعبادة قوامها حب الله وعباد الله أجمعين.

وآن أوان الصدقة

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال: قال الله تعالى: «يابن آدم: أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذ سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئير، فجمعت ومنعت حتى

الإسلام دين القلب النقي والنية الصادقة الصافية والإخلاص التام

معالم على طريق الإيمان

إذا بلغت التراقي قلت: أتصــدق، وآن أوان الصدقة».

لا يجوز نسيان الله تعالى

هذا الحديث الشريف، يبين لكل ذي بصيره أن من ينسى الله في كل الأوقـات، لا يكفيه أن يتـذكـره في أحلك اللحظـات. فمن نسى نفسه، نسي حقيقـة فقره إلى الله، وحـاجته إلى معونته، والإنسان لا ينسى نفسه إلا إذا كان أشـد التصاقا بالـدنيا بحيث يستغني بها عن خـالقها. من أراد النجـاة فعليه أن يتذكر الله، ولن يتحقق ذلك، إلا إذا نظر إلى نفسه نظـرة عتاب وحسـاب وعقاب، فهـو يجب أن يعــاتب نفســه لأنها أبعدتــه بالاستغنـاء عن الله عن مـرتبة العبـودية، وهـو يجب أن يحاسبها لأنها صرفتـه عن الطريق الموصلـة إلى هذه العبوديـة الحقة، ويعاقبهـا لأنها جعلته بالاستغنـاء عن الله ينأى كلية عن مـرتبة كمال العبوديـة، وما أدرك ما مرتبة كمال العبودية ؟

إنها مـرحلة الإحسـاس بحاجة العبـد إلى المعبـود وعدم استغنـائه عنـه طرفـة عين، مهما بلغ غناه، ومهما كانت منزلته.

ولنـا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة: فلقد كان يدعو الله قائلا: «أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طـرفة عين، ولا إلى أحـد من خلقك» وكان من أحب دعـائه إلى نفسـه«يـا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» وكـان لا يقبل الإطراء لأنه بـوصف العبـودية الحقـة أحق وأولى من إطـراءات البشر التي لا وزن لها عند اللـه. فكان ﷺ يقول: «أيها النـاس، ما أحب أن تـرفعوني فوق منـزلتي إنما أنا عبد اللـه»، وكان ﷺ يقول : «لا تطـروني كما أطرت النصــارى المسيح بن مريم، إنما أنـا عبد، فقولـوا عبد الله ورسوله».

فعلى من أراد مقـام العبـودية الحقـة، أن يحقق في ذاتـه فقـره إلى اللـه، الـذي يجعل الصدقة تخرج من بين يديه بلا حساب ولا خـوف من الفقر المادي، لأنـه في جنب اللـه أغنى من كل عباد الله، وبعبوديته الحقة له أكثر قـربا من الله، ومن كان هـذا شـأنه لا ينتظر لحظة الموت لكي يتـوب فيها، أو لكي يطلب إمهاله للتصدق خلالها فعندها يكون الأوان قد فات.

إحساس المؤمن الصادق بالفقر إلى الله

إن المؤمن الصــادق، الـذي بلـغ مـرتبـة العبوديـة الحقيقية، حتى وإن لم يصل إلى مـرتبـة كمال العبوديـة، هـو الـذي يحس ويشعر أن نفسه ليست ملكا له، وإنما هي ملك لخالقه، ولذا فإنه يشعر أن كل ما يملك هو ملك للـه الذي منحه وأعطـاه، فلم يطو بـاطنه على حب الـدنيـا، ولم يلوث نفسـه بأدران المال عندمـا يكسب دون وجه حق، بل يشعـر أنه لـو ملك وزن جبـال الأرض مالا لما تعلقت بـه نفسه، ولما كان المال أكبر همه، ولما دفعه إلى اكتنازه وحبسه عن عباد الله، ولما فعل أقل من إعطاء المحتاج.

الفقير إلى الله

الفقير إلى اللـه هو الـذي يستغني بما عنـد مـولاه المالك الحق – مـن بيـده خـزائن وملكوت السماوات والأرض – عن كل من سواه وما سـواه. فلا يجزع لنقصان المال، ولا يهلع لقلتـه، فما المال إلا وديعة في يـده، ومـا يده المالكـة – اضـافـة – إلا مملوكـة حقيقة للملك الديان. إن شاء أغنى وإن شاء أقنى، إن شاء منح وإن شـاء منع، إن شاء أبقى وإن شاء أذهب.

إن افتقــار العبــد إلى اللــه يحول دون طغيانه، ولا طغيـان إلا بسبب مادة تهبط على قلب خال من عبـادة الله، فتمـلأ هذا القلب بالمادة الزائلة، ولا يصبح فيه مكان للملك الأوحد، ولاحـول ولا قوة إلا بـالله، ومن دائرة جمع المال ينتقل الانسـان الى دائرة المحافظة عليه، وحراسته لمن يتمتع من بعده به.

تأمل في ذلك كلـه قول اللـه تعالى: ﴿ كلاّ إن الانســان ليطغى. أن رآه استغنى ﴾ [العلق:٦و٧]. وتأمل قوله تعالى: ﴿ واما من بخل واستغنى. وكـذب بـالحسنى. فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل:٨ – ١٠].

العبد الحقيقي

العبـد الحقيقي، إذن هـو الفقير إلى اللـه، وهو في فقـره له، أغنى النـاس به، وكيف لا؛ وقـد نفض يـده من الدنيـا وزينتهـا وأسكت لسـانه عن الحديث في ملـذاتها، وشهواتها، ولم يـدع في قلبه ثغـرة واحدة ينفذ منهـا الشيطان ليذهب منها بـروعة الإيمان المتمثل في عدم اللجـوء إلا إلى الملك الديان.

ضرورة الإعراض عن الدنيا

إن الإعــراض عن الــدنيـا ضرورة من ضرورات كمال إيمان المسلم، في هــذا الـزمن الذي كثـرت فيـه الإغراءات، فـلا يطلبها – أي الدنيا – وإن سعت إليه، ولا يذمها وإن قست عليـه، ولا يمدحها وإن أقبلت عليـه، ولا يتركها وإن أسـاءت إليه بمن فيها من شياطين الإنس والجن.

المؤمن الفقير إلى ربه ينظر إلى الدنيا معبراً لنيل المآل وما أشرفه، ومرقاة للوصول إلى الحق ومـا أجلاه، وسبيـلا يجب أن تظل مشرقـة فلا تمتلىء بظـلام النفـوس، ولا ســوء الطبـاع، ولاظلمــة الهوى، وإنما يغترف من فيض الكتـاب والحكمــة مـا يجعلـه مـن أهل الاستقـامـة الــذين لا يقبلون الضلال.

إن الفقير إلى اللـه، هو الغني بـالتوحيد، الســاكن قلبه بـالعقيدة، الآنسة نفســه بالإيمان، الصافية روحه بالاطمئنان. إنه لا يقر بغير اللـه ربا وإلها، فمحبته قـوته

عماد التربيـــة الـروحيـــة، هــو القلب الحي الموصول بالله، الذي لا ينبض بحب شيء سواه

وطاعته طمأنينته، ورضاه غايته فأنى لمثل هذا أن يضيع وإن ضاع الجميع؟

فقدان الإخلاص

فأين هذا ممن فقد الإخلاص، وراء جهال الناس قبل غيرهم، وأضاع أنفاسه في غير مرضاة الله، فنام ليله كله ولم تدمع عينه فيه برهة وهو يناجي ربه، وبدل أن يحسب سيئاته ليكفر عنها، ظل نهاره يحسب أرصدته التي سيتركها، فتكون عليه، بدل أن تكون له، مشى في طريق الفقر غشا وخداعا ورياء، ويحسب أن الغنى فيه، لم يطمع في مقام أعلى، ولم يتطلع إلى منزلة صدق أبدي، خاصم الإحسان، وبارز بالمعاصي الملك الديان، تعلق بالدنيا، وقطع علاقته بالآخرة، ونسى أن الدنيا عدم، وأن الآخرة هي دار الرضوان، أخلد إلى الحضيض، ولم يصعد منه شيء الى رب العباد، من كلم طيب أو عمل صالح، ونسى قول الله تعالى: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر:١٠]. وكيف يفكر في الخير من لم يعرف ربه، فضاعت نفسه، وتشتت قلبه وفقد قبلته وافتقد سكينته، فتأله وتعبد لمخلوق مثله، ونسي من على العرش استوى، من له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

والله من ورائهم محيط

إن الغني الحقيقي هو من افتقر إلى الله، والفقير الحقيقي هو من استغنى عن الله، فهو ممن يسمعون آيات التقوى ولكنهم يعصون، ويتعللون بأنهم عصوا الله في شيء، لكنهم مذعنون لإرادته في كل شيء، وهؤلاء هم شر البرية، إنه لا يكفيك أن تعترف بربوبية ربك، وإنما يجب أن توحده توحيد ألوهية، وهي تستلزم ولوج العبودية الحقيقية، وتتطلب تنزيهه سبحانه وتعالى وطاعته جل شأنه أيما تنزيه وطاعة.

والافتقار إلى الله يستلزم أمورا كثيرة أهمها تقواه، وعدم عصيانه وتحكيم شرعه وعدم الانسلاخ من شريعته، والبراءة من كل دعاوي الجاهلية، ومن أمثلتها الاحتكام إلى القوانين الوضعية غير المستقاة من الشريعة الإسلامية، وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والاعتماد التام على الله، والاهتداء به وحده والاذعان لمشيئته، والرضا بقضائه وقدره، فهو مالك الإرادات ورب القلوب ومطببها ومصرفها كيف يشاء.

تحكيم كتاب الله

كما يستلزم الافتقار إلى الله تحكيم كتابه وسنته قبل ركون الانسان لعقله وإرادته، وعدم معاندة الفطرة، وعدم الانحراف عن الحق، أو الزيغ عن الهدى، أو الشك في الثواب والعقاب، وعدم الاستغاثة إلا به، مع الفكاك من كل يد إلا يده، وإظهار ضرورة الاحتياج إليه، والتذلل له وعدم نسبه طلاقة القدرة إلا اليه، وعدم الخروج من رفعة العبودية الى ذل الملذات الدنيوية.

خطأ الصوفية

ويخطيء الصوفية عندما يستغنون بتوحيد الربوبية عن، توحيد الألوهية أو توحيد العبادة، لأن الاعتراف بأن الله الخالق الرازق لا يكفي، والفناء الإنساني كما يقال عادة عندهم، في هذا الصدد لا يكفي، وإنما يجب أن تصرف كل العبادة الى الله دون إشراك أحد معه فيها سواه، وهذه مسألة تغيب عن معظم المتصوفين.

الاستقامة في العبادة

إن الفقر إلى الله، يعني الاستقامة في عبادته، فيقلع الغني عن كل ما سواه، فلا توسل بصالح أو نبي، ولا طلب للشفاعة في الحياة الدنيا من صالح أو نبي، ولا عبادة للقبور، ولا رفع لها لتكريم من فيها، وإلا فأين الغنى بالحق عن كل ما سواه، وهو جماع الفقر الى الله.

احاطة الله بكل شيء

إن سبب وجود تجرد العبد في عبادته وافتقاره الى الله وحده يكمن في إحاطة الملك العلام بكل ما في العالم وبكل ما في خواطر الأنام، فكل العوالم في قبضة الله وإحاطته، قال تعالى: ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ [الإسراء:٦٠] وقال سبحانه : ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ [البروج:٢٠]، وقال عز من قائل: ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ [البقرة:١٥].وإذا كان الانسان في حياته يفتقر الى قريب منه، والأولى، ولله المثل الأعلى، أن يكون افتقار الإنسان الى من هو أقرب اليه من حبل الوريد. قال تعالى: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿ إن رحمة اله قريب من المحسنين ﴾ [الأعراف:٥٦].

الافتقار الى الله أساس الحركة الإيمانية

إن العابد المخلص لله، هو من يجعل افتقاره إليه، أساس حركته الإيمانية في الحياة، فيخلص عبادته لله في كل شيء، ويخلص معاملاته مع عباد الله في كل شيء، ويحفظ جوارحه عن المساس بمحارم الله وحقوق الآخرين، ولايأكل إلا حلالا، ولاينشد إلا حلالا، ولايقول إلا حقا وصدقا، وليست تلك مطالب مثالية، ولكن الناس حين انحرفوا عن السبيل ظنوا الواجب غير ممكن، واللازم غير ضروري، والمفروض غير ملزم، ولكن العودة إلى الطريق ميسورة بحول الله، فقط على الإنسان أن يبدأ من جديد، من نقطة التوحيد الخالص، وعندها لن يضل أبدا، لأنه بفقره الى الله، سيكون أغنى الناس به عمن سواه، وكيف لا وهو في كنف التوحيد، يعيش أعظم معاني السلام، فالإسلام دين السلام، الذي يجب أن يتمثله الفقير والغني، فالفقر لا يمنعه والغنى لا يقضي عليه ■

افتقار العبد إلى الله يحول دون طغيانه ويحفظ له إنسانيته

التكيف السليم أساسه الأخلاق والدين

بقلم: رجاء حنفي عبد المتجلي*

تعد التربية الخلقية والدينية من أهم الشروط الأساسية للوصول إلى التكيف السليم، وذلك لأن التعاليم الدينية، والمبادىء الأخلاقية، والقيم الروحية، تجنب الفرد الوقوع في الزلل، وتبعده عن الخطأ، ومن هنا فهي تخفف إلى أبعد الحدود من حدة التوتر لدى الفرد، والذي ينتج عن تصارع الدوافع والاتجاهات، وما قد يترتب على ذلك من تردي الفرد في الأحساس بالذنب، واتهام الذات بالناتج عن ارتكاب الأخطاء.

ومما لا شك فيه أن الفرد يشعر بالأمان النفسي والطمأنينة الروحية، عندما يسلك طريقا معينا مقبولا، ولابد من أن يكون هذا الطريق مشتقا من قانون أخلاقي يستند إلى الدين.

أولى اهتمامات رجال التربية

ولهذا فإن أهم مايجب أن يعنى به رجال التربية، ويبذلون في سبيله أقصى ما في استطاعتهم، دراسة أفضل الوسائل التي تستطيع بها الأسرة والمدرسة أن تساعد الأطفال على أن يحددوا لأنفسهم نظاما من القيم والمبادىء الخلقية، يستمدون منه موجهات سلوكهم، واتجاهاتهم الفكرية، وهذا النظام من المبادىء والتعاليم والقيم الأخلاقية الدينية يعد ركيزة أساسية، تقوم عليها عملية التكيف السليم، باعتباره المحدد للسلوك، والموجه للتفكير.

وليس السلوك سوى نشاط يقوم به الفرد، وهو يتعامل مع بيئته ويتكيف معها، والمقصود بالبيئة: مجموعة العوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر في نمو الكائن الحي ونشاطه، منذ تكوينه وإلى آخر حياته.

والبيئة إما مادية طبيعية، أو بيولوجية، أو اجتماعية، وتتلخص الأولى في طبيعة المكان الجغرافي الذي يعيش فيه الفرد، وفي درجات الحرارة والرطوبة، والاضاءة التي يتعرض لها، وما إلى غير ذلك، ويمكن اعتبار الدم وغيره من السوائل التي تحيط بخلايا الجسم بيئة بيولوجية لها.

أما البيئة الاجتماعية فيغذيها الجو الاجتماعي العام، ومايقوم فيه من قوانين ومعايير وقيم مختلفة، تسيطر على نواحي الحياة الإنسانية فيه، وتتفرع على هذه البيئة: البيئة الاقتصادية، والبيئة الثقافية، والبيئة العاطفية، أي: الجو العاطفي الذي يحيط بالفرد.

وبقدر ما يستند سلوك الطفل وتفكيره على نظام معين، بقدر ما يكون أقدر على التكيف النفسي السليم، ففي ضوء هذه التعاليم والمبادىء والقيم يعيش الفرد في إطار من الجو النفسي والفكري، يستمد منه على الدوام أنماطا سلوكية سليمة، وبالتالي تكيفا نفسيا صحيحا.

إن الفرد المتمسك بنظام معين من التعاليم والمبادىء والقيم

* ماجستير في العلوم والآداب - القاهرة

انما يتمسك في نفس الوقت بـ(الإطار المرجعي)، الذي يحدد أساليب سلوكه، ويجد فيه الفرد سندا قويا يلجأ إليه على الدوام، إذا ضاقت به الأمور، وحالت دونه الظروف.

واحساس الفرد بوجود (الإطار المرجعي) الذي يلجأ إليه، ويستمد منه راحته، واطمئنان نفسه، يكون بالتالي أمرا باعثا على شعور الفرد بالأمن النفسي، والصفاء الروحي.

التطبيع الاجتماعي

إن الطفل لا يولد إنسانا اجتماعيا، وعلى المجتمع أن يأخذ في صقله، وترويضه، وتعليمه، حتى تظهر إنسانيته من ثنايا طبيعته الحيوانية، وتسمى هذه العملية التي يتم بها تكيف الطفل لبيئته عملية (التطبيع الاجتماعي)، إذ إنها عملية تعلم غير مقصود، وتعليم مقصود، يقوم به الآباء والمربون، وغيرهم ممن يمثلون ثقافة المجتمع.

وعملية التطبيع هذه تستهدف تعليم الأفراد الامتثال لمطالب المجتمع، والاندماج في ثقافته، واتباع تقاليده، والخضوع لالتزاماته، ومجاراة الآخرين على وجه العموم.

والتربية الاجتماعية والخلقية التي يقوم بها كل من البيت والمدرسة، هي جوهر العملية التي تبدأ من المهد، ثم تستمر طول الحياة، عن طريق التفاعل مع الجماعات المختلفة التي ينتمي إليها الفرد.

والأسرة لها أثر كبير في تكوين شخصية الطفل، وهي سلاح قوي يستخدمه المجتمع في عملية (التطبيع الاجتماعي)، ونقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل.

التعاليم الدينية والمبادىء الأخلاقية والقيم الروحية تبعد الفرد عن الوقوع في الزلل

وقد اجمعت خبرات الناس، ودلت تجارب العلماء على ما للتربية في الأسرة من أثر عميق وخطير، يتضاءل دونه أثر أي شيء آخر، في تحديد الشخصيات وتشكيلها، وذلك خلال مرحلة الطفولة المبكرة، لأسباب متعددة، منها: أن الطفل في هذه المرحلة لا يكون خاضعا لتأثير أي جماعة غير أسرته، ولأنه يكون فيها سهل التأثر، سهل التشكل، شديد القابلية للايحاء وللتعلم، قليل الخبرة، عاجزا، ضعيف الإرادة، قليل الحيلة، في حاجة دائمة إلى من يعوله، ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة.

وتعد السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن ما يغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات، يصعب أو يستعصي تغييره أو استئصاله فيما بعد، ومن هنا يبقى أثره ملازما للفرد في عهد الكبر.

أهم أعمال رجال التربية مساعدة الأطفال على أن يحددوا لأنفسهم نظاما من القيم والمبادىء الخلقية

مسؤولية الأم ودورها في البناء الأسري

تعد مسؤولية الأم في البناء الأسري كما في المجتمع ككل من أخطر المسؤوليات وأعظمها، فالأم هي التي تقوم بالقسط الأكبر في تربية الأبناء وتنشئتهم، والتأثير فيهم، خاصة في السنوات الأولى من حياتهم، والأسلوب الذي تستخدمه لاشك له أثر كبير في تكوين شخصياتهم.

وهذا الأسلوب يجب أن يستند إلى خلفية ثقافية ملائمة في أساليب التربية، بحيث تختلف هذه الأساليب في التعامل مع الأبناء، وفقا لحاجاتهم المتعددة، ومراحل نموهم، وسمات كل مرحلة، حتى يمكن من خلال هذه الخلفية تحقيق قدر كاف من التوافق النفسي للأبناء، فالأسرة الحسنة، والقدوة الصالحة في البيت هي خير وسيلة لتربية الأبناء تربية صحيحة.

وتعتبر حاجة الأبناء إلى عطف ومحبة وصداقة الأم على جانب كبير من الأهمية، ضمانا لسلامة نموهم النفسي والعضوي معا بطريقة سليمة، وكذلك فشعور الأبناء بالأمن والأمان والاستقرار، والمحبة والتفاهم، أمر ضروري في حياتهم، حتى يأتي نموهم طبيعيا، فالعلاقة بين الأم وأبنائها لها تأثير واضح على شخصية الأبناء، وعلى مفهومهم لمعنى الأم والأمومة، والعلاقات المتوترة بينهم لا تشبع حاجاتهم، فيفتقدون الحب والحنان، والتكيف النفسي السوي.

والمعنى الأساسي في تكيف الأبناء هو انعكاس لتكيف أكثر في العلاقات بين الأم والأبناء، لأن وظيفة الأسرة وظيفة نفسية من حيث طبيعتها، فحياة الأسرة تواجه المطالب الإنسانية الأساسية بصورة مباشرة أكثر مما يمكن أن يحدث في أى مجال آخر.

إن عمر الفرد يتكون من عدة مراحل، فإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة كل مرحلة من هذه المراحل، وعومل الأبناء على أساسها، فلسوف يتوصل الآباء والأمهات إلى فهم أبنائهم، ويضعون أيديهم على الخيط الرفيع الذي يربط بين السيطرة وانفلات الزمام.

وهذا هو ما أوضحته الشريعة الإسلامية الغراء، فلقد جعلت لكل مرحلة من المراحل التي يمر بها الأبناء أسلوبا خاصا في التربية، ففي المرحلة الأولى: يحتاج الابن إلى المداعبة، وعدم استخدام القسوة والعنف، بل يجب استعمال الحب والحنان في تصحيح أخطائه، ويبدأ أسلوب العقاب في المرحلة الثانية: حتى يستطيع الابن التمييز بين ما هو خطأ وما هو صواب.

أما في المرحلة الثالثة: وهي مرحلة المراهقة، فعلى الأم أن تهتم اهتماما جيدا بها، بحيث تجعل عيونها على أبنائها، لأنها المرحلة التي يتم فيها تشكل شخصيات أبنائها تشكيلا تماما وكاملا.

وهذه المرحلة يجب فيها استخدام العقل في التربية، حتى لا نفاجأ بتصرفات غير مبررة، ومحاولات للتمرد والتخلص من

التكيف السليم أساسه الأخلاق والدين

القيود، تلك القيود التي تعد بمثابة القواعد الأساسية للتربية، والتي من أبرز ما فيها (الطاعة)، والامتثال لأوامر الوالدين.

ولعل القاعدة التي نطلق عليها اسم (الطاعة) هي لب التربية وجوهرها، وهي – في نفس الوقت –الأمر الذي يساء فهمه وتقديره عند الآباء والأمهات، والأبناء، فالوالدان يعتقدان أن تغير سلوك أحد الأبناء خروج عن (الطاعة)، والابن يظن أن (الطاعة) ليست سوى مظهر من مظاهر الاستعباد والسيطرة، وكلاهما ممعن في الخطأ.

وحتى لا يصطدم الجيلان: جيل الوالدين، وجيل الأبناء، فلابد من وضع خطة تغيير تدريجية تساير عمر الأبناء، وبحيث لاتظهر وكأنها بمثابة تنازل من الوالدين لمشيئة الأبناء، أو الاستسلام لإرادتهم.

وفي نفس الوقت يشعر الأبناء بأنهم قد بدأوا يحتلون مكانة الكبار عند الوالدين، كأن يستشاروا في بعض الأمور العائلية، ويؤخذ برأيهم إن كان صوابا، أو مناقشتهم في حالة الاستعداد للأخذ برأيهم.

ومما يفيد في هذه المرحلة أن يتعود الآباء القيام بتكليف الأبناء ببعض الأمور التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأيهم المستقل، والذي بمقدورهم أن يعبروا عنه، فإذا حدث خطأ أمكن إبداء الملاحظة عليه بالطريقة التي يبديها الوالدان لأبنائهما، لأن الأبناء في هذه المرحلة في أشد الاحتياج إلى الصديق الوفي المخلص، وليس هناك أوفى ولا أخلص من الوالد لابنه، ولا من الأم لابنتها.

ولو استطاع الآباء أن يضعوا أنفسهم مكان أبنائهم لاستطاعوا أن يروا الأمور من خلال وجهات نظرهم، وأن يدركوا أحوالهم النفسية، وأن ينفذوا إلى مشاعرهم، ويعرفوا حاجاتهم، ويشعروا بآلامهم ومتاعبهم.

إن الأسرة هي التي تخرج للحياة أو للمجتمع أفراده، الذين يتعاونون على بناء كيانه العام، بتفاعل بعضهم مع بعض، في نطاق مالهم من مبادىء وقيم، وغايات وسلوك، وباحترام ما لمجالات الآخرين من خصوصيات.

من المفيد في العملية التربوية تكليف الأبناء ببعض الأمور التي تحرك فيهم الإحساس بالمسؤولية، والشعور بأنهم قد صار لهم رأيهم المستقل، وبمقدورهم التعبير عنه

الأسس النفسية للتربية الأخلاقية في الإسلام

لقد أبدى علماء المسلمين الذين كان لهم قصب السبق في نشر الحضارة العربية الإسلامية، وجادوا بفضلهم على الدول الغربية في شتى مناحي العلوم والفنون والآداب، أبدى هؤلاء العلماء تفهما كبيرا عند تناولهم للأسس النفسية للتربية الأخلاقية وكان لهم في ذلك طريقتان:

الطريقة الأولى: الاهتمام بالوسائل الدافعة، المتمثلة في القدوة الحسنة، والبيئة الصالحة، والتشجيع، والترغيب، والملاينة.

الطريقة الثانية: الاهتمام بالوسائل المانعة، كالعقاب أو التهديد، إذا اقتضت الضرورة ذلك، حيث أن الإفراط في العقاب أو في اللوم قد يفضي بالطفل إلى حالة من اليأس، أو عدم الاكتراث، وبذلك تصبح البواعث الموجودة معطلة، وليس لها أية قوة دافعة.

ومن هنا يتضح أن التربية الإسلامية لم تتخذ من الوعظ والإرشاد سبيلا إلى التربية الخلقية، بل اتخذت من الوسائل الموضوعية كالملاحظة، والتفاعل، والانصهار، والانتقاء، والمقارنة، مايساعد الفرد على التبصر، واختيار ماينسابه من قيم، لتصبح أساسا للسلوك في الحياة عنده، وبالتالي تحقق له لونا من التوافق والانسجام بينه وبين البيئة المادية.

وترتبط التعاليم الدينية، والقيم الروحية، والمثل الإنسانية الرفيعة، مع نمو الشعور الديني عند الأطفال بالأخلاق، والنمو الخلقي والسلوك الأخلاقي، والاحساس السليم بالقيم، ونمو الضمير، وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دورا هاما في هذا الصدد.

إن الطفل يحتاج إلى المساعدة في تعلم المعايير السلوكية نحو الأفراد والأشياء، ويحدد كل مجتمع هذه المعايير السلوكية للطفل، الأمر الذي يساعده في توافقه الاجتماعي.

والطفل يحتاج إلى المساعدة في تعلم حقوقه، ماله، وماعليه، ومايفعله، ومالا يفعله، ومايصح وهو بمفرده، ومايصح وهو في جماعة، ومايصح وهو في حدود الأسرة، ومايصح وهو خارج نطاقها، وما إلى غير ذلك، ويحتاج إشباع هذه الحاجة من جانب الكبار إلى كثير من الخبرة، والصبر، والثبات، والفهم.

ويعتبر الحكم الخلقي نتاجا لما تعلمه الطفل وهو في البيت والمدرسة من معايير اجتماعية خاصة بالصواب والخطأ، والحقوق والواجبات، ويتوقف ذلك على مدى تعلم الطفل السلوك المناسب للظروف المختلفة، وهنا تأتي أهمية سلوك الوالدين والمربين كنماذج يحتذيها الأطفال في سلوكهم.

التربية والعادات الخلقية

تعرف العادة في علم النفس بأنها: نوع من السلوك المكتسب، يصبح ثابتا، لا يتغير مع التكرار والخبرة، بدرجة تجعل من السهل التنبؤ بها إذا ماتهيأت الظروف التي تناسب العقل وتقتضيه، فيصبح الفرد بعد ذلك غير محتاج إلى بذل الجهد، أو توجيه الأشياء إلى العمل الذي يقوم به، وحينئذ يتم العمل بشكل آلي.

والعادات مختلفة ومتنوعة، وكذلك النواحي التي تتعلق بها مختلفة ومتنوعة، فمن العادات ما يمكن أن يطلق عليه اسم (العادات الاجتماعية)، ومنها ما يمكن أن يسمى بـ (العادات الخلقية).

والعادات لا تقتصر على النواحي الإيجابية المفيدة، التي تعمل على

تنظيم حياة الفرد، بل هناك – أيضا – العادات السيئة، ويتكون بجانب ذلك عادات سيئة ضارة.

ورسالة المشتغلين بالتربية هي العمل على التقليل بقدر الإمكان من آثار العادات السيئة، بتوجيه النشاط المضاد عند الفرد لاستئصال شأفة العادات غير المرغوب فيها، وذهابها إلى غير رجعة.

يقول إخوان الصفا: (واعلم أن العادات الجارية بالمداومة عليها تقوي الأخلاق المشكلة لها، كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها، والدرس لها، والمذاكرة فيها، يقوي الحذق بها، والرسوخ فيها، وهكذا حكم الأخلاق والسجايا).

وهم يريدون بقولهم هذا أن يؤصلوا العادات الطيبة في النفس، والتي تتحكم في سلوك الفرد، في حالة ما إذا صادف الفرد في المستقبل مواقف مشابهة، ومما تجدر الإشارة إليه أن العادات الطيبة لها أثرها الكبير، وقيمتها التربوية العظيمة في توجيه سلوك الفرد نحو الأفضل والأمثل.

ثم يضرب إخوان الصفا الأمثال لتأثير القدوة والبيئة في اكتساب العادات، فيقولون: (إن كثيرا من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح، وتربوا معهم، طبعوا بأخلاقهم، وصاروا أمثالهم).

وهكذا – أيضا – الكثير من الصبيان إذا نشأوا مع النساء وأشباههن، وتربوا معهم، تطبعوا بأخلاقهن – ان لم يكن في الكل ففي البعض –، وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الأخلاق والسجايا، التي ينطبع عليها الصبيان من الصغر، إما بأخلاق الآباء والأمهات، وإما بأخلاق الاخوة والأخوات، و الأقرباء والأصدقاء، والمعلمين المخلصين لهم في تصاريف أحوالهم، وعلى هذا حكم الآراء، والمذاهب، والديانات جميعا.

ثم يتابعون الحديث عن تأثير العادات الضارة، وأنها إذا تأصلت في النفس ورسخت رسوخا قويا، طبعت سلوك الفرد في كل مايقوم به من أعمال، ويتحدثون عن ارتباط آراء الناس، ومذاهبهم بأخلاقهم، وأن هذا الارتباط إذا امتدت جذوره فانه يصبح حينئذ (خلقا وسجية وعادة، يصعب اقلاعه عنها، وتركه لها).

ثم يتحدثون عن الجزاء فيقررون: (أن المجازاة عن المدح والذم، والثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، تقع على صاحبها بحسب جنس أخلاقه)، ويرون أن كل مرتكب للخطأ لابد وأن ينال عقابه، وذلك لأنه مسؤول عن فعله، وأن الجزاء اكتساب منه، وفعل له.

واخوان الصفا بآرائهم هذه يسبقون نظرية الجزاء، تلك النظرية التي دعا إليها (جان جاك روسو)، والتي تقضي بأن يكون لقانون الجزاء الطبيعي الدور الأكبر في حياة الطفل، فتكون العقوبة نتيجة للفعل الذي يرتكبه الطفل، وبذلك ينفك عنها العنصر الشخصي عند توقيعها، وهذه النظرية تعتمد على الثقة في عدالة الطبيعة عند (روسو).

أضرار العقاب

لقد شغل العقاب وما قد يحدثه من ضرر حيزا كبيرا من اهتمام العلماء والمربين المسلمين، فلم يسمحوا به كوسيلة من الوسائل المانعة لتجنب العادات السيئة إلا عند الضرورة، لأنهم رأوا في المبالغة نوعا من الانتقام والتشفي.

يقول ابن حجر: (لايجوز للمعلم ضرب الغير إلا إذا أذن له أبوه)، ثم يشترط في جوازه بالنسبة للمعلم أن يظنه زاجرا للتلميذ إذا اقتضت الضرورة، وألا يكون مبرحا، فإذا ظن المعلم أن التلميذ لا ينفعه إلا الضرب المبرح، وهو شديد الإيذاء، فلا يجوز اجماعا).

ويعلل لذلك بأن العقوبة انما جازت بالنسبة للطفل للظن بأنها تفيد في الإصلاح، فإذا كان الضرر سيأتي منها انتفت.

أثر المربي الصالح

إن التربية الإسلامية لم تهمل دور المربي الصالح وأثره في التربية بصفة عامة، والتربية الخلقية بصفة خاصة، ولقد ذكر الغزالي في رسالته (أيها الولد) الحاجة إلى المربي الذي يستطيع أن يزيل بتربيته الأخلاق السيئة من نفس تلميذه، ويجعل مكانها أخلاقا حميدة.

ووظيفة التربية تشبه إلى حد كبير مايقوم به الفلاح، حين يقلع الشوك، ويخرج النباتات الغريبة من بين المزروعات، وذلك ليحسن نباته، ويأتي بمحصول وفير.

ثم يتحدث الغزالي عن تأثير القدوة، وأنه ليس كل مرب صالحا للتأثير في تلاميذه، إذ إن المربي الفاضل هو من يستطيع أن يجعل من خلقه وسلوكه نموذجا للاهتداء به، لأنه كما يقول الغزالي: (من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما، وخطرا جسيما، فينبغي أن يأخذ نفسه بالشفقة مع المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه).

ويحذر الغزالي من المربي الذي قال عنه عمر بن الخطاب – رضى الله تعالى عنه – وفي مثله: (ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم)، قالوا: وكيف يكون منافقا عليما؟.. قال: (عليم اللسان، جاهل القلب والعمل).

وبعد

فإن ما ورد في كتب علماء التربية المسلمين لا يختلف في جوهره عما تنادي به التربية الحديثة، من حيث ضرورة فهم المربي لمطالب النمو في المراحل المختلفة، وأهمية العلاقات الإنسانية، التي تقوم على الفهم المتبادل والاحترام، واللذين يؤديان إلى تكوين الشخصية ذات القيم الخلقية، والشخصية ذات الفكرة الواضحة عن نفسها.

والشخصية التي تسلك سلوكها بناء على مفهوم إيجابي عن الذات، وليس وفق خيالات وأوهام، إن مثل هذه الشخصية هي التي تعرف – بلا شك – كيف تتكيف مع نفسها، ومع محيطها الخارجي، في يسر وأمان وطمأنينة.

وإذا كان للتربية أن تحقق هدفها الأساسي، وتصل بالفرد إلى الصحة النفسية السليمة، وتسهم في نمو الفرد، وتساعده على الوصول إلى مستوى مناسب من الإنسانية الكاملة، بما تستطيع عن طريق استخدام طاقاته وإمكاناته استخداما مثمرا، فإن عليها واجبا أساسيا في تنمية وتحقيق مايحدد إنسانية الفرد ووجوده من صفات.

إن التربية لها أساليبها المتعددة، التي تستطيع عن طريقها تنمية وتحقيق تلك الصفات التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فإذا ما تحققت تلك الصفات وصل الفرد إلى مستوى مناسب من الصحة النفسية السليمة ■

قـرأت في العـدد «٣٣٣» من مجلـة «الـوعي الإسـلامي» مقـالا بعنـوان «الالتـزام والحرية في الأدب الإسـلامي» بقلم الاستـاذ كمال سعد محمـد، ومع تقديـري لجهد الكاتب وثقافته، عجبت من هذا العنوان الذي ينسب الي الأدب الإسلامي امورا غريبة عنه، وطالعت مقدمة المقال عليّ استبين حيثيـات العنوان المذكور فإذا الكاتب يقدمها لنا منقولة عن أديب اوربي اشتراكي تشرح فكرة المقال بقوله: «إن هذه المصطلحات النقدية – أي الالتزام والحرية – وليدة الفلسفـة [الأوروبية] وظهرت نتيجة التأثر بـالأيـدولـوجيات الحديثـة في الأدب التي تعكس التغيرات الاجتماعيـة العميقة السريعة لزمننا» «١».

وأدع مـا يمكن ان يقـال عن هـذه الحيثيـات الأوروبيــة التي لاشأن لتأصيل الأدب الإسلامي بها، لأحاور الكـاتب فيما انبثق عنها من آراء تبناهـا للأدب الإسلامي، وفي ذلك تقويم ونظر.

الأدب الإسلامي بداية إسلامية أم بداية أوروبية؟

بقلم الدكتور: محمد عادل الهاشمي

التوفيق ين مصطلحي الالتزام والحرية

أحسب ان هـذا المقـال – فيما اعلم – هـو الأول الـذي ينهج حديثـا طـريق التـوفيق بين مصطلحي الالتـزام والحريـة، ويأخـذ جـانب الـوسط منهما للأدب الإسلامي، وهي محاولة دقيقـة لايأمن صـاحبهـا من الـزلق أو الخطأ، فلنتـابع مع الكاتب محاولة التوفيق هذه.

ان الكـاتب يقـول في المقـدمـة (وهنـاك في الوسط من يـرون الحرية انفلاتـا من القيم الفنية والجماليـة والقيم الفكـريـة. وفريق يـرى ان الالتزام ضرب من القسر والإلزام ولاينبغي ان يلتفت إليه المبدع).

حقا ان هذه القضيـة كما يقول الكـاتب قـد شغلت الأدبـاء والنقاد (الأوروبيين) في الشرق والغرب ومن سار على نهجهم، ففريق ينحـاز إلى اتجاه الحرية في الأدب (مـذهـب الفن للفن) وفريق آخـر ينحاز إلى الالتزام الاجتماعي (مــذهب الأدب للحياة).

انها قضيتهم شغلـوا بها لأنها وليـدة فلسفتهم الأوروبيــة النـابعــة من فكــرهـم وأيديـولوجيتهم وبيئتهم. اما نحن فمن يلزمنا بهذه الفلسفة الغربية واصول تفكيرها؟!

إن الأدبـاء في ديـار الغـرب – بحسب نشأتهم الثقـافيـة – يـرون في مصطلح (الالتـزام) معطـلا للإبـداع فيميلـون إلى إعطاء الأديب حريته، لأنه إذا لم يتمتع بحريته التامة – في رأيهم – لا يستطيع الإبداع.

ولعل الكاتب – وهـو يدرك هذا – حاول ان يضع خطـا وسطا بين الالتـزام والحريــة التي يصعب حـدهــا. ولكنـه في محاولتـه التوفيقيـة هـذه ظل يحوم حول فكرتين تنبعان من البيئـة الأوروبيـة وتمثـلان مصطلحين لاتجاهين أدبيين أوروبيين ولايخفى بعد هذا ما في اعتماد هــذين الاتجاهين الأوروبيين في تـأصيـل الأدب الإسلامي من متابعة وتقليد.

أصالة المنهجية الأدبية الإسلامية

ونتسـاءل بعد هـذا: في سبيل ماذا نضحي بأصـالتنا ونتابع الأدب الأوروبي في مصطلحاته

ونحن نتوصل لأدبنا الإسلامي؟ وهل تجدي هذه المصطلحات المضطربة المهتزة لتأصيله؟ نبدأ بمصطلح (الالتزام) ترى هل اتفق انصاره على مصطلحه؟ انهم لا يزالون مختلفين. فالكاتب يفرق بين نوعين من الالتزام، صارم ومرن يقول:

(وفرق كبير بين ان يأتي الالتزم من فوق لكي يضبط التجربة بقالبه الصارم ورؤيته الجادة، وبين ان يتدفق الالتزام من باطن التجربة).

كما يجد الكاتب ان التقيد بأيديولوجية معينة يسمى إلزاما وليس التزاما يقول: (والالتزام غير الإلزام. فالإلزام هو أن يلتزم الأديب بأيديولوجية معينة أو بواقع اجتماعي معين فهو على ذلك خال من الحرية ومؤثر بالسلب في روعة التعبير وصدقه الفني أو الفكري ثم يرى الكاتب ان (الالتزام في الادب الإسلامي فريد ووحيد في مجاله. يتبنى مساره بمحض إرادته).

وهنا يبدو التناقض واضحا في طروحات الكاتب: اذ كيف يتبنى الالتزام في الأدب الإسلامي – كما يرى الكاتب – مساره بمحض إرادته، وهو يتقيد – لابد – بفكرة معينة مع ملاحظة ان الكاتب يقول في الوقت نفسه بأن التزام الأديب بفكرة معينة هو إلزام يخلي الأديب من الحرية ويؤثر بالسلب في روعة التعبير.

انه بعد ان تبين لنا على المستوى الفني اضطراب مفهوم (الالتزام) وعدم انضباطه تبدو لنا ظلاله التغريبية الداكنة التي نخشى على الادب الإسلامي منها اذا استظل بظله، فمن يصطنع لنفسه من – الدارسين – مصطلح (الالتزم) انما يبدأ في فهم الأدب الإسلامي من خلال مبادىء الأدب الأوروبي صاحب المصطلح من حيث بدأ (أرنولد) صاحب فكرة الأدب للحياة وحتى آداب الوجودية والشيوعية المعاصرتين.

(ومن ابرزها التزام (سارتر) في مسرحه الوجودي، وتعد مسرحيته (الذباب) نموذجا لمسرحه الملتزم، وقد تابعه من أدبائنا المتغربين حنا مينة في روايته (المصابيح الزرق) ويوسف ادريس في مسرحيته (اللحظة الحرجة) وفي روايته (الحرام) تحت شعار الأدب الملتزم كما يبدو اتجاه الالتزام في (الواقعية الاشتراكية) لدى الأديب السوفياتي (مكسيم جوركي) في مسرحيته (الحضيض) وقد تابعه من ادبائنا المتغربين تحت شعار (الأدب الملتزم) سعد الدين وهبة في مسرحيته (كوبري الناموس).

ومن أدب الالتزام مانراه عند الكاتب السوفياتي (أنطون تشيكوف) وتمثل اتجاهه الملتزم مسرحيته (بستان الكرز) وقد تابعه من كتاب القصة والمسرح المتغربين عندنا يوسف إدريس في مسرحيته (ملك القطن) ونعمان عاشور في مسرحيته (الناس اللي فوق) ولطفي الخولي في مسرحيته (القضية) وكلها تحت شعار (الأدب الملتزم) وهذا مايجعل تاريخ مصطلح (الالتزم) تغريبيا قاتما) (٢).

ولا أدرى إلى اي مدى يفيد قول الكاتب بأن الالتزام الذي يعنيه: (لايتعلق بأذيال الطبقة في قلب الجماعة [ماركس] ولابأذيال الفرد الوجودي) مادام الالتزام يخرج من عباءتهما.

لقد جنى مصطلح (الالتزام) التغريبي على منهج الكاتب حتى لنرى التمحل والاعتساف في استدلاله بآية الشعراء حيث فصل فيها بين فئتين من الشعراء، ملتزمة وغير ملتزمة بينما تدل الآية على فئة من الشعراء مؤمنة ذادت عن النبي ﷺ، وفئة كافرة آذته وناصبته العداد وأسباب نزول الآية معروف.

واخيرا يعترف الكاتب على لسان من يستشهد له – بقوله: (وان ضيق الالتزام حدود الإبداع فإنه لايضيق به، فهو يحقق شموخا ان فاته الشمول). وهذا القول هو ثمرة البداية الأوروبية في التعريف بالأدب الإسلامي، اذ يفرض الكاتب على الأدب الإسلامي – بإلصاق الالتزام به – ان يفوته الشمول بالالتزام، وان كان يحقق الشموخ.

الأديب المسلم والحس الإسلامي

ولعل من يطالع القول السابق لايشك في ان هذا الرأي يلحق خسارة بالأدب الإسلامي، حيث تناله جناية مصطلح (الالتزام) التغريبي المعوق دون حاجة اليه، وان الأدب الإسلامي، حين لايفرض عليه هذا المصطلح المجلوب، يحقق – بطبيعته – الشمول والشموخ معا، اضافة إلى الخصائص الكبرى الاخرى التي يتميز بها. والأدب الإسلامي لايرقب تطور(الالتزام) لكي يصل عن طريقه إلى التصور الإسلامي، حسب رأي من يستشهد له الكاتب الذي يقول: (فالالتزام بهذا المفهوم يفتح آفاقا في وعي الأديب. فيتوغل قدما في تجربته الفكرية خطوة خطوة، وموقفا موقفا، وتجربة تجربة حتى تقترب من التصور الإسلامي المجرد).

ان القول الاخير يبدو شديد الغرابة، بعيدا عن مفهوم الادب الإسلامي، كما يبدو بعيدا عن العمل الأدبي نفسه، ذلك لأن التصور الإسلامي للوجود لايأتي ثمرة لتطور الالتزام، وإنما يتخلق سابقا على التجربة في اعماق ادبائنا الإسلاميين حسا إسلاميا، وآفاقا إسلامية واسعة سعة الكون والحياة، منذ حسان بن ثابت وكعب بن مالك، وعلى لسان علمائنا ومفكرينا وأدبائنا عبر تراثنا الطويل.

ان التصور الإسلامي يغني التجربة الفكرية وهو الذي يكون مواد التجربة الأدبية، لذا لايرتقب وساطة الالتزام ليتكون أو يتطور في نفوس الأدباء، ولأنه – بوصفه الخلفية الأدبية للأدب الإسلامي – يكون فاعلا في التجربة ومؤطراً لها وليس نتيجة لها.

ونعرض بعد (الالتزام) إلى

التوفيق بين مصطلحي الالتزام والحرية محاولة دقيقة لايأمن صاحبها من الزلق أو الخطأ

الأدب الإسلامي بداية إسلامية أم بداية أوروبية

مصطلح (الحرية) ان الكاتب يريد ان يجعل الأدب الإسلامي وسطا بين الحرية والالتزام، في عملية توفيق يريد بها طمأنة المتخوفين من الادباء على الابداع من صرامة الالتزام، لذا يعرف الكاتب بالحرية كما هي عند النقاد الأوروبيين تتخللها بعض الضوابط، والتعريف بعيد عن التصور الإسلامي كما هو متوقع، ثم يمضي ليشيد بالحرية شبه المطلقة، على الطريقة الأوروبية، بوصفها نبع الفن، ويدعم رأيه لذلك بتعريف لأحد المتابعين للمدرسة الأوروبية في الأدب الذي يقول: (فالفنان الحر هذا الذي تربطه علائق قوية بمثله. لاتلزمه قوة في الوجود فاذا شعر الفنان لحظة واحدة انه يؤدي بفنه ضريبة، عليه ان يؤديها وجوبا، فإن الذي سيبدعه ليس فنا).

وحتى الان لاندري اين سيقف الكاتب بين الالتزام والحرية، وماذا سيهدي الأدب الإسلامي من ذلك ؟ وما المدرجات التي ستفصل بين المصطلحين؟ ومالحدود؟

وإنما الذي نعلمه انه يطاحن عبثا للتوفيق بين مصطلحين اوروبيين متضادين ليقدم ذلك إلى ادبنا الإسلامي الذي ترفض طبيعته الأصيلة المصطلحين معا اصلا وتعديلا وتوفيقا، اذن مالذي يدفع الكاتب إلى ذلك؟

ظاهرة اللجوء إلى المباديء الأوربية

الواقع ان ظاهرة تفسير آفاق الادب الإسلامي ببعض المباديء الاوربية لجأ اليها البعض محاولين الوصل والدفاع قبل ان يستقر في الساحة الأدبية استقلال الآدب الإسلامي وذاتيته، إلى جانب انهم لم يتعمقوا خصائص الأدب الإسلامي فرأوها علي ضوء الآداب الاخرى. وقد اتضح ذلك عند من غلبت عليه الثقافة الأوروبية وتكوين آدابها، وترسخت في فهمه مباديء النقد الأدبي الأوروبي ومذاهبه، فصعب عليه التجرد منهما.

في سبيل ماذا نضحي بأصالتنا ونتابع الأدب الأوروبي في مصطلحاته ونحن نؤصل لأدبنا الإسلامي؟

ولكني اعجب كثيرا، وبعد ان اتضح خط الاصالة في الأدب الإسلامي وظهر فيه كتب نقدية مختصة، لماذا يعسر علي البعض ان يفهم الأدب الإسلامي مجردا من الخلفيات الأوروبية، فلقد تحرر الفكر الإسلامي المعاصر من هذه الخلفيات التغريبية، لقد تحرر الفكر الإسلامي المعاصر من مفاهيم أوروبية كثيرة منها: الإمبراطورية الاشتراكية الديمقراطية.إلخ فجدير بالدارسين ان يتحروا منها في دراساتهم للأدب الإسلامي.

ان عملية الاستعارة والتوفيق في دراسات البعض للأدب الإسلامي ان كانت مقبولة مرحليا فيما سبق من عقود، فهى ليست مقبولة الان بعد ان ازدهرت الدراسات الجامعية النقدية في الأدب الإسلامي وأبرزت أصالته واستقلاليته وبدايته الإسلامية الخالصة، وليس هناك – في رأيي – من يفضل البداية الأوروبية على البداية الإسلامية، كما ليس هناك من يميل إلى تمييع مصطلح الأدب الإسلامي بربطه بالالتزام أو بالحرية، دون حاجة سوى القصور أو عدم الاطلاع مع العلم ان المفهوم الأدبي الإسلامي، في دقائقه وقضاياه يختلف عن المفهوم الأدبي الأوروبي، بفعل الافتراق في العقيدة والتصور لقضايا الحياة ومناشطها.

(إن الأدب الإسلامي كما تدل تسميته يعني الاستقلال الذاتي وإسلامية الأدب ويجانب هذا – بالطبع – ان يبدأ من يؤصل له بآداب الأمم الأخرى. ان الادب الإسلامي – ككل ادب – له قواعده وأصوله التي يصدر عنها، ثم يفيد من المعطيات العالمية بعد ان يصهرها بشخصيته وذاتيته، وان في إسقاط البعض مباديء الأدب الأوروبي – التي تأدبوا في ظلها – على مفاهيم الأدب الإسلامي لأخطارا على أصالة الأدب الإسلامي. سيلصق بمفهوم الأدب الإسلامي بعض المباديء المتغربة، ويجعل فهم الجيل للأدب الأسلامي من خلال المذاهب الأدبية الأوروبية).

الأدب الإسلامي سلس وأصيل ومستقل

ويدركنا مرة أخرى التساؤل الآتي: لم لم يستطع الكاتب ان يتحدث في مقاله عن الأدب الإسلامي إلا عن طريق المصطلح الاجنبي (الالتزام) مع انه يمكنه ان يلج دائرة الأدب الإسلامي من باب التعبير عن التصور الإسلامي صنيع حسان بن ثابت وكعب بن مالك في بداية إسلامية طليقة؟!

ولم يقسر نفسه على اصطناع هذا المصطلح التغريبي الذي يحس فيه ظل الجور والقسر فيضطر إلى طمأنة دعاة الحرية في الأدب بأن الالتزام الذي يريده ليس شديدا فهو:

(مرن، موار، عفوي، متدفق) فلاهو يرضى بقوله دعاة الحرية الذين يرون في الالتزام قيدا ولايرضى دعاة الالتزام الذين يرون فيه شرطا ملزما للأدب. والكاتب عن ذلك كله في غنى اذا تحرر من البداية الأوروبية، وانصرف عن تحكيم مباديء الأدب الأوروبي وفلسفته في الأدب الإسلامي. وقد افصح عن هذا التحكم في مقدمة مقاله.

ولن يستطيع الكاتب الخلاص من هذه الازمة، وبلوغ الرؤية الصافية للأدب الإسلامي إلا حين يتناسى تماما تلك البداية الأوروبية ويقبل على الأدب الإسلامي في منهجه المستقل النابع من ذاته، عندئذ يجد الأدب الإسلامي سلسا سلسالا، معبرا عن اصالته واستقلاليته، سيجده في شخصيته الحضارية دون تبعية أو التزام بمنهج اوربي.

ولعل الكاتب قد وصل إلى

بعض هذا، إذ ألغى في عبارة له منهج (الالتزام) دون أن يدري وذلك حين هدى إلى ان الأديب المسلم يتبنى الأدب الإسلامي بمقتضى عقيدته وايمانه و«الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان» (٥) فما دام الأدب الإسلامي ينبثق من العقيدة الإسلامية والإيمان الكامل بالله، وهو التعبير الجميل الموحي عن وقع الإيمان والعقيدة في نفس الإنسان المسلم وسلوكه في الحياة فقد انتفى الوسيط، وانتفى المصطلح الأجنبي الدخيل: الالتزام. ولقد كتبت في الأدب الإسلامي زهاء ألفي صفحة لم استخدم فيها كلمة التزام، وما احتجت إليها في منهجي كما ان لفظة التزام لم ترد في تراثنا الأدبي والفكري بمصطلحها الأوروبي المعاصر، انما وردت بمعنى التقييد واللزوم (٦) والإلزام (٧).

ولعل من حقنا ان نقول بعد هذا: ان لنا منهجنا الذي نفهم به أدبنا الإسلامي ونقيمه وننظر له، ولنا تصورنا الإسلامي لقضايا الحياة والوجود، وهو بمثابة قاعدة الأدب الإسلامي الفكرية. يتراءى ذلك كله ساطعا كالشمس ينير قلوب الأدباء الإسلاميين ويثري مواهبهم، ويطبع في ذواتهم الحس الإسلامي في التذوق والنظر، فيصدرون عن تجاربهم عبر هذا كله صدور النور عن الشمس دون اعتساف في الربط بأدب آخر أو أصول أدب آخر.

ولو قدر لنا ان نسأل حسان بن ثابت وكعب بن مالك رائدي الأدب الإسلامي قبل ان يوجد تقنين للنقد الأدبي: كيف قدما للمجتمع الإسلامي في صدر الإسلام شعرهما الإسلامي؟

ونستوحي الإجابة من طبيعة الشعر في عصر صدر الإسلام ومفهومه فلعلهما يجيبان بأنه لم يخطر لهما على بال ان يصطنعا طريقة الربط بين التعبير الفني الجمالي والقيم الإسلامية. لقد كانا يعيشان الإسلام في اعماق النفس والمشاعر. ويسهمان في بناء الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي الاول، فعبرا عن تجاربهما من خلال ذلك كله فكان شعرهما المعبر عن التصور الإسلامي للوجود والحياة أدبا إسلاميا دون تكلف أو استدعاء لمصطلح دخيل.

ان العملية الفنية هنا جلية

■ الأدب الإسلامي لا يرقب تطور (الالتزام) لكي يصل عن طريقه إلى التصور الإسلامي

تمتلئ نفس الأديب أو الشاعر بالمعطيات المتنوعة، وتكظها الانفعالات وسوانح الفكر والخيال، ثم يأتي دور التجربة التي تفرغ الشحنة الانفعالية الفائضة في نفس الأديب إلى نتاج شعري أو نثري، فالأديب لايستريح إلا حينما يستنفد هذه المشاعر المضطرمة بين جوانحه، وذلك بالتعبير عنها في صورة ملهمة موحية (٨) فأين فكرة الالتزام هنا؟

ولعل رائدي الأدب الإسلامي قد صدرا عن تجاربهما الإيمانية هكذا كالنبع المنبجس الرقراق، لان الإسلام اضحى منهما - وقد تلقياه من مصدره الأول - كالفطرة والطبع.

والتعبير عن الفطرة المؤمنة والطبع الصافي لايفتقر إلى وسيط، ولعل فيما يأتي يجلو الصورة ويزيد في الإيضاح.

إن الأديب المسلم الذي (زود بالقدرة على جمال التعبير. يعيش المفاهيم الإسلامية بالفعل، وينفعل بالأشياء والاشخاص والاحداث من خلال هذه المفاهيم. ثم يقص علينا تجربته الخاصة التي عاناها في صورة جميلة موحية. دون جهد مبذول منه ولا افتعال، بل دون قصد واع منه إلى هذا الانفعال) (٩).

وهو عند ذاك لايفتقر في تجربته أو نتاجه الفني إلى رابط أو وسيط شأن الطريق الأوروبي الذي يقسم النفس الإنسانية ويجزيء النشاط البشري.

ليس لدينا في التصور الإسلامي انفصام في النفس الانسانية، شأن التصورات الأوروبية ومن تابعها من العلمانيين في ديارنا حتى نستدعي لأدبنا الوسيط والرابط ومن خارج كياننا الروحي والثقافي. ولسنا في أدبنا بحاجة إلى هذا الرابط التغريبي المسمى بالالتزام، والذي يخشى الكاتب عبئه ويخاف شططه فيعادله بالحرية، ويشفق من انفلات الحرية في الأدب على الطريقة الأوروبية فيعادلها بمصطلح أوروبي آخر هو الالتزام. وهو بين هذا وذاك يحوم حول الخلفيات الأوروبية في مصطلحاته ومفاهيمه، وهذا مايتناقى مع منهج الأصالة وهو شرط فيمن يتحدث عن الأدب الإسلامي أو يؤصل له.

وغني عن القول ان ننوه في الختام بأننا حين ننفي التبعية عن الأدب الإسلامي، لايعني ذلك عدم إفادة الأدب الإسلامي من الآداب الاخرى بعد استكمال اصوله ورسوخ منهجه ولكنها إفادة الأدب الأصيل ذي المنهج المستقل والأصول المتميزة والمصطلح المتفرد.

انه يفيد من المعطيات العالمية عندئذ بما يوسع رقعة رؤيته، ولكن بعد ان يذيبها في بوتقة منهجه وتصوره وفنه، ويظل بذلك ذا شخصية حضارية متميزة□

هوامش:

(١) الأدب الملتزم، ص٤، ماكث اديرس.

(٢) في الأدب الإسلامي لصاحب المقال.

(٣) قضايا وحوار لصاحب المقال.

(٤) قضايا وحوار لصاحب المقال.

(٥) رواه ابن ماجه.

(٦) من ذلك ما أطلقه أبو العلاء على ديوانه (لزوم ما لايلزم).

(٧) في قوله تعالى ﴿ انلزمكموها وانتم لها كارهون ﴾.

(٨) النقد الأدبي واصوله لسيد قطب.

نافذة على العالم

خمسون مليون عملية إجهاض سنويا

يعتبر الإجهاض الذي أثار جدلا واسعا في مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية الذي انعقد مؤخراً في القاهرة ممارسة شائعة في العالم.

وتجري سنويا في انحاء العالم (٥٠) مليون عملية إجهاض، على الرغم من الحظر التام للإجهاض في (١٦) دولة، وعدم السماح بإجرائه في الدول الأخرى إلا في الحالات الاستثنائية التي تكون فيها حياة الأم مهددة.. وبصورة إجمالية تسمح (١٧٣) دولة من أصل (١٩٠) دولة (نسبة «٩٢» في المائة) بوقف الحمل عندما يشكل خطرا على الأم، وتسمح به (١١٩) دولة (٩٣ في المائة) أيضا لأسباب تتعلق بالصحة الجسدية و(٩٥) دولة (٥٠ في المائة) لأسباب تتعلق بالصحة العقلية. ولا توافق سوى (٨١) دولة على أخذ الاغتصاب بعين الاعتبار لأسباب تتعلق بالبؤس الاجتماعي.

أعضاء بالكونغرس الأميركي ضد إباحة الإجهاض

طالبت رسالة أمريكية موقعة من ثمانية أعضاء بالكونغرس، الحكومات التي شاركت في مؤتمر السكان رفض أي اقتراح أو نص في وثيقة المؤتمر النهائية قد يدعو لإضعاف أو إزالة القوانين المانعة للاجهاض، وقالت الرسالة: ليس هناك أدنى شك، أنه عندما تتبع دولة ما سياسة محبذة للاجهاض، يزداد العدد الحقيقي للإجهاضات بسرعة، حتى إن دراسة مؤسسة علمية تسمى «آلان خوتماخ» – نشرت الشهر الماضي – توصلت إلى أنه عند إجازة الإجهاض ترتفع نسبته بسرعة لسنين عديدة قبل أن تستقر، كما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقالت الرسالة التي وجهت لرؤساء الحكومات – وفوجيء بها الوفد الأمريكي – كان للإجهاض غير المشروط تأثير مدمر علينا وعلى بلدنا، فأمريكا تشهد سنويا ١٥ مليون حالة قتل لأجنة تحت دعوى الإجهاض وحماية الأم.

وذكرت الرسالة أن الملايين من الأمريكيين لن يثنوا عن الكفاح لاسترجاع أكثر حقوق الإنسان أهمية وهو الحق في الحياة، لأن استطلاعات الرأي تشير إلى أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعارضون حاليا الإجهاض كطريقة لضبط النسل، وفيما يتزايد التأييد لصالح الحياة هنا في أمريكا، ستكون مأساة كبيرة إذا رضخت البلدان التي سادتها الآداب والقيم الحامية للأطفال طوال هذه السنين، وأجبرت على تنفيذ سياسة عكس سياساتها المؤيدة للحياة. وأشارت الرسالة إلى أنه في مؤتمر الأمم المتحدة للسكان الذي عقد بالمكسيك في عام ١٩٨٤، أظهر المجتمع الدولي الكثير من الاهتمام عندما وافق المندوبون على النص الذي قال «يجب عدم الحث إطلاقا على استعمال الإجهاض كطريقة لتنظيم الأسرة».

منع الحجاب في المدارس الفرنسية

قال وزير التعليم الفرنسي فرانسوا بيرو: إن الحجاب سيحظر من الآن فصاعدا في النظام المدرسي الفرنسي العلماني وأضاف: «تعليماتي إلى نظار المدارس ستكون واضحة للغاية. سنستمر في قبول سمات دينية منفردة كما كان الحال دائما. إلا أننا لا نستطيع قبول علامات ظاهرية تقسم شبابنا».

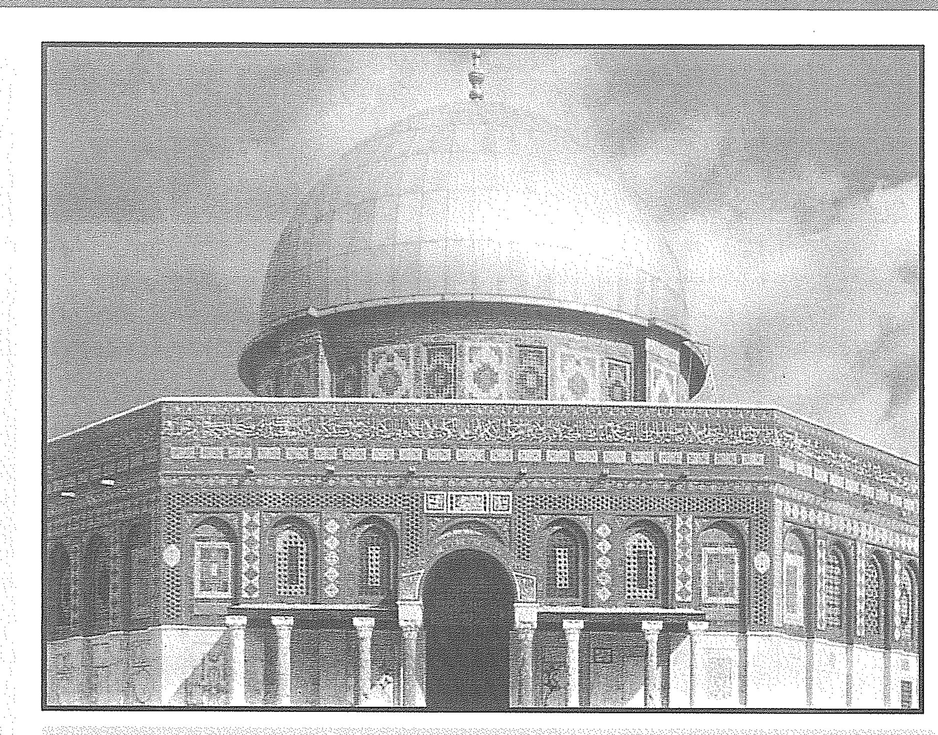
وسئل عما إذا كانت تعليماته تشمل الحجاب الذي ترتديه بعض فتيات المدارس المسلمات والذي أثار نزاعات بين المدرسين وأسر إسلامية. قال بيرو: «نعم». وأعلن «يجب أن نحترم ثقافة المسلمين وعقيدتهم إلا أن تاريخ شعبنا وإرادته كانت بناء مجتمع علماني موحد وهو ما تعنى به المدارس على وجه التحديد. فلا يجب تجاهل الإرادة الوطنية».

وقال بيرو إن هناك حوالي خمسة ملايين مسلم بين سكان فرنسا البالغ عددهم ٥٦ مليون نسمة. ومعظم المسلمين الفرنسيين قدموا من شمال أفريقيا منذ الخمسينات. وقالت مجلة لوبوان: إن حوالى ٧٠٠ فتاة مسلمة ترتدي الحجاب في المدارس الفرنسية حاليا مقارنة بعشرين فتاة عام ١٩٨٩.

استنكار إسلامي لتقسيم (الإبراهيمي)

استنكرت (رابطة العالم الإسلامي) بمكة المكرمة بشدة الإجراء الإسرائيلي بتقسيم الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل الفلسطينية المحتلة إلى قسمين وتخصيص أحدهما للمستوطنين اليهود.

وحذرت الرابطة من العواقب الوخيمة التي سيجرها مثل هذا الإجراء الآثم بما قد يؤدي إلى سفك المزيد من دماء المسلمين على أيدي المستوطنين.



مشاريع لتهويد القدس!!

تقريران متطابقان صدرا الشهر الماضي أحدهما: عن جامعة الدول العربية والآخر: عن دائرة الشؤون الفلسطينية، وقد أجمع التقريران على أن هناك محاولات مستمرة لتهويد مدينة القدس قبل الوصول إلى بحث هذه القضية خلال العام القادم وتتمثل هذه المحاولات في تنفيذ العديد من المخططات الاستيطانية والاستيلاء على المزيد من المنازل والأراضي العربية في الجزء الشرقي من المدينة.

كما تشهد القدس حاليا ظاهرة جديدة تتمثل في بناء المعابد اليهودية الضخمة، فكل طائفة يهودية في القدس تجمع الأموال الكثيرة بهدف بناء الهيكل الضخم الخاص بها، وقد استهل هذا النشاط بالمركز العالمي «بلعاز» على مساحة ١٤ ألف متر مربع شمال القدس ليكون أكبر كنيس في العالم.

المعمَّرون اليابانيون

ذكرت وزارة الصحة اليابانية أمس أن عدد اليابانيين البالغين ١٠٠ عام أو أكثر هذا العام بلغ ٥٥٩٣ شخصا وذلك بزيادة ٧٩١ شخصا على العام الماضي. وقال مسؤولو الوزارة أن عدد المعمرين اليابانيين كان ١٥٣ شخصا فقط عام ١٩٦٣ وبذلك زاد العدد ٣٧ ضعفا خلال ٣١ عاما مما يشير إلى أن المجتمع الياباني يسير نحو الشيخوخة بسرعة.

وذكر أن الأرقام أعلنت قبيل الاحتفال بيوم احترام الكهول السنوي الذي صادف ١٥ سبتمبر الماضي. وأشار المسؤولون إلى أن أكبر المعمرات اليابانيات تبلغ ١١٥ عاما وأكبر الرجال المعمرين ١٠٩ سنوات.وتشكل النساء نسبة ٨٠,٥ بالمائة من مجموع المعمرين أي ٤٥٠٠ امرأة فيما يبلغ عدد الرجال المعمرين ٢٤٩٤ رجلا أي ١٩,٥ بالمائة من المجموع.

بطالة جديدة في الجزائر

يمكن أن تقوم السلطات الجزائرية، خلال الأشهر المقبلة، بتسريح حوالي ٢٥٨ ألف شخص يعملون في شركات القطاع العام والدوائر الحكومية، وذلك في إطار خطة واسعة النطاق لتحسين الأوضاع المالية للشركات التي تنوي تخصيصها، حسب ما أعلنه وزير الصناعة مراد بن اشنهو. والذي أضاف أن حوالي ٧٠ ألفاً من هؤلاء سيحالون إلى «التقاعد المسبق» بينما سيتم تسريح الآخرين وتحويلهم إلى سوق البطالة. وأشار ابن اشنهو إلى أن ثلث العاملين في شركات القطاع العام، ليس لهم مناصب عمل فعليّة في شركاتهم.

بروتوكول إسلامي للتعاون

تم التوقيع على بروتوكول للتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي يوجد مقرها بجدة.

وقد نص بروتوكول التعاون على أن يتعاون الطرفان في إعداد وطبع الدراسات والمقررات والمناهج الخاصة بمحو الأمية والتربية الإسلامية واللغة العربية، وفي توفير المنح للطلاب لتلقي الدراسات الثانوية والجامعية وما بعد الجامعية، وفي تنظيم الندوات ذات الاهتمام المشترك تتناول موضوعات تتعلق بالصناعات التقليدية والزكاة والتكافل الاجتماعي وأثر الأوقاف في العمل الخيري.

كما يشمل التعاون بين الطرفين، إنتاج الأفلام والكتب وغيرها من المواد الإعلامية التي تتفق والأهداف الإنسانية والتربوية للمنظمتين.

وقد وقع عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المدير العام الدكتور: عبدالعزيز ابن عثمان التويجري، وعن هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية الدكتور: فريد ياسين قرشي المشرف العام للهيئة.

من جهة أخرى قرر البنك الإسلامي للتنمية المساهمة في دعم مشروع إنشاء المركز الإقليمي للإنتاج والتكوين في المجال السمعي والبصري الذي أعدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

كفالة كويتية لـ ١٢٠٠ يتيم كمبودي

صرح رئيس لجنة جنوب شرق آسيا بجمعية إحياء التراث الإسلامي عن عزم اللجنة كفالة «١٢٠٠ يتيم» كمبودي على مدى الثلاث سنوات القادمة مع تربيتهم وإعدادهم للدراسة العلمية والشرعية.

ويعلل رئيس لجنة جنوب شرق آسيا جمال الحداد كفالة هذا العدد إلى انتشار الأيتام في كمبوديا بشكل ملحوظ جدا وأصبح أبناء المسلمين يعيشون على قارعة الطريق بانتظار مستقبل مجهول يتربص بهم، يلتقطون قشاش الأرض إذا لم يجدوا ما يسد جوعهم، حيث يصل عدد الأيتام في كمبوديا إلى «٣ آلاف يتيم» لا يجدون من يكفلهم، في حين وصل عدد الأيتام الذين تكفلهم لجنة جنوب شرق آسيا إلى «٣٥٢ يتيما» فقط وذلك لعدم وجود هيئات أو جميعات لها نشاط في كمبوديا سوى لجنة جنوب شرق آسيا حيث يكمن نشاطها في إنشاء المشاريع الخيرية وكفالة الأيتام والدعاة.

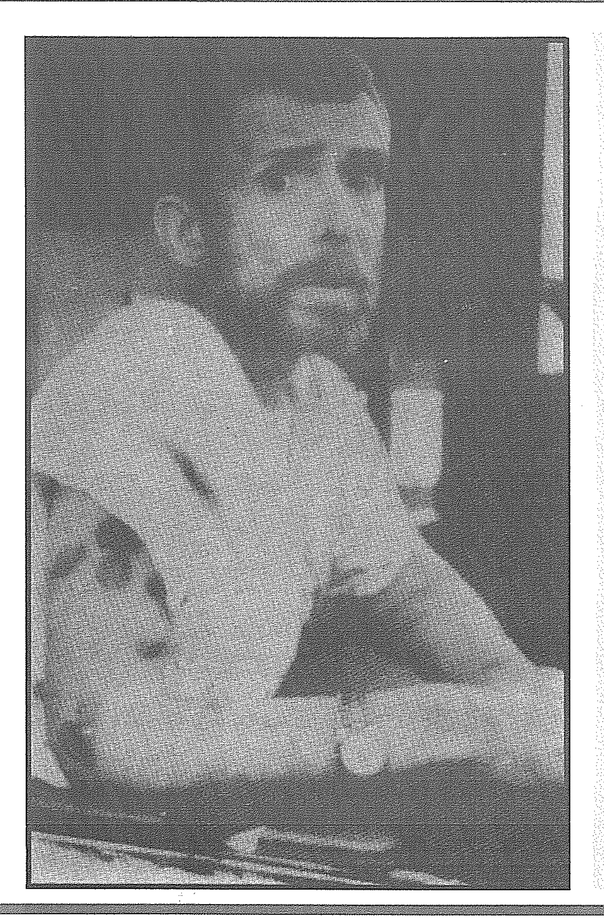
وأكد الحداد ان اللجنة ترغب في تطبيق خطة لكفالة «٥٠٠ يتيم» بداية من عام «١٩٩٥م» لكل عام، وأما بالنسبة للدعاة فقد وصل عددهم إلى مايزيد على «١١٢ داعية» ونحرص على وزيادة عددهم إلى «٢٠٠ داعية ومدرس» خلال الثلاث سنوات المقبلة.

وأوضح الحداد ان اللجنة بصدد إنشاء أفرع لمتابعة الأيتام والدعاة والمدرسين والمشاريع الخيرية إلى جانب متابعة الدورات التدريبية والتعليمية في أربع محافظات هي كمفونغ سام وكموفنغ جهنانج وكمبوط وبدم بونغ.

خسائر نفطية نيجيرية

قال وزير النفط دون اتيبيت أن نيجيريا ضاع عليها ١٥٠ مليون دولاراً بسبب انخفاض صادرات النفط اثر اضراب عمال النفط الذي انتهى مؤخرا، ونقلت وكالة الأنباء النيجيرية عن اتيبيت قوله: «انخفضت صادراتنا ما بين ٤٠٠ ألف و٥٠٠ ألف برميل يوميا أثناء فترة الإضراب». وأضاف يقول: إن فرع شركة شل في نيجيريا كان الأكثر تضررا حيث سجل انخفاضا بلغ في المتوسط ٤٠٠ برميل يوميا.

وقد علق الإضراب – الذي دام شهرين – مطالبه بإطلاق سراح الزعيم المعارض «مسعود أبيولا» بعد أن عزلت الحكومة زعماء نقابات عمال النفط وأمرت أعضاءها بالعودة إلى العمل.



ضحايا الأيدز في فرنسا

قالت وزارة الصحة الفرنسية إن نحو ١٢٢٧ شخصا توفوا بسبب مرض الايدز في فرنسا خلال النصف الأول من هذا العام وهو ما يعادل أقل من نصف عدد وفيات الايدز في العام الماضي ككل والذي بلغ ٣٤٢٤ حالة.

وقالت الوزارة إن هذا يعني ارتفاع إجمالي الوفيات التي تسبب فيها الايدز حتى الآن إلى ١٨١٩٧ شخصا. وكانت فرنسا التي يوجد بها أكبر عدد من الاصابات بالايدز في أوروبا قد بدأت حملة مكثفة لمحاربة انتشار المرض القاتل.

قتلى الحرب الأهلية اللبنانية

بلغ عدد قتلى الحرب الأهلية اللبنانية طيلة ١٧ عاما (١٩٧٥ – ١٩٩١) عددا تراوح مابين ١٥٠ ألفا و٢٠٠ ألف فيما بلغ عدد الجرحى نحو ثلاثمائة ألف لبناني.

وقدرت وزارة الشؤون الاجتماعية في تقرير أصدرته أمس عدد المهاجرين من لبنان إلى الخارج بنحو تسعمائة ألف مواطن لبناني.

توصيات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

شهدت مدينة إسلام آباد في باكستان خلال الفترة ما بين ٧ - ٩ سبتمبر الماضي اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية وقد ناقش المؤتمر مختلف القضايا الإسلامية واتخذ بشأنها القرارات والتوصيات التالية:

* الشرق الأوسط - أعربت المنظمة عن دعمها لاتفاقات السلام التي تم التوصل إليها مؤخرا في إطار عملية السلام وعن دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية مع تكرار تأكيدها بأن «السلام العادل والشامل» لا يمكن أن يتحقق إلا «بانسحاب إسرائيل الكامل وغير المشروط» من جميع الأراضي المحتلة بما فيها القدس. واستنكر الخطط الإسرائيلية الهادفة إلى «الاستيلاء» على القسم الأكبر من الحرم الإبراهيمي في الخليل «وتهويده».

* ليبيا - وفيما يتعلق بالنزاع القائم بين ليبيا من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا من جهة أخرى أعلنت المنظمة دعمها لقرار اتخذته الجامعة العربية في آذار - مارس ١٩٩٤ يطالب بأن يحاكم المتهمان الليبيان في اعتداء لوكيربي «١٩٨٨» أمام قضاة اسكوتلنديين ووفقا للقوانين الاسكتلندية في محكمة العدل الدولية في لاهاي.

* البوسنة - أوصت المنظمة برفع الحظر عن شحن الأسلحة إلى مسلمي البوسنة واعتبرت أنه في حال عدم حصول ذلك فإن بإمكان أعضائها الـ ٥١ تزويدهم منفردين أو مجتمعين «بالوسائل الضرورية للدفاع عن النفس». وطالبت بقطع جميع العلاقات الاقتصادية بين أعضائها وصربيا ومونتينيغرو.ورأت أن احتمال تخفيف العقوبات الدولية المفروضة على صربيا الذي يقترحه بعض أعضاء لجنة الاتصال «الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وروسيا» هو عمل «غير مقبول».

* كشمير - أدانت منظمة المؤتمر الإسلامي «الانتهاكات الكثيرة لحقوق الإنسان» في كشمير، وكررت التأكيد على حق شعب كشمير في تقرير مصيره. وقررت - وفي إطار الأمم المتحدة - إنشاء «مجموعة اتصال» تكون مهمتها «تنسيق» جهود الدول الأعضاء حول كشمير.

* أفغانستان - أشارت المنظمة إلى «الحاجة الملحة لقيام توافق سياسي بين الأطراف الأفغانية» ودعت إلى «احترام سيادة ووحدة أراضي» أفغانستان.

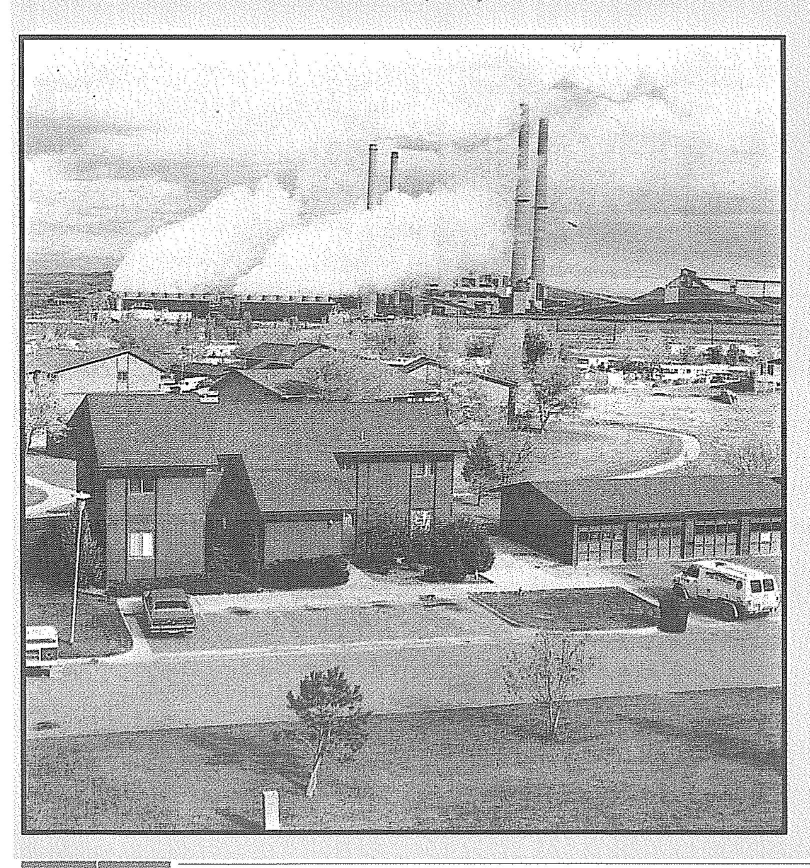
* أذربيجان - أدانت المنظمة «العدوان الأرمني» على أذربيجان مشيرة إلى ما يمثله من تهديد للسلام.

الدول الصناعية والإضرار بالبيئة

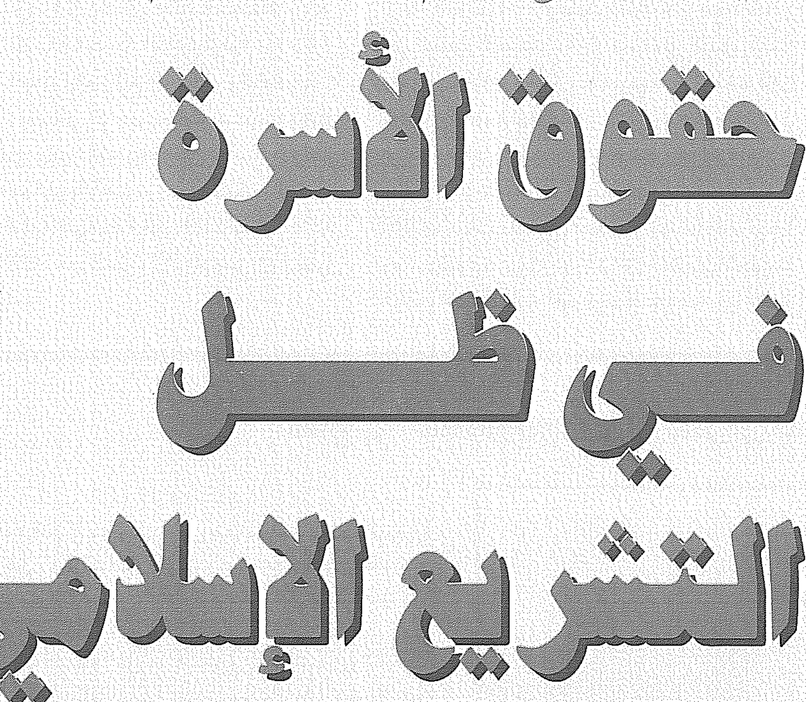
حملت وكالة الأمم المتحدة للبيئة، الأقلية الغنية في شمال العالم المسؤولية عن معظم المشكلات البيئية على الأرض. وقالت اليزابيث بودسويل المدير التنفيذي لبرنامج البيئة التابع للأمم المتحدة: أن دولا آسيوية تعقد من المشكلة بتقليدها الغرب.

وصرّحت أمام المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بقولها: «ما يقلقنا ليس عدد سكان كوكب الأرض وحسب، وانما الكيفية التي يتصرفون بها أيضا». وقالت: «عدد قليل نسبيا من العالم الغني يتصرف بتلك الطريقة التي تجعل ضررهم على البيئة يمثل مايقرب من ثلثي الدمار البيئي العالمي مقاسا باستخدام الطاقة». وقالت: إن التأثير الاستهلاكي على البيئة للطفل الذي يولد في الولايات المتحدة على سبيل المثال يبلغ ٣٠ مرة مثل تأثير مثيله ممن يولد في الهند.

وأضافت: إن متوسط استهلاك الأمريكي من الطاقة يبلغ ثلاثة أمثال الياباني وستة أمثال المكسيكي و١٢ مثل الصيني و٢٨١ مثل التنزاني و٤٢٢ مثل الأثيوبي. وقالت: «يجب أن يوضع في الاعتبار أن أنماط الاستهلاك في الجنوب تباري وعلى جناح السرعة أنماط الاستهلاك في الشمال. فالأخطاء التي ترتكب في الاقتصاديات الآسيوية تحاكي بالفعل أخطاء العالم الصناعي». وانتقدت بودسويل دعم المنتجات الزراعية وأسعار الطاقة التي لا تراعي الكلفة البيئية باعتبار انهما عاملان يحرضان الأسواق على تشجيع الاستهلاك المفرط.



الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء/ ١]. والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد القائل في سنته المطهرة: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائه، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم» [رواه ابن ماجه وأبو يعلى وغيرهم]. ورضي الله تعالى عن آل نبينا الأبرار وأصحابه الأخيار، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين..



حقوق الأسرة في ظل التشريع الإسلامي

بقلم أ.د: أحمد الحجي الكردي*

أما بعد؛ فإن موضوع حقوق الإنسان هو موضوع العصر، بل موضوع الساعة، ولا يعني ذلك أنه موضوع جديد أو طارىء، بل إنه موضوع قديم قدم التاريخ، إلا أن بروزه في السنوات الأخيرة على بساط البحث كان بروزا متميزا عن غيره من الموضوعات الهامة، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب، فقد تميزت موضوعات حقوق الإنسان والديمقراطية عن سائر الموضوعات الهامة الأخرى، وذلك نتيجة لبروز صراعات جديدة بين بني البشر في شتى أنحاء الأرض، أُهين فيها الإنسان واستُذل وعُذب وشُرد تحت لواء الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتحت بصر وسمع الأمم المتحدة نفسها والعالم أجمع، كما هو الحال في البوسنة والهرسك، والصومال، وفيتنام، والهند، وكشمير، وفلسطين وغيرها من أنحاء الأرض، والأمم المتحدة والعالم كله ينظر ويراقب، وكأن الأمر لا يعنيه ولا يهمه في شيء..

أين لوائح حقوق الإنسان التي أصدرتها ووقعت عليها كل أمم الأرض، انها حبرٌ على ورق، لأنها نصوص مرنة مطاطة من جهة، ولأنها لا تجد القلوب المؤمنة بها التي تحملها وتحميها، وفي هذا المجال لا بد لنا أن نتساءل ونقول: أليس للإسلام مكان في شرعة حقوق الإنسان، يعلنها ويحميها، أم هو غافل عنها كغفلة غيره من النظم والشرائع التي تكتفي بإعلان نصوص مرنة براقة ثم نترك أمر تطبيقها لأهواء لم تؤمن بها من أعماقها، ولم تحملها بين جوانحها، وتضحي في سبيل تحقيقها بالغالي والرخيص..

والجواب أن للإسلام السبق من حيث التاريخ، والسبق من حيث جدية التطبيق على سائر أنظمة الأرض في هذا المجال، وماخطبة حجة الوداع التي تقدم بها نبي الإنسانية كلها محمد بن عبدالله ﷺ إلا إعلان لحقوق الإنسان، وعته القلوب، وحملته النفوس وطبقته كأحسن ما يكون التطبيق على بساط الواقع: «فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا» [الترمذي/ ٢٥٩]..

وقد خص الإسلام الأسرة بمزيد من العناية في هذا المجال، لأهميتها العظمى في بناء المجتمع، فبيّن حقوق كل فرد من أفرادها قبل الأفراد الآخرين بيانا مفصلا قائما على الموضوعية المطلقة والعدالة التامة، فبيّن حقوق كل من الزوجين قِبَلَ الزوج الآخر. من الناحيتين المادية والمعنوية، كما بيّن حقوق الأولاد قِبَلَ الأبوين، وحقوق الأبوين قبل الأولاد، ثم حقوق الإخوة بعضهم قِبَل الأبوين، وحقوق الأبوين قِبَل الأولاد، ثم حقوق الإخوة بعضهم قِبَل بعض، وأخيرا حقوق الأعمام والأخوال ومن وراءهم من أفراد الأسرة الكبيرة (العشيرة).. وذلك على النحو التالي:

١ - حق اختيار الزوج لزوجه والزوجة لزوجها:

* استاذ بكلية الشريعة بدمشق، وخبير في الموسوعة الفقهية بالكويت

لقد أعطى الشارع الإسلامي لكل من الرجل والمرأة العاقلين البالغين الراشدين حق اختيار شريك حياته بملء إرادته واختياره دون أي ضغوط أو عوائق في ذلك من أي من الناس، وذلك على خلاف عادات العرب في الجاهلية وعادات كثير من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية إلى يومنا هذا، حيث يزوج الرجل بمن لا يرغب بها وتكره المرأة على الزواج ممن لارغبة لها فيه أيضا، كابن العم وابن الخال وغير ذلك..

فقد روت السيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله تعالى عنها - فقالت: جاءت فتاة إلى النبي ﷺ تشكوه أباها، فقالت: يا رسول الله: إن أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه ليرفع بي خساسته، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها، فلما جاءه واستوثق منه لصحة قولها قال للفتاة: «أمرك إليك». فقالت الفتاة: أجزت ما فعل أبي، فقال النبي ﷺ لها: «ففيم إذن»؟ قالت: ليعلم البنات بعدي أن ليس لآبائهن من أمورهن شيء» [أخرجه النسائي]..

هذا إذا كانت الفتاة والفتى كاملي الأهلية، فإن كانا قاصرين كان لابد من موافقة والديهما على زواجهما كسائر تصرفاتهما الأخرى. إلا أن للولي بعض الحق في أمر زواج الفتاة البالغة الراشدة إذا مس هذا الزواج مصالح الأسرة، كأن تتزوج الفتاة ممن دونها في الكفاءة، فإنه في هذه الحال له أن يتدخل ويمنع هذا الزواج، بل يفسخه إن عُقد؛ ما لم يحصل بعده حمل أو ولادة؛ وذلك حماية لمصالح الأسرة وسمعتها..

إلا أن التشريع الإسلامي أحاط هذا الحق في اختيار كل من الزوجين لشريك حياته بسياج من النصح والإرشاد ضمانا للسعادة واستمراراً للحياة، فأوصى الشاب بحسن الاختيار، كما أوصى الشابة بحسن الاختيار أيضا، فقال النبي ﷺ للشباب: «تخيروا لنطفكم، وانحوا الأكفاء وأنكحوا اليهم» [رواه ابن ماجه وغيره]. كما قال لهم: «تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» [متفق عليه]. وقال عليه الصلاة والسلام للفتيات وأوليائهن: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [رواه الترمذي]..

٢ - حق الإنجاب والنسل:

لقد جعل الشارع الإسلامي الإنجاب حقا لكل من الزوجين قبل الآخر فلا يمنع منه بغير رضاه، بل إن الإنجاب هو الغاية الأولى من الزواج، قال تعالى: ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [الكهف/٤٦]. وقال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»، وفي رواية: «تزوجوا الودود الولود اني مكاثر الأنبياء يوم القيامة» [رواه أحمد وابن حبان]..

إلا أن الإسلام لم ينس تلك الحالات الخاصة التي قد تحدوا بالإنسان إلى عدم الإنجاب - تحديد النسل - كالمرض مثلا، فقدرها حق قدرها مراعاة لها، فقد ثبت ان الصحابة سألوا النبي ﷺ عن العزل - وهو أحد طرق منع الحمل - وقالوا له: ان اليهود يقولون أن العزل هو الموؤدة الصغرى، فقال: كذبت يهود، لو أراد الله ان يخلقه ما استطعت أن تصرفه» [رواه أبو داود]. ومثل العزل سائر وسائل منع الحمل، إذا لم يكن فيها ضرر صحي أو اجتماعي، إلا أن ذلك استثناء من القاعدة منوط بالمصالح والحالات الخاصة، والقاعدة الأساس اطلاق النسل مع التأكيد على حسن التربية والأعداد..

٣ - حق المهر:

جعل التشريع الإسلامي المهر حقا للزوجة على زوجها يثبت لها بمجرد العقد الصحيح، ويتأكد بالدخول أو الخلوة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [النساء/٤]..

والمهر هدية إلزامية تجب على الزوج لزوجه تكريما لها واهتماما بها، وهو من النظام العام الذي لا يسقط بإسقاط أحد، حتى الزوجة نفسها إذا أسقطته في عقد الزواج عن الزوج لا يسقط، ولها المطالبة به بعد ذلك. فإذا ذكر في العقد تسمية صحيحة للمهر لزم المسمى، والالزم مهر المثل. وكذلك حق الزوجة في قبضه، فإنه حقها وحدها ولا يقبضه أحد عنها بغير إذنها، فإذا قبضه وكيلها أو وليها مع منعها له من ذلك لم تبرأ ذمة الزوج عنه بهذا القبض، وذلك على خلاف. فبعض العادات الفاسدة في بعض المجتمعات ممن جعل المهر حقا للولي يقبضه ويصرفه في مصالحه ظلما وهضما للحقوق..

والمهر لا حدّ لأقله ولا لأكثره عند أكثر الفقهاء، وإن كان المرغّب فيه هو التخفيف والتبشير..

٤ - حق النفقة:

جعل التشريع الإسلامي نفقة الأسرة «الزوجة والأولاد والوالدين» واجبة على الزوج وحده في ظل توزيع عادل لمسؤوليات الأسرة وأعبائها بين الزوج والزوجة، حيث جعل الإنفاق واجبا على الزوج، وجعل الحضانة والإرضاع واجبين على الزوجة. والنفقة الواجبة هنا هي نفقة الكفاية، وهي الطعام والكساء والمسكن والدواء والخدمة بمنا يناسب حال الزوج ثراء وفقرا. قال تعالى ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وقال جل من قائل: ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه، فلينفقْ مما آتاه الله لا يكلِّف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ [الطلاق/٧]..

٥ - حق الحضانة:

أثبت التشريع الإسلامي للأم حق الحضانة لأطفالها ما داموا بحاجة ماسة إلى تلك الحضانة، وجعلها واجبا عليها إلى جانب أنها حقها، إلا أنها واجب ديني لا قضائي فإذا امتنعت عنها لغير سبب أثمت عند الله تعالى ولم تجبر عليها قضاء ما لم تتعرض مصلحة القاصر للضرر الشديد، وفي ذلك منتهى التكريم من التشريع الإسلامي للمرأة بعامة وللأم بخاصة، مراعاة منه لظروف طارئة قد تنتاب الأم فتمنعها من حضانة أطفالها في وقت لا تستطيع معه اثبات هذا الظرف قضاء..

والحضانة شرعاً حق الأم لا تنزع منها مادامت صالحة لها سواء في أثناء حياتها الزوجية أو بعد انفكاكها بالطلاق أو الموت، وهي من النظام العام، فلا تسقط بأسقاط أحد، حتى الأم إذا اسقطت حضانتها وامتنعت عن العناية بأطفالها مدة لسبب أو بغير سبب ثم عادت وطالبت بهذا الحق أجيبت إليه ما دامت مهيأة لها..

والحضانة حق الأم حتى يشب الأولاد ويستغنوا بأنفسهم عن خدماتها الذاتية، ثم يكونون في رعاية أبيهم تلبية لحق الولاية عليهم، ومراعاة لمصلحتهم بعد أن كبروا واحتاجوا إلى رعاية الرجال..

إلا أن الأم لا تمنع من الإشراف على أولادها بعد سن الحضانة، كما لا يمنع الأب عن الإشراف على أولاده في أثناء الحضانة، وينتظم ذلك عند التنافي بمعرفة القضاء وهو ما يسمى (بحق الاراءة)..

٦ - حق النسب:

حقوق الأسرة في ظل التشريع الإسلامي

النسب هو الانتماء للأبوين، وقد جعله التشريع الإسلامي حقا لكل طفل على أبويه الذين تولد من مائهما، فأما الأم فإثبات النسب منها يكون بإثبات الولادة، وهي واقعة مادية قابلة للإثبات بالطرق العادية، ولا يسأل إن كان وُلد منها بسبب مشروع أو غير مشروع، وأما الأب فإن إثبات النسب منه لا يعتمد على الطرق العادية لاستحالتها، ولذلك استعيض عنه بالطرق الشرعية وهي ثلاثة: الفراش، والقرار، والبينة..

فأما الفراش فإنه العقد الشرعي المستوفي لشروطه، ومثله العقد الفاسد إذا تبعه دخول، أو الوطء بشبهة معبرة، وذلك إذا لم يقم مانع من التقاء الزوجين مع بعضهما. قال تعالى: ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وعلى ذلك فأيما امرأة أنجبت وبينها وبين رجل عقد زواج صحيح أو عقد فاسد تبعه دخول؛ أو وطء بشبهة معتبرة؛ نسب ولدها إليه حكما دون حاجة إلى دعوى أو اجراء، فإن وجد مانع عقلي أو عادي من التقائهما كأن ولدت لأقل من ستة أشهر من تاريخ العقد، أو كان بينها وبين زوجها ما يمنع اللقاء بينهما، كبعد المسافة أو السجن، لم ينسب إليه بالفراش، ولكن إن أقرّ به أو شهدت بيّنة على أن ابنه نسب إليه، وإلا فلا..

وأما الأقرار فهو الاعتراف ببنوته منه، فإذا تم الاعتراف بشروطه الشرعية نسب إليه ولم يسأل إن كان ذلك بسبب مشروع أو غير مشروع. قال تعالى: ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ [القيامة/١٤]..

وأما البينة فهي شهادة رجلين أو رجل وامرأتين من العدول على أنه ابنه، ويكفي في ذلك الشهادة على التسامع. قال تعالى: ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ﴾ [البقرة/٢٨٢]..

ثم ان النسب إذا ثبت للطفل من أبويه أو حدهما لم يسقط مجال من الأحوال بغير اللعان، واللعان نافذة ضيقة جدا لاسقاط النسب بعد ثبوته بالفراش لأنه محفوف بشروط قاسية يصعب تحقيقها غالبا.. وإذا ثبت النسب تعلقت به جميع أحكامه، من النفقة، والمحرمية والإرث والحضانة وغيرها..

ولا يصح التبني في شريعة الإسلام طريقا لإثبات النسب، وقد نص الله تعالى على ذلك في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ [الأحزاب/٤] كما لا يصح الالتقاط طريقا لإثبات النسب، لأنه ضرب من التبني..

٧ – حق الرضاع:

أوجب التشريع الإسلامي على الأم إرضاع طفلها حتى يستغني عن ذلك، وقد حدد الإسلام نهاية مدة الرضاع المتوجب على الأم في الأحوال الطبيعية بسنتين. قال تعالى: ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ [البقرة/٢٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ﴾ [لقمان/١٤]. فإذا لم يستغن الولد عن الرضاعة بعد هذين العامين لأسباب مرضية أو غيرها وجب أرضاعه حتى يستغني..

إلا أن هذا الحق مربوط باستطاعة الأم وقدرتها على الإرضاع وتوفر الحليب في ثدييها، وإلا كان تكليفا بما لا يطاق، وهو ممنوع شرعا لقوله تعالى: ﴿ وماجعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج/٧٨]. ولما كان ذلك الحرج منوطا بالأم وحدها ولا يعرف إلا من قبلها، وهو غير قابل للإثبات بالطرق العادية، جعل الوجوب على الأم ديانيا، فإذا امتنعت منه لغير سبب ظاهر أثمت عند الله تعالى ولم تجبر عليه قضاء، ووجب على الأب تأمين إرضاعه على نفقته بالوسائل الأخرى..

٨ – حق الطلاق:

جعل التشريع الإسلامي الفراق وإنهاء الحياة الزوجية حقا لكل من الزوجين مجتمعين ومفترقين كما الزواج، كما جعله حقا للقاضي ينفرد به ويفرضه على الزوجين، إذا قامت أسباب تدعو إلى ذلك..

إلا أن لممارسة هذا الحق من كل من الزوج والزوجة والقاضي شروطا وأحوالا تختلف في كل منهم عن الآخر. قال تعالى: ﴿ الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما اتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون. فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليها أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ [البقرة/٢٢٩و٢٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وان يتفرقا يُغْنِ الله كلاً من سعته وكان الله واسعا حكيما ﴾ [النساء/١٣٠]..

وذلك كله بعد بذل الجهد الكامل من قبل كل من الزوجين قبل الآخر على الصبر والاحتمال والاحتساب ابتغاء الأجر والمثوبة، قال تعالى: ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ [النساء/١٩]..

ثم بذل الجهد عن طريق وساطة الأقرباء من الحكماء من كلا الجانبين لرأب الصدع وجمع الشمل وإعادة الألفة. قال تعالى: ﴿ فإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما كلا أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ [النساء/٣٥]..

ذلك ان آخر دواء الضرس القلع، وآخر دواء العضو البتر، وإلا كان فيه فساد الجسد كله..

٩ – حق الأرث:

جعل التشريع الإسلامي التوارث حقا محصورا بالأسرة وهو حق للرجال والنساء على سواء. قال تعالى: ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ [النساء/٧]، وذلك على

تكريم المرأة في الإسلام جزء لا يتجزأ من تكريمه للإنسان وتفضيله على كثير من العالمين

خلاف ما كان عليه الأمر في الجاهلية ولدى الكثيرين من أمم الأرض، حيث يكون الإرث محصورا في الرجال دون النساء، بل في بعض الرجال فقط دون غيرهم، وهم الأشداء الأقوياء دون الضعفاء والأولاد. فقد ثبت أن سعد بن الربيع استشهد في معركة أحد مع النبي ﷺ فجاءت زوجته وبنتاه إلى النبي ﷺ يشكون إليه أخاهم الذي استقل بالتركة كلها دونهن، فأرسل إليه فسأله فقال: ألست أنا الذي أحمي الحوزة وأدافع عن العشيرة؟! فقال له النبي ﷺ: «للبنتين الثلثان، وللزوجة الثلث ولك الباقي». [رواه الخمسة إلا النسائي].

والإسلام جعل القاعدة الأساس في توزيع الإرث من الورثة المساواة بين الرجال والنساء الكبار والصغار، وربما فاضل بينهم لمعان خاصة، فأعطى النساء أكثر من الرجال أو الرجال أكثر من النساء، وربما أعطى النساء وصرح الرجال، أو أعطى الرجال وحرم النساء. وكل ذلك لأمور خاصة خارجة عن طبيعة الرجولة والأنوثة، خلافا لما يظنه البعض من الناس، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾ [النساء/١١]. فإنه دليل قاطع على أن الأصل في الإرث أن للذكر مثل ما للأنثى إذا تجرد الأمر عن ظروف أخرى، ومثله الأخوة والأخوات لأم، فإن ذكرهم وأنثاهم سواء في الإرث. قال تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ [النساء/١٢]. وقد اجمع الفقهاء هنا على ذلك من غير خلاف..

١٠ – حق الولاية:

شرع الإسلام الولاية للأب على أولاده، ومن بعده لأبيه ومن وراءه من العصبات بالنفس، وجعل ذلك حقا وواجبا رعاية لمعنى الأبوة، وحماية لمعنى الطفولة، والولاية تثبت على الأولاد منذ تاريخ ولادتهم، وتستمر معهم حتى يبلغوا الرشد وهي رعاية شاملة

■ رتّب الدين الإسلامي على رباط النسب حقوقاً وواجبات تحقق حياة اجتماعية راقية ومتميزة

تتضمن الحماية والمساعدة على تنشئة كريمة فاضلة، جسديا وفكريا وعقديا. فمن واجب الولي أن يقدم النفقة وأن يعنى بأمور التربية والسلوك، وأمور العلم والتوجيه إلى مهنة، ثم التطبيب والعلاج عند الحاجة؛ وما إلى ذلك، وقبل ذلك كله أمور العقيدة والدين، ثم أمور التزويج وبناء الأسرة، سواء أكان الولد ذكراً أم أنثى..

فإذا عجز الولي عن القيام بهذه المهمة أو ظن فيه العجز عزل ونقلت الولاية عنه إلى من بعده في الدرجة بحسب ما تقدم. وذلك حماية لشخص الولد وحسن رعايته وتنشئته، لأن الطفل بحق هو إنسان المستقبل، بل هو المستقبل كله، وبقدر ما يقدم له من الرعاية بقدر ما يكون له من الكفاءة في بناء الغد..

١١ – تعدد الزوجات:

لقد شرع الإسلام للرجل تعدد الزوجات حتى أربعة بعد أن كان في الجاهلية مباحاً بغير حدود، وذلك تلبية لحاجة اجتماعية إنسانية ضرورية لا حل لها إلا بذلك وهي كثرة عدد النساء في سن الزواج في كثير من الأحوال بالنسبة لعدد الرجال المؤهلين للزواج المستعدين لتحمل أعبائه ومسؤولياته، وفي هذه الأحوال لا مندوحة من إباحة التعدد أو اللجوء إلى المخالة في الزوايا المعتمة، ولا أظن إنسانا عاملا يفضل الحل الثاني على الحل الأول ما دام لا ثالث بينهما..

وقد ضبط الشارع الإسلامي إباحة التعدد هذا بضوابط تكفل التخفيف من مثالبة، والنزول بها إلى الحد الأدنى مما يجعل المصالح المترتبة عليه أكبر منها، وهو كاف للإباحة في عرف التشريع، وأهم هذه الضوابط مايلي:

■ سبق الإسلامُ الشرائعَ المعاصرة في ميدان حقوق الإنسان وحفظ كرامته وتحقيق سعادته

أ – جعل الحد الأعلى للتعدد أربعة، وكل تسديد بعد ذلك باطل.

ب – اشترط العزم على العدل بين الزوجات وعدم الخوف من الجور بينهن. قال تعالى: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ [النساء/٣].

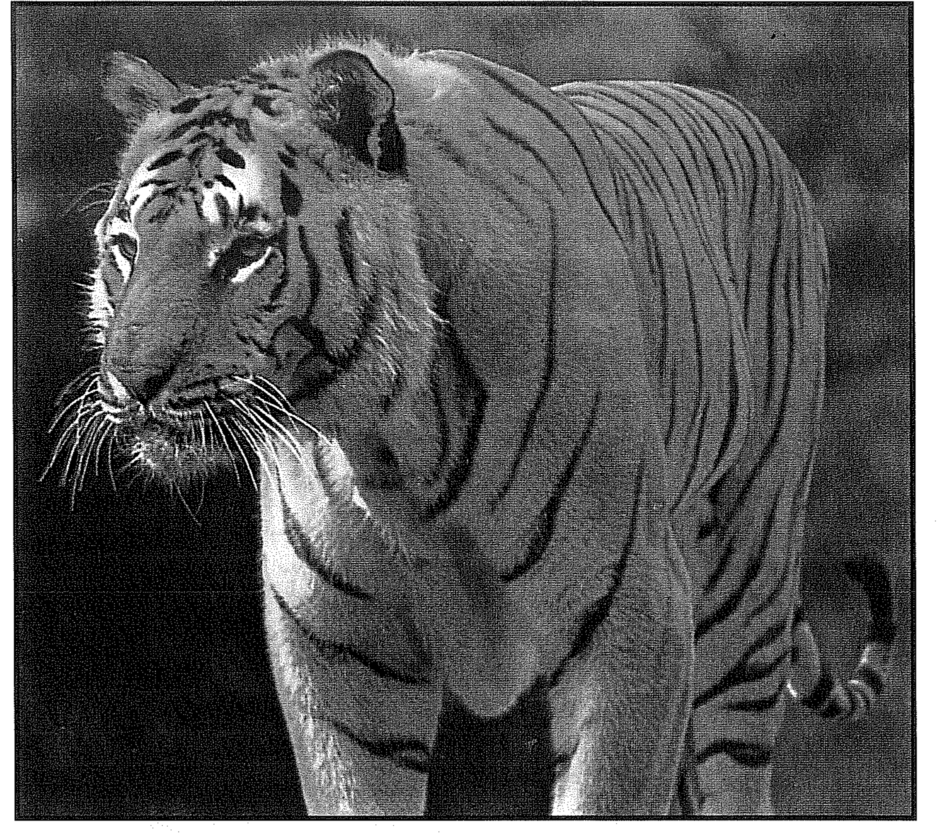
جـ – أباح تعزير الزوج إذا أضر بإحدى الزوجات أو أخل بمبدأ العدل بينهن في المسكن أو النفقة أوالمبيت.

د – جعل الإخلال بالعدل بين الزوجات من الضرر الذي يجوز طلب التفريق بسببه.

١٢ – حق الدية على العاقلة في القتل الخطأ:

لقد شرع الإسلام أنواعا من التعاون والتناصر بين المواطنين على أساس الجوار، والصداقة، ووحدة المهنة، ووحدة الثقافة، والقرابة. قال تعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ [النساء/٣٦]، وقال ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قيل: كيف أنصره ظالما؟ قال: «تحجزه عن الظلم فإن في ذلك نصره» [أخرجه البخاري وأحمد والترمذي]..

ومن هذه الأنواع من التناصر حق الدية على العاقلة في القتل الخطأ، فإذا قتل إنسان آخر خطأ كان عليه الكفارة وعلى عاقلته دية القتيل، والعاقلة هم الأسرة والعشيرة التي يتم بها التناصر في العرف، ولا يكلف القاتل من الدية إلا مثل ما يكلفه أي فرد من أفراد الأسرة والعشيرة، وذلك على خلاف القتل العمد، فإنه فيه القصاص على القاتل، فإن قبل أولياء القتيل منه المال بدلا من القصاص، فإنه واجب على القاتل وحده ولا يكلف به أحد من أفراد أسرته إلا أن يتبرعوا له طوعا، وذلك لوجود القصد الجرمي في الحالة الثانية دون الأولى، فكان الواجب التعاون فيها. والله تعالى أعلم ■



أقر هذا النوع من العقوبة عــــدد كبير مـن الأمم في مختلـف العصـــــور، وبخاصة اليهود واليونان والـرومـان والفـرس في العصور القـديمة، والأمم الأوربيـةالمسيحيـــة في العصــــور الـــــوسطى والحديثــة. وسنلقي فيما يلي نظـرة على اوضاع هـذ النظام الغـريب في شرائع هذه الأمم وموقف الاسلام حياله.

بقلم: بدرت نوال محمد بدير

عقوبة الحيوان والجماد عما يتسببان في إحداثه

اقرت أسفار اليهود المقدسة مسؤولية الحيوان وعقـابه في حالتين تتعلق احـداهما بتسبب الحيـوان في موت الانســان وتتعلق ثـانيتهما بالاتصال الجنسي بين انسان وبهيمة.

أما الحالة الأولى : فقد نص عليها سفر الخروج وهـو احد الاسفار التي يـزعمون انها التـوراة إذ يقـول: «إذا نطح ثـور رجلا او امـرأة، وأفضي ذلك الى مـوت النطيح، وجب رجـم الثـور وحـرم أكل لحمـه، ولاتبعة على مـالكه إذا لم يكن الثـور معتادا النطح، فـان كان ذلك من عادتـه وأنذر الناس صاحبـه فلم يعبأ بانذارهم، وأهمل رقـابته حتى تسبب في هلاك رجل أو امرأة كـان جزاء الثور الرجم وجـزاء صاحبه الاعدام.» «فقرتي ٢٨ و٢٩ من الاصحاح ٢١ من سفر الخروج».

وهذه النصـوص صريحة في اعتبار الثور في هاتين الصـورتين اهلا لاحتمال المسؤولية الجنائية، وفي اعتبار رجمه عقوبة بالمعنى القانوني الدقيق لكلمة العقـوبة، وقد تولـدت مسؤوليته هذه من جـرم أحدثه، ووقعت تبعته ونتائجها عليـه وحده في الصورة الأولى، ولكنها شملت كذلك صاحبه في الصورة الثانية لمظنة إهماله.

وأما الحالة الثانية: فقد نص عليهـا سفر اللاويين» وهو كذلك احد الاسفار التي يـزعمون انها التـوراه..»إذ يقول «إن قـرب رجل بهيمة حكم على كليهما بـالموت، وان قـربت امـرأة حيـوانـا وجب قتل المرأة والحيوان».

القانون اليوناني ومسؤولية الحيوان الجزائية

ولاتقل هـذه النصوص صراحـة عن النصوص السـابقة في اعتبـار الحيـوان في هـاتين الصـورتين أهلا لاحتمال المسـؤوليـة الجنـائيـة ومايترتب عليها من عقوبة وخـاصـة لما يقرره كتاب «المشناة» (الذي يتألف منــه ومن شرحـــه المسمى الجمارا أسفـار التلمــود) من ان المقصود بكلمتي «القتل» و«الموت» الواردتين في النصوص السابقة هو الرجم، وذلك ان تنفيـذ الاعدام على هذا الوجـه لم يعهد إلا في الحدود

الشرعية التي تفترض أهلية الكائن لاحتمال المسؤولية والجزاء، وقد تولدت هذه المسؤولية في الصورة الأولى لمجرد عمل لابس الحيوان بدون ان يكون له دخل في احداثه، وفي الصورة الثانية لعمل لابسه وكان له دخل ما في احداثه، ووقعت تبعتها ونتائجها في الصورتين على الحيوان والانسان الذي اقترف الجرم.

■ أقرّت الشريعة اليهودية واليونانية والرومانية عقوبات محددة للحيوانات على ما تتسبب به من أضرار

وقد حرص قدماء اليونان على عقاب الحيوانات والجمادات المتسببة في هلاك الانسان حتى لقد انشأوا لذلك محكمة مستقلة كان يطلق عليها اسم « البريتانيون» وهو اسم المكان الذي كانت تعقد جلساتها فيه.

وقد اشار ديموستين من اشهر خطباء اليونان في القرن الرابع ق.م ٣٨٤ - ٣٢٣ق.م. الى هذه المحكمة في عبارة تدل على انها كانت لاتزال قائمة في عصره وذلك اذ يقول: إذا سقطت صخرة او قطعة حديد او خشب على شخص فأهلكته وجب ان تقام عليها الدعوى امام محكمة «البريتانيون».

ويفهم مما كتبه كبير فلاسفتهم أرسطو «٣٨٤ - ٣٢٢ق.م» في هذا الصدد انه كان يحاكم امامها كذلك الحيوانات المتسببة في موت الآدميين، ويظهر انه كان يحكم على الجماد بالتحطيم وعلى الحيوان بالاعدام، وان كليهما كان يقذف به عقب ذلك في خارج حدود البلاد.

وهذه عقوبة اضافية تشبه عقوبة النفي التي توقع في بعض الجرائم على الآدميين. وقد اقر افلاطون «٤٢٩ - ٣٤٧ق.م» هذا المبدأ في كتابه «القوانين» اذ يقول: «اذا قتل حيوان انسانا كان لأسرة القتيل الحق في اقامة الدعوى عليه « على الحيوان » امام القضاء ويختار أولياء الدم القضاة من المزارعين، ولهم ان يختاروا منهم اي عدد يشاءون، وفي حالة ثبوت الجريمة على الحيوان يجب قتله قصاصا والقاء جثته في خارج حدود البلاد»، ويستثنى من ذلك القتل الناشيء عن مبارزة بين الانسان والحيوان في مسرح الألعاب العمومية«السيرك» فان هذا لايترتب عليه اي اجراء قضائي، وإذاسقط جماد على انسان فأهلكه، سواء أكان سقوطه ناشئا عن عامل طبيعي ام عن عمل انسان ،اختار أقرب الناس الي القتيل قاضيا من جيرانه ليحكم على الجماد ان ينبذ خارج حدود البلاد ويستثنى من ذلك الاشياء التي تقذف بها السماء كالنيازك والصواعق وماإليها فإذا تسببت هذه الاشياء في موت انسان لايترتب على عملها اي اجراء قضائي.

ومن المعروف ان معظم الشرائع التي ذكرها أفلاطون في كتابه «القوانين» قد استمد أصولها من نظم كانت متبعة بالفعل في بلاد اليونان.

عقوبة الحيوان في التشريع الروماني

وأقرت الشرائع الرومانية القديمة مسؤولية الحيوان في أحوال كثيرة، فالتشريع المنسوب الى نوما بومبيليوس «ثاني ملوك الرمان في عصورهم السابقة للتاريخ ٧١٤ - ٦٧١ق.م» يتضمن مادة تقضي بعقوبة الاعدام على الثور وصاحبه اللذين يتسببان في اثناء عملية الحرث في نقل الحد الفاصل بين الحقل المحروث والحقل المجاورله.

وقد أقرت شريعة الألواح الاثنى عشر نفسها وهي أساس شرائع الرومان في عصورهم التاريخية.

«حررت هذه الألواح سنة ٣٠٣ من تاريخ روما، وتاريخ روما يبدأمن نشأة روما سنة ٧٥٣ق.م، فيكون تحرير هذه الالواح حوالي سنة ٤٥٠ق.م اي في منتصف القرن الخامس ق.م» مسؤولية الحيوان في حالتين: احداهما: اذا تسبب في اتلاف أو ضرر. وثانيتهما: اذا رعي عشبا غير مملوك لصاحبه، فقد أوجبت في كلتا الحالتين على صاحب الحيوان ان يسلمه الى المجني عليه او يدفع الغرم المقرر ان اراد الاحتفاظ بحيوانه، ولم يقصد المشرع من تسليم الحيوان الى المجني عليه تحقيق عوض مالي له، وانما قصد تمكينه من المتسبب في ضرره ليتخذ حياله مايشاء، او يثار لنفسه منه على الوجه الذي يراه، ولذلك لم يقم القانون في حالة تسليم الحيوان اي وزن لقيمته المالية ونسبتها الى الضرر الذي احدثه، فمجرد تسليمه يعتبر مسقطا للخصومة، سواء أكانت قيمته مساوية لما احدثه ام كانت زائدة عليه قليلا أو كثيرا، ام كانت أقل منه أم لم تكن شيئا مذكورا بجانبه، ولذلك ايضا يقرر هذا القانون ان ملكية الحيوان اذا انتقلت بعد ارتكاب الحادث بالبيع او غيره من يد مالكه الأول فان الدعوى تقام على مالكه الاخير لاعلى المالك الذي اقترف الجرم في اثناء ملكيته له، ففي هذا دليل على ان المسؤولية تتجه اولا وبالذات الى الحيوان نفسه وتتعقبه حيثما يكون.

عقوبة الكلب في الزرادشتية

وورد في أسفار الابستاق (أو الأفستا وهي مجموعة الأسفار المقدسة المنسوبة لزرادشت التي تقوم عليها الديانة الزرادشتية التي كان يعتنقها الايرانيون في عصورهم القديمة وصدر عصورهم المتوسطة قبل اعتناقهم الإسلام) ان الكلب المصاب بمرض الكلب إذا عض خروفا فقتله أو انسانا فجرحه قطعت أذنه اليمنى، فان تكرر منه ذلك قطعت أذنه اليسرى، وفي المرة الثالثة تقطع رجله اليمنى وفي الرابعة رجله اليسرى وفي الخامسة يستأصل ذنبه، ويعاقب صاحبه كذلك ان كان قد أهمل في اتخاذ ماينبغي اتخاذه حيال كلبه من احتياط ورقابة، ولايخفي ماينطوي عليه هذا القانون، وتنطوي عليه العقوبات التي يقررها في صورة مراعي فيها سوابق الجاني من تسليم بأهلية الحيوان لاحتمال المسؤولية الجنائية ومايترتب عليها من جزاء.

■ ظلت قوانين الامم الاوروبية حتى صدر العصور الحديثة تعتبر الحيوان مسؤولا عن جناياته وتعاقبه عليها

عقوبة الحيوان والجماد

الشرائع الأوروبية في العصور الوسطى

وقد اتخذت شرائع الأمم الأوروبية المسيحية في العصور الوسطى حيال جريمة الاتصال الجنسي بين انسان وحيوان موقفا يشبه موقف الشريعة اليهودية بل يبدو أنه مقتبس منها، فكانت هذه الشرائع تحكم بالاعدام حرقا في الغالب على البهيمة التي يقربها انسان، كما كانت تحكم بذلك على الإنسان نفسه الذي ارتكب هذا الجرم، وكانت الكنائس نفسها تشرف على تنفيذ هذه العقوبة.

وظلت شرائع الأمم الأوروبية المسيحية أمدا طويلا في صدر العصور الحديثة نفسها تعتبر الحيوان أهلا لاحتمال المسؤولية الجنائية ومايترتب عليها من عقوبة.

وكانت فرنسا أول أمة أوروبية مسيحية أخذت في هذه العصور بمبدأ مسؤولية الحيوان ومعاقبته بجرمه أمام محاكم منظمة وبالطرق القانونية نفسها المتبعة في مقاضاة الانسان، وقد ظهر هذا النظام لديها في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ثم ظهر في سردينيا في أواخر القرن الرابع عشر، وفي بلجيكا في أواخر القرن الخامس عشر وفي هولندا وألمانيا وايطاليا والسويد في منتصف القرن السادس عشر.

وفي انجلترا في القرن الثامن عشر، وظل العمل به قائما عند بعض شعوب الصقالبة حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ويؤخذ مما كتبه مؤرخو القانون في هذا الصدد ان التسبب في قتل انسان كان أهم جريمة يقدم من أجلها الحيوان إلى ساحة القضاء، وأن المدعي كان في الغالب النائب العمومي نفسه وأحيانا المجني عليه، وان صاحب الحيوان كان في امكانه في بعض الأحوال ان يوقف الاستمرار في القضية اذا تخلى للموتورين عن حيوانه وان الاجراءات التي كانت تتخذ حيال الحيوان لم تكن لتختلف في شيء عن الإجراءات التي تتخذ حيال المجرمين من الآدميين حتى لقد كان يحكم أحيانا على الحيوان بالحبس الاحتياطي عند الحاجة الى ذلك، وأنه في حالة ثبوت الادانة كان يحكم على الحيوان بالإعدام وينفذ الحكم على مشهد من الجمهور وبالطريقة نفسها التي ينفذ بها على الآدميين، وأن الاعدام كان يتخذ صورا كثيرة، ففي الغالب كان يحكم بشنق الحيوان وأحيانا يحكم برجمه أو بقطع رأسه او بحرقه ومالى ذلك، وفي بعض الأحوال كان يقطع بعض أعضائه قبل تنفيذ عقوبة الإعدام في صورة تمثل في جملتها مافعله المجني عليه.

وان أسباب الأحكام التي كانت تصدرها المحاكم حينئذ ضد الحيوانات والنصوص الواردة في البحوث القانونية في ذلك العهد لتدل أقطع دلالة على جدية هذه القضايا، فكثيرا ماتردد هذه الاسباب وهذه النصوص عبارات لاتختلف في شيء عن العبارات التي كانت تستخدم في جرائم بني الانسان، وكثيرا مايرد فيها« يحكم باعدام الحيوان تحقيقا للعدالة» او «يقضي عليه بالشنق جزاء ماارتكبه من جرم وحشي شنيع» وما الى ذلك من العبارات الصريحة فيما نحن بصدد تقريره.

المسؤولية الجنائية في الإسلام

هذا وقد قضت الشريعة الإسلامية الغراء على جميع هذه الانحرافات في نظم العقوبة، وقررت ان المسؤولية الجنائية ومايترتب عليها من جزاء لايقعان إلا على انسان بالغ عاقل، وان كل ماينجم عن عمل الحيوان أو حركة الجماد فهو هدر ان لم يصحبه اهمال من المالك ولاتعمد، فان صحبه شيء من ذلك قضى على المالك بتعويض مالي للمجني عليه في بعض الأحوال على ماهو مبين في كتب الفقه الإسلامي.

غير ان بعض فقهاء المسلمين قد ذهب في صدد البهيمة التي يقربها آدمي مذهبا يظهر في بادىء الرأي أنه ينطوي على اعتبار الحيوان أهلا لتحمل المسؤولية الجنائية والجزاء، ومن هؤلاء فقهاء المذهب الشافعي الذين يرون في هذه الحالة وجوب قتل البهيمة بدون ذبح شرعي واحراق جثتها، ومنهم كذلك فقهاء المذهب الحنبلي الذين يرون وجوب قتل البهيمة ويحرمون أكل لحمها، ويوقعون على الفاعل عقوبة التعزير وهى عقوبة يقدرها القاضي في صورة تتلاءم مع خطورة الجرم وحالة المجرم على ألا تصل في شدتها الى درجة الحد المقرر في جريمة الزنا، ويلزمونه دفع قيمة البهيمة لمالكها ان كانت ملكا لغيره، [انظر كتاب «نيل المآرب بشرح دليل الطالب» في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٢٣].

ومن هؤلاء كذلك فقهاء الشيعة الامامية وهم الاثنا عشرية أو الجعفرية الذين يتألف معظمهم من شيعة العراق وايران الذين يرون أن البهيمة في هذه الحالة يجب ذبحها وحرقها ويغرم الفاعل قيمتها لصاحبها ويحرم لحمها ولحم نسلها الذي جاء بعد الوطء ان كانت مأكولة اللحم، ويجب بيعها في بلد آخر وهذا الإجراء يشبه عقوبة النفي التي توقع أحيانا على بعض المجرمين من الآدمين، ويتصدق بثمنها ويغرم لصاحبها قيمتها ان كانت غير مأكولة اللحم، وانه إذالم يقم دليل قاطع على تعيين البهيمة التي لابسها هذا الجرم ضربت القرعة على البهائم المشتبه فيها، فما أصابتها القرعة من بينها تعتبر البهيمة المقصودة وتتخذ حيالهاهذه الاجراءات. [انظر كتاب أصل الشيعة وأصولها، للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الطبعة الثانية ص ١٥٨].

غير ان من ذهبوا هذا المذهب من فقهاء المسلمين يقررون هم أنفسهم أن الغرض من هذه الاجراءات هو مجرد القضاء على ذكرى الفاحشة ومحو أثرها من النفوس واتقاء مايجره بقاء البهيمة على مرتكب الجرم من سخرية الناس وازدرائهم به وتعييرهم اياه ■

■ حصرت الشريعة الاسلامية المسؤولية الجنائية وما يترتب عليها من جزاء بالإنسان البالغ العاقل دون غيره

الأدب الإسلامي.. مفهومه وخصائصه والحاجة إليه

من أجل تأصيل الأدب الإسلامي في مجتمعاتنا المعاصرة ومن أجل مواجهة النظريات والمذاهب الأدبية العالمية التي لا تتفق مع مبادىء الإسلام تم الإعلان عن قيام (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بتاريخ ٢/٣/١٤٠٥هـ الموافق ٢٤/١١/١٩٨٤م، وبعد عام تقريبا وفي شهر ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ الموافق يناير (ك٢) ١٩٨٦م انعقد المؤتمر العام الأول للرابطة في رحاب جامعة (ندوة العلماء) بلكنئو في الهند حيث تم وضع النظام الأساسي للرابطة وانتخب مجلس الأمناء، وانتخب سماحة الشيخ ابى الحسن الندوي رئيسا للرابطة.

ولا شك أن الأدب الإسلامي طريق مهم من طرق بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح وإداة من أدوات الدعوة إلى الله والدفاع عن الشخصية الإسلامية وهو مسؤول عن الإسهام في إنقاذ الأمة الإسلامية لأنه أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها وخصائصه هي الخصائص الفنية المشتركة بين أداب الشعوب الإسلامية كلها وهو يقدم التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون، وصولا لنظرية متكاملة في الأدب والنقد.

وملامح هذه النظرية موجودة في النتاج الأدبي الإسلامي الممتد عبر القرون المتوالية لأنه حقيقة قائمة قديما وحديثا يبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوي ومعركة شعراء الرسول ﷺ مع كفار قريش ويمتد إلى عصرنا الحاضر ليسهم في الدعوة إلى الله ومحاربة أعداء الإسلام والمنحرفين عنه فهو يرفض (أي الأدب الإسلامي) المذاهب الأدبية التي تخالف التصور الإسلامي والأدب العربي المزور والنقد الأدبي المبني على المجاملة المشبوهة أو الحقد الشخصي كما يرفض لغة النقد التي يشوهها الغموض وتفشو فيها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة ويدعو إلى نقد واضح وبناء.



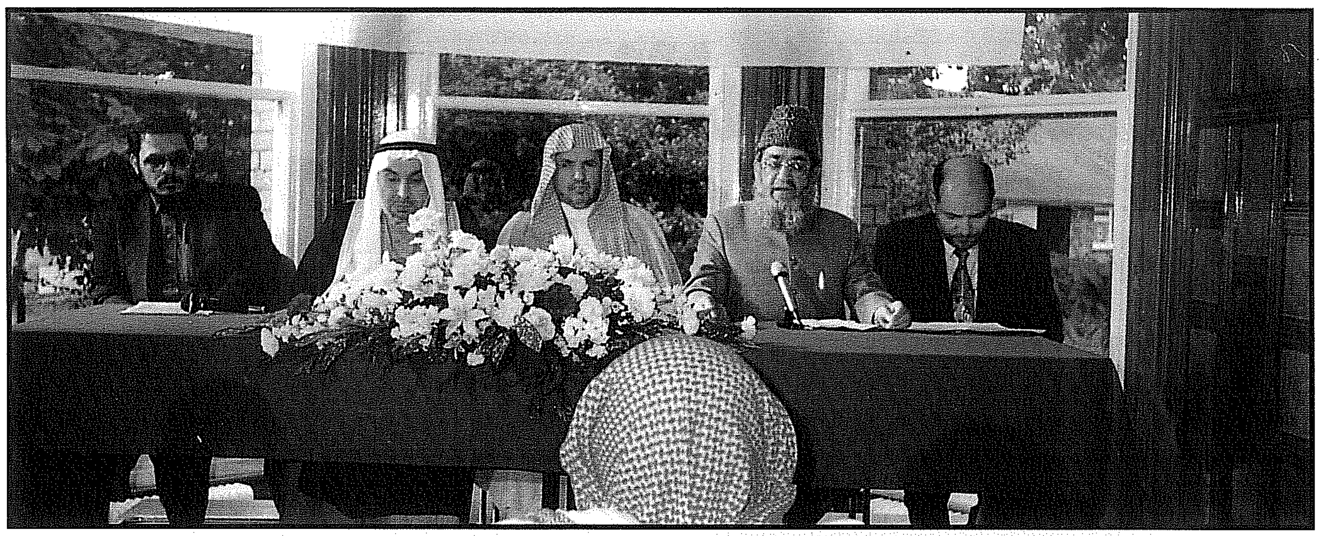
● الصورة: الشيخ الندوي متوسطا المنصة الرئيسية

بقلم الدكتور: محمد عادل الهاشمي

ومن أجل ترسيخ هذه القيم والمبادىء عقدت الرابطة العديد من الندوات والمؤتمرات والأنشطة كان آخرها الندوة التي أقامتها بالتعاون مع (مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية) في بريطانيا، في شهر أغسطس (آب) الماضي برعاية الشيخ أبى الحسن الندوي رئيس الرابطة ورئيس مجلس أمناء المركز تحت عنوان (الأدب الإسلامي: مفهومه وخصائصه والحاجة إليه) وخلال جلسات الندوة الثلاث تم التعريف بأهمية الأدب الإسلامي، وأهداف الرابطة وظروف نشأتها وتطورها، والأهداف التي تسعى إليها..

كما قدمت العديد من الأبحاث الأدبية منها: (مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه) للدكتور عبدالباسط بدر، و(المنهج الإسلامي والالتزام عند باكثير) للدكتور محمد أمين توفيق، و(الصورة الإسلامية في شعر عدنان النحوي)، و(الحاجة إلى الرؤية الإسلامية في الأدب الانجليزي) للدكتور أنس الشيخ علي، و(حاجتنا للأدب الإسلامي) للأستاذ محمد رياض الندوي..

وقد اختتمت الندوة بإلقاء العديد من القصائد الشعرية الإسلامية المعاصرة ألقاها كل من: د. عبدالقدوس أبوصالح، ود. أحمد بسام الساعي، ومحمد هاشم رشيد، ومحمود الدغيم.. كانت الندوة فرصة طيبة للقاء عدد متميز من الفعاليات الإسلامية والعاملين في حقل الأدب والنقد الأدبي بالإضافة إلى العلماء والدعاة، أثروا جلساتها بنقاشات عن مفهوم (الأدب الإسلامي) و(الأدب الإسلامي الغربي)، وتعتبر نموذجاً طيباً على تعاون المؤسسات الإسلامية الهادفة ■



لقطة من حفل الافتتاح

افتتاح المدرسة الإسلامية في مانشستر - بريطانيا

مدينة مانشستر احدى كبريات المدن البريطانية وتقطنها جالية إسلامية تعدادها أكثر من ٨٠ ألف نسمة، وإلى فترة قريبة لم يكن هناك أية مدرسة إسلامية تخدم أبنائها، ولكن بتوفيق الله ثم بمساندة الخيرين من المسلمين داخل وخارج بريطانيا وخاصة من الكويت والمملكة العربية السعودية، أسست هيأة لتحقيق قيام مدارس إسلامية في مانشستر، وكانت نقطة البداية: الثانوية الإسلامية للبنات، ودار حضانة للأطفال سرعان ما توسعت في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٩٣م لتصبح (المدرسة الابتدائية الإسلامية).

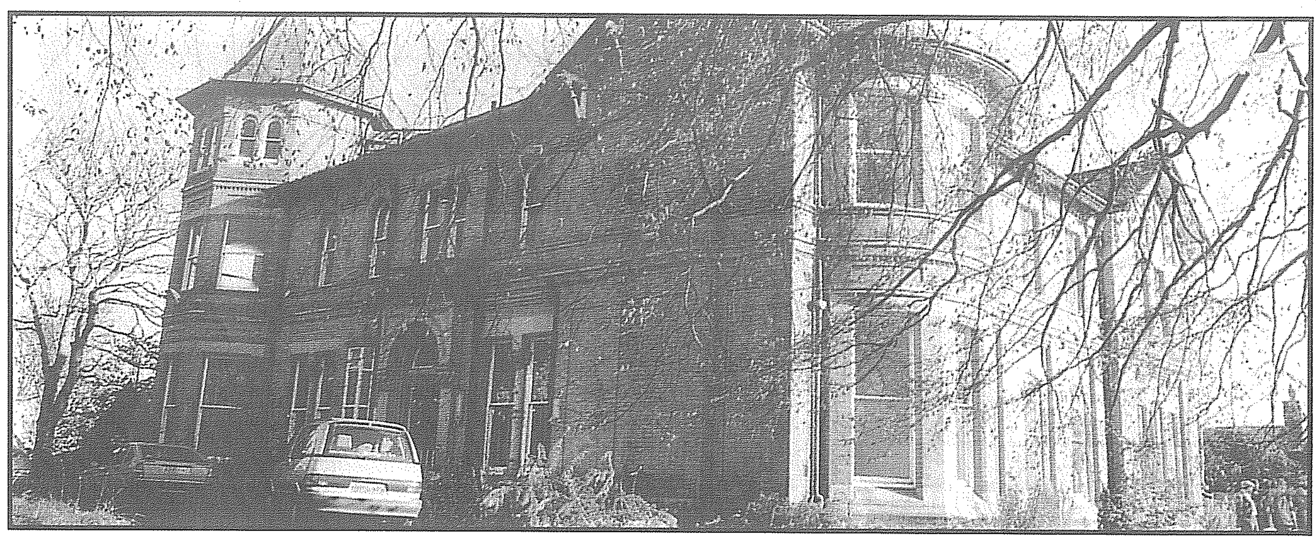
ويهدف مشروع المدارس هذا تهيئة الجو الإسلامي الذي يساعد على تكوين وبناء الشخصية الإسلامية للطالبات والطلاب. ورفع المستوى التعليمي إلى مستوى يضاهي أفضل المدارس البريطانية إن شاء الله. وخدمة الجالية الإسلامية ومحاولة تقريب الصلة بينها من خلال النشاطات الاجتماعية والإسلامية للمدرسة.

وتتبع المدارس نفس المنهج الدراسي المقرر من قبل وزارة المعارف البريطانية مع بعض التعديل حسب ما تقتضيه الحاجة بحيث تخدم الأهداف التي من أجلها قام هذا المشروع التربوي الطموح.. وأبرز مواد التدريس بالإضافة إلى المواد التقليدية: التصميم والتقنية، والثقافة الإسلامية، والقرآن الكريم، ونظرا لتنوع ثقافات الجالية فقد شمل البرنامج التعليمي بالإضافة إلى اللغة الإنكليزية: العربية، والأوردو، والفرنسية.

ويهدف المنهج بالنسبة للطالبات التهيئة لدخول امتحان الدراسة الثانوية المعروف باسم (G.C.S.E)، وتحرص المدارس على النشاطات الاجتماعية المختلفة كزيارة المساجد والمتاحف وكذلك تنظيم مخيمات خاصة للطالبات. كما تشجع المدرسة الطالبات على ممارسة الخطابة والمناظرة وتجويد القرآن وقراءة الشعر الإسلامي.

افتتاح المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية

هذا وقد تم يوم ٢٧ أغسطس (آب) الماضي افتتاح المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية حيث أقام مجلس أمناء المدارس الإسلامية في مانشستر حفلا كبيرا حضرته وفود إسلامية من داخل وخارج بريطانيا، تقدّمهم الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال أحكام الشريعة الإسلامية بالكويت، والدكتور صالح



المبنى الجديد للمدرسة الابتدائية الإسلامية

بن غانم السدلان المدرس بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض، والدكتور حمد بن عبد العزيز الخيري القاضي بالمحكمة العليا بالمدينة المنورة، وعدد من وجوه الجالية الإسلامية في بريطانيا..

أهمية التعليم في ديار الغرب

وصرّح الدكتور سعود الغديان (رئيس أمناء المدارس الإسلامية في مانشستر) صرح على هامش حفل الافتتاح قائلا:

(يجب أن يتنبه أبناء المجتمعات الإسلامية إلي أهمية التعليم والتربية الإسلامية في ديار الغرب حيث تخرج الأجيال المسلمة إلى المجتمع المتحلل من كل القيم فلا تجد من يوجهها وحيث يضطر الأهالي المسلمون إلى إرسال ابنائهم إلى مدارس بريطانية تدمر لغتهم وتقتل عقيدتهم وتنحرف بهم عن جادة الطريق الذي أراده لهم دينهم الإسلامي القديم وذلك لعدم وجود البديل التربوي ولهذا قام المركز الثقافي الإسلامي في لندن بالمبادرة في إقامة مشروع المدارس الإسلامية في مانشستر).

ومن الجدير بالذكر أن هذه المدارس تعاني من امتناع الحكومة البريطانية من دعمها ماديا كما تفعل مع غيرها من المدارس النصرانية اليهودية ويؤثر هذا على ارتفاع أقساطها مقارنة بسواها من المدارس، مع انها لا تهدف إلى تحقيق أي أرباح مالية، فهدفها الأساسي هو حفظ الجيل المسلم والعناية به ثقافيا وتربويا ونفسيا ودينيا.



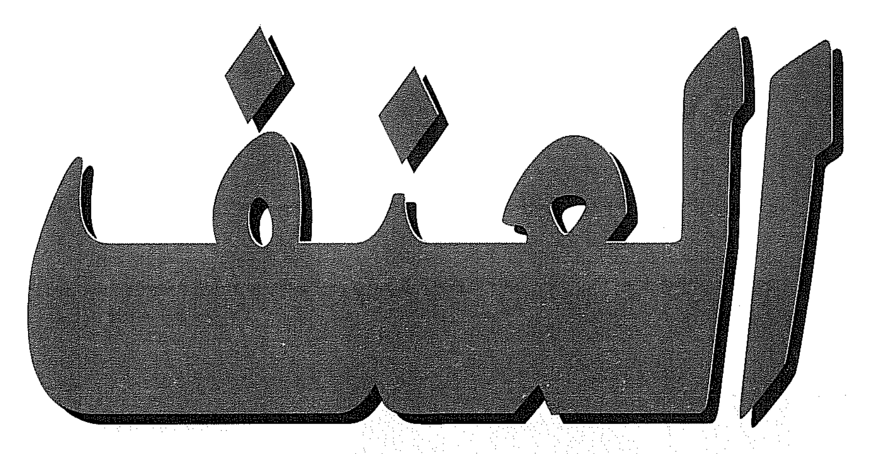
د. خالد المذكور يفتتح المدرسة الابتدائية الجديدة

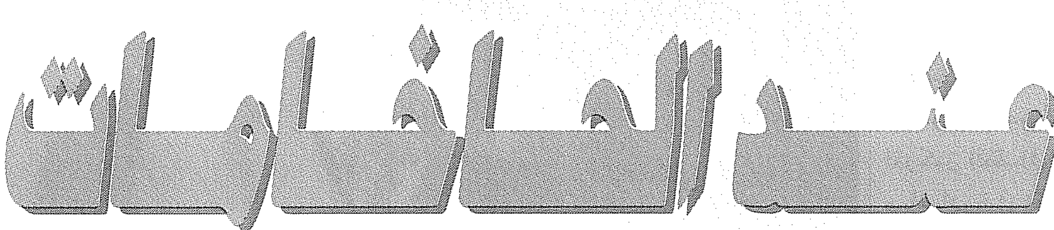
شخصية رجل الدين التوراتي - التلمودي تقوم على الحقد والكبت والأمراض النفسية

بقلم: حسني عبـد الحافـظ



استخدام العنف في الطقوس اليهودية





بكل المقاييس .. فإن ما حدث في حرم «أبو الأنبياء وخليل الرحمن عليه السلام»، جريمة بشعة لا يمكن أن تغتفر، ووصمة عار على جبين (الإنسانية) قاطبة.. فكيف يقوم شخص يقال عنه أنه يحمل شهادة الطب، على حد ما صرحت به وكالات الأنباء صبيحة المجزرة، باقتحام المدينة الآمنة، حاملا سلاحه القذر.. في ساعة مباركة، تجمع فيها الناس ليقفوا بين يدي الله.. ويوم طيب جعله الله عيدا أسبوعيا للمسلمين.. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر.. ثم .. يطلق النار على مئات المصلين، وهم ساجدون.. فيتساقطون.. وقد جرت دماؤهم أنهارا في أركان المسجد.. ثم .. يفر هذا الشيطان الانسي، أو بالأحرى الانسي الشيطان.. ثم .. لا شيء.. اجتماعات.. احتجاجات.. إدانات.. آذان من طين وأخرى من عجين.. وعفاء على القيم والأخلاق الإنسانية.. وكان الله في عون المستضعفين في الأرض.

وإذا سألت عن أي (تهمة) اقترفها هؤلاء الذين (ذبحوا) على طريقة (ذبح الماشية) في الغرب..!! فلن تجد جوابا سوى: لأنهم مسلمون، يوحدون الله ولا يشركوا به أحدا.. فما أعظمها من (تهمة).. وحسبي الله ونعم الوكيل، فهو وحده القادر على نصرة المظلوم وقهر الظالم.. هو وحده الذي يمهل ولا يهمل.

بتلك الكلمة الأولية التي كان لا مناص منها.. نفتتح هذه الدراسة التي تتركز على ظاهرة القسوة والعنف عند الحاخامات.. فالذي نفذ هذه العملية الحقيرة هو واحد من أتباعهم الذين يطبقون تعاليمهم بكل حذافيرها.. فتعالوا بنا لنعرف كيف يفكر حاخامات إسرائيل في ظل الاستراتيجية الصهيونية.

صفات متأصلة

إن شخصية رجل الدين اليهودي.. شخصية معقدة ومتناقضة الصفات، ومن أوضح صفاتها المتأصلة:

* الأنانية.. فهي تطالب بالقضاء على أي شيء في سبيل تحقيق أحلامها وأطماعها.

* الشعور بالدونية والوضاعة.. نتيجة عقد نفسية متوارثة.

* التشكك في كل شيء.

* اللا مبالاة.. والانعزالية، ويعترف الحاخام «أفراييم تسميل» بهذه الصفة، ويرى أن سبب العزلة التي يعيشها اليهود، إنما هو تحقيق للعنة بلعام في سفر العدد (إصحاح ٢٣ – فقرة ٩): «ألا إن هذا الشعب سيعيش وحيدا، ولن يحسب ضمن الشعوب».

ومن الصفات المتأصلة في الحاخامات أيضا.. الإحساس بالفشل الدائم.. والكآبة.. والإفراط في التشاؤم.. والحساسية الزائدة للنقد.. والبرود العاطفي.. وهي شخصية تشعر دوما بالحاجة إلى المديح والإطراء.

منابع القسوة والعنف

وتأتي صفة (القسوة والعنف) في طليعة هذه الصفات المتأصلة.. وهذه الصفة مرجعها الرئيسي، هو كتبهم المحرفة وعقائدهم الباطلة.

والملهم الأول للتقاليد العسكرية، والمنظم لقوانين القسوة والعنف في نظرهم، إنما هو يشوع بن نون.. ويرى الحاخامات أن ما يمارس الآن من قبل الجيش والكتل والمنظمات الدينية، هو واجب ديني بالدرجة الأولى.. ومن يطالع رواية العهد القديم يرى أن يشوع هو القائد العسكري (الفذ) الذي نفذ عملية غزو أرض كنعان، والبطل (المثالي) الذي حقق عشرات المعجزات بوحشيته وأساليبه القاسية في التعامل مع غير اليهود.. فقد احتل المدن الفلسطينية، ولم يكن احتلاله لها عن طريق حروب ومواجهات شريفة.. حيث دخلها وأباد سكانها من بشر وماشية.. !! فانظر كيف تصور التوراة تعامله مع سكان احدى المدن التي احتلها «اقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف».

لقد كان يشوع أول من نفذ وصية حمل (تابوت العهد).. ومازال الجيش الإسرائيلي متبعا لها، في جميع وحداته وفصائله، حيث يقوم نفر من الجند بحمل تابوت بداخله كتاب العهد القديم، وقد نقش عليه (انهض بالله ودع أعداءك يتشتتوا واجعل الذين يكرهونك يهربون أمامك».

وتوصي التوراة، المزيفة طبعا، بنت صهيون بوصايا تدل على مدى الحقد والكراهية والعنف للغير .. فانظروا إلى هذه الوصية:«قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديدا، وأظلافك أجعلها نحاسا، فتسحقين شعوبا كثيرة، غنيمتهم للرب، وثروتهم لسيد كل الأرض».

ونظرا لضيق المجال هنا.. فإننا نحيل قارئنا العزيز إلى الاصحاحات الآتية، لكي يرى بنفسه.. كيف تدعو كتب اليهود التي وضعها حاخاماتهم بأيديهم وقالوا هي من عند الله وماهي من عند الله، للتعامل بقسوة وعنف مع سكان وحيوانات القرى والمدن التي يدخلونها ويستولون عليها:

* الإصحاح العشرون.
* الاصحاح الحادي والعشرون (من ١٠ – ١٤).
* الاصحاح الثالث والعشرون (من ١٠ – ١٦).
* الاصحاح الرابع والعشرون (الفقرة الخامسة).

انهم يدرسون العنف الحاخامي

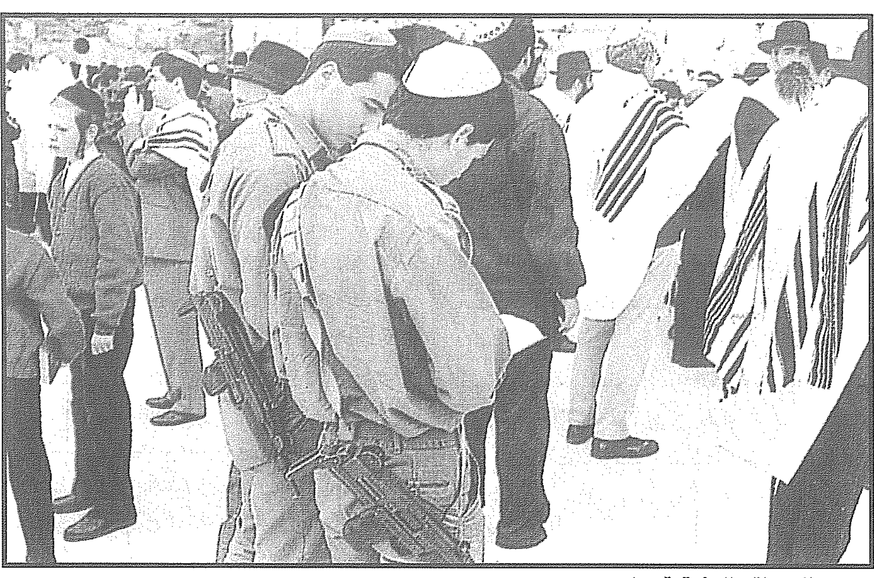
والعنف والقسوة والوحشية على الطريقة الحاخامية أمور مباحة ومصرح بتدريسها رسميا في جميع المراحل الدراسية باسرائيل.. ويقول د. رشا الشامي: «إن النصوص التوراتية هي التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية التي تدرس في المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر».

وفي عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٢٩م نشرت صحيفة جروسالم بوست اليهودية خبرا مفاده : أن «ثلاثة آلاف من الطلبة الثانويين في إسرائيل قد انضموا إلى حلقات خاصة لدراسة تاريخ حرب ١٩٤٨ تحت اشراف قسم التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم، ويلتقي هؤلاء الطلاب في هذه الحلقات بعد ساعات الدراسة العادية، حيث ينقسمون إلى مجموعات حسب مناطق السكن، ويقوم القادة العسكريون السابقون للمناطق، كل حسب منطقته،



● مزيد من المهاجرين ومزيد من طرد الفلسطينيين

العنف عند الحاخامات



التوراة والبندقية يدا بيد

بشرح تفاصيل المعارك التي دارت في المناطق»، ولا يخفى على أحد أن هذه (الحرب الفاسدة) التي تدرّس بتفاصيلها على الطلبة في إسرائيل، ما قامت إلا بتحريض من الحاخامات، وأن الدماء العربية التي اريقت خلالها كان نصيب النساء والأطفال أكثر بكثير من نصيب الشباب، فما يسمونه بـ (حرب التحرير)!! لم يكن سوى مذابح وحشية ارتكبت بحق شعب أعزل حرمه العالم من الدفاع عن نفسه.

وفي دراسة ميدانية أكاديمية قام بها الباحث السيكولوجي جورج تامارين، من جامعة تل أبيب، وشارك فيها ١٠٦٦ طالبا من الصفوف ما بين الرابع والثامن (أي أعمارهم تتراوح مابين ٩ - ١٤ سنة)، وكانت حول ردود الفعل المتعلقة بتعاليم يشوع بن نون، وما ارتكبه من مجازر في المدن الفلسطينية التي استولي عليها، وما يرتكب من فظائع في حق العرب الآن.. تبين أن ٦٠٪ أكدوا أن تعاليم يشوع هي النبراس لهم!! وأن ما فعله كان منطقيا جدا.. !! وطالبوا بالفناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في (دولتهم)! في حالة إذا ما نشب صراع مسلح مع العرب، أو طردهم وتشتيتهم إذا مالم ينشب مثل هذا الصراع.. أي عقلية تلك .. وأي تفكير هذا؟! إن وزارة التعليم في إسرائيل تدرّس العنف والقسوة حتى منذ مراحل التعليم الأساسي، وهي تعلق على جدران الفصول الدراسية خرائط تبين الحدود (الحقيقية) لدولة إسرائيل..!!.

الحاخامية والنازية

إن كافة رجال الدين اليهودي، سواء أرثوذكس أو محافظون أو اصلاحيون، منقسمون على أنفسهم، بشأن تفسير المسار التاريخي المعاصر وكذا الأحداثيات المتوقعة مستقبلا، وإن كان أنقسامهم هذا لا يمنعهم من الاتفاق بشدة على ممارسة الكراهية والقسوة والعنف ضد غير اليهود.. ويقول «وليم ذوكرمان»، في بحث مطول نشر في نيويورك، بعنوان (حول الكراهية في الحياة اليهودية): «انهم الحاخامات الذين يقودون الاستعراض المخزي من عدم التسامح والتعصب والكراهية، انهم يستعملون لغة الحقد».

ومما لا شك فيه أن ماعرف باسم (عقدة النازي) كان له تأثير كبير في ظهور حركات صهيونية أكثر وحشية ودموية من النازية الهتلرية.. ومنها حركة كاخ التي أسسها الحاخام الارهابي كاهانا، وشعار هذه الحركة عبارة عن (قبضة مرفوعة في الهواء تعبيرا عن القوة والقسوة).. وهو شعار يشبه إلى حد كبير شعار النازية في ألمانيا الهتلرية.. وثمة أسس وقواعد نازية الأصل اقتبسها كاهانا وغيره من حاخامات إسرائيل.. فالحاخامات يطالبون بالآتي:

* إقامة مصايف خاصة لليهود، وأن يعاقب بالسجن مدة ستة أشهر كل من تواجد في نطاقها من غير اليهود.
* انه لا يحق لغير اليهودي أن يتولى منصبا كبيرا في دولة إسرائيل.
* انه يجب على غير اليهودي دفع ضرائب والخضوع للعبودية، وإلا سيكون مصيره الطرد بالقوة.
* انه ليس من حق أي شخص غير يهودي السكن ضمن حدود القدس.
* انه يجب تهويد جميع المؤسسات التعليمية في أرض إسرائيل.

إن حركة كاخ الصهيونية، التي هي أسوء من النازية، والتي نفذ أحد أفرادها مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، إنما هي صوت معبر عن الفكر الإسرائيلي الأصيل والرسمي.. فإذا كان قادة إسرائيل يخفون حقيقة مشاعرهم من مبادىء وأهداف هذه الحركة وراء ستار من دخان السياسة الكاذبة والدبلوماسية المزيفة، فإن زعماء هذه الحركة يعملون في العلن.. وكان الكاتب

النازية والصهيونية، وجهان لعملة التمييز العنصري

الإسرائيلي الليبرالي «يوري افنيري» قد كشف عن نوايا هؤلاء القادة من خلال تصرفاتهم، فقال بلفظه: «إنني أعرف أن الكهانية لا تتكلم باسمها فحسب، وإنما باسم أولئك الذين يجلسون على قمة أحزاب العمل والليكود وهتحياه والمفدال، أولئك الذين يؤيديون ويدعمون كهانا في جميع تصرفاته وتصريحاته، فلقد بحثوا عن شخص يقوم عنهم بهذه الأعمال القذرة، فوجدوا ذلك في شخص كهانا».

السلام .. من الكبائر!!

يقول الحاخام مائير كاهانا: «لن يكون هناك سلام أبدا بين اليهود والعرب.. وان العنصري هو اليهودي الذي ينادي بأن للعرب نفس الحقوق المتساوية مع اليهود في دولتهم.. وان الديمقراطية والصهيونية تقفان على طرفي نقيض، وأنا أقول بوضوح إنني أقف إلى جانب الصهيونية، وانني أريد دولة يهودية وليس برتغالا ناطقة بالعبرية»، ويضيف «إن أرض إسرائيل الحقيقية تمتد من الفرات إلى النيل، وسنحررها بالتأكيد، وان الإسرائيليين ليسوا محتلين لأرض فلسطين، فلمدة أربعة آلاف سنة كانت هذه الأرض يهودية».إن السلام مع العرب، من وجهة النظر الحاخامية يعد كبيرة من الكبائر، فهم «يصرون على أن أرض إسرائيل بجميع حدودها المنصوص عليها يستند إلى الاعتقاد بأن إله إسرائيل قطع على نفسه عهدا بإعطائها كلها لأبناء إسرائيل، وهذا الصك الإلهي الذي يثبت الملكية يقطع الطريق على أية مطالب أخرى تجاه احدى الضفتين الشرقية والغربية من جانب غير اليهود».

ويرى أنصار كتلة غوش ايمونيم، ومعناها (كتلة الإيمان)، ان خير وسيلة لقهر العرب وإذلالهم هو زرع (الشوك) في ظهورهم، بإقامة المزيد من المستوطنات، فهي وحدها القادرة على عدم اقتراف رذيلة (السلام) مع العرب..!! ولهذا فقد استولى حاخامات هذه الكتلة على أرض يمتلكها عرب الخليل وبني نعيم وحلحول، وأقاموا عليها أولى مستوطناتهم الكبرى (كريات أربع) التي انشئت في أبريل (نيسان) ١٩٦٨م، وحظيت بالدعم الكبير من قبل الحكومة الإسرائيلية، وهذه المستوطنة التي يسكنها أشد المتطرفين تطرفا، تعد بمثابة قلعة حصينة، أو بالأحرى دويلة، فهي ذات حكم شبه ذاتي وأراضيها محاطة بالأسوار العالية، وعليها أبراج المراقبة، ولها قواتها الخاصة، ويحكمها حاخام.. وبعد (كريات أربع) انتشرت

■ ما شهده الحرم الإبراهيمي في الخليل غيض من فيض الحقد التلمودي المكبوت

الأشواك (المستوطنات) في الضفة والقطاع والجولان السورية.. ولا يخفى على أحد أن هذه المستوطنات تشكل خطورة كبيرة على أمن وحياة المدنيين العرب العزل.

ويرى حاخامات إسرائيل أن العمل السياسي ضرورة ملحة «لابد منها لدفع عملية الخلاص التي لا يمكن الحكم عليها بغير هذا المقياس، ومن بين الأنشطة المشروعة بموجب هذا الموقف، إذكاء الشعور العدواني ضد الفلسطينيين».

ويؤكد الحاخام هس، الملحق بجامعة باراليان، أن الصراع بين اليهود والعرب، ليس مجرد صراع دولي عادي، ولكن حرب مقدسة، والواجب على اليهود أن يبيدوا العرب «تماما كما أمر الله يشوع أن يبيد أعداءه من العمالقة Amalekites في أيام الكتاب المقدس».

لا تترددوا في إطلاق النار

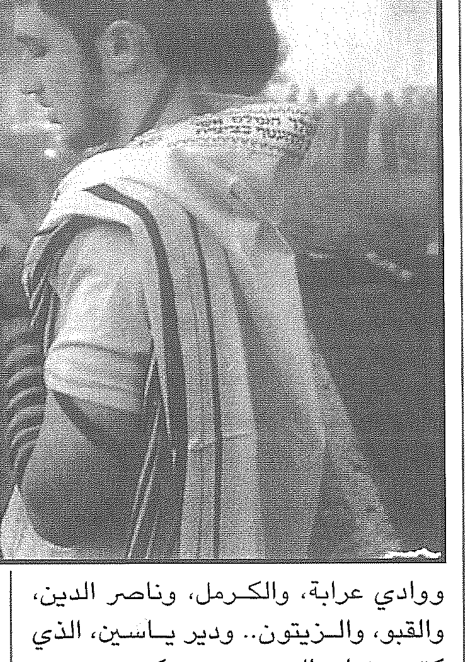
وفي محاضرة، أو بالأحرى (محرضة)، ألقاها أحد الحاخامات في جامعة تل أبيب، قال بلفظه: «أنه يجب طرد العرب من إسرائيل..»، ولما استنكر نفر من الطلاب العرب كانوا متواجدين، صرخ فيهم الحاخام «مازالت حتى الآن هذه دولتنا وليست دولتكم، وباللين أو بالقوة سوف نطردكم من هنا»!!

والخوف الحاخامي دائما هو الدافع لمزيد من القسوة والعنف.. ولكن الخوف ممن؟!! يقول كاهانا «انهم يتكاثرون كالأرانب، وبمعدل نموهم هذا سيسيطرون على الكنيست في غضون ربع قرن»، ويرى حاخام آخر «أن العرب يشكلون قنبلة موقوتة في إسرائيل، ويجب طردهم إلى الدول العربية أو إلى الغرب».

والسكان العرب في الضفة والقطاع مستهدفون من قبل الأنظمة الحاخامية التي تلاقي تشجيعا كبيرا، القليل منه في العلن والكثير في السر والخفاء، فهذا موشيه أرنز، يخاطب أعضاء كتلة غوش إيمونيم، بعد توليه منصب وزير الحرب، فيقول بلفظه: «لا تترددوا في إطلاق النار على الفلسطينيين إذا تعرضتم للخطر»، ويطالب الحاخام ليفنغر الجيش الإسرائيلي بتصعيد حملاته العدوانية واستخدام كافة مبتكراته الإرهابية ضد المواطنين العرب العزل في الضفة والقطاع، واقترح أن تطول فترة الاعتقال الكيفي، وأن تفرض مزيد من الغرامات لأتفه الأسباب.. وليفنغر هذا من أشد الخائفين من (القنبلة السكانية) لذا فهو يطالب اليهود بأن يكونوا كالأرانب، وقد طبق ذلك على نفسه حيث إن لديه من الأولاد الذكور أحد عشر..!! ومن أقواله الدالة على القسوة والعنف في مدينة الخليل بالذات «إن كل من يرفض الانصياع للسيادة الإسرائيلية ويحرض ضد اليهود ويعارض عودتهم إلى مدينة الخليل، لا مكان له على أرض إسرائيل، وهناك عدة دول عربية حولنا»!!

ويقدم كاهانا اقتراحا (وجيها)!! بأن

العنف عند الحاخامات



وتستمر المحاولات الدنيئة .. وبعد كل محاولة .. نشجب.. وندين.. «وأذن من طين وأخرى من عجين».. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بالله عليكم انقذوا هذا المسجد الأسير.. انقذوا مقدساتكم التي تدنس كل يوم.. انظروا ماذا يقول عنا وعن مقدساتنا أحد حاخامات اليهود: «إن العرب مجرد حشرات يجب قتلها وإطعامها للوحوش، وإن إزالة المسجد الأقصى وقبة الصخرة واجب يقتضيه الدين اليهودي، وأن المعركة دينية ولكل شعب إله يحميه(!!) وإذا استطاع الله(!!) أن يحمي مساجده فليفعل في مواجهة التصميم اليهودي على إعادة بناء هيكل سليمان محل المساجد الإسلامية»!!

مجازر على الطريقة الحاخامية

ومن الحقائق الثابتة، التي تؤكدها شواهد التاريخ .. ان كل ما ارتكبه اليهود من مجازر وحشية إنما هو بتحريض من حاخاماتهم الذين أباحوا الحرمات ودنسوا المقدسات.. ومجازرهم البشعة من الصعب حصرها في مثل هذه العجالة.. ولكن لا بأس أن يكون ختامنا بالإشارة إلى بعضها..

في قرية الدوايمة، الواقعة في قضاء الخليل، نفذت عصابة صهيونية يتزعمها موشيه ديان، مجزرة بشعة، فقد ذبحت النساء والأطفال.. وليس بمستغرب أن يقوم (مهندس) المجزرة بحفر خندق كبير ودفن الجثث.. وتظل المجزرة في طي الكتمان عدة شهور.

ومن الدوايمة إلى غيرها.. وغيرها.. ويكفي القول بأنهم في شهرين فقط، من عام ١٩٤٨، نفذوا مذابح في أكثر من عشرين قرية، أكثرها وحشية ما كان في : بيت دارس، وسعسع، وبيت الخوري، ووادي عرابة، والكرمل، وناصر الدين، والقبو، والزيتون.. ودير ياسين، الذي كتب عنها جاك دي رينيه، كبير مندوبي الصليب الأحمر الدولي، بعد مشاهداته لبعض فصول مأساتها: «لقد ذبح ثلاثمائة شخص دون أي مبرر عسكري أو استفزاز من أي نوع كان، وكانوا رجالا متقدمين في السن ونساء وأطفالا ورضعا اغتيلوا بوحشية بالقنابل اليدوية وبأيدي قوات أرجون اليهودية تحت الإشراف والتوجيه الكاملين لرؤسائها».

وتتوالى المذابح المنظمة.. فمن دير ياسين.. إلى قيبية ثم قلقيلية.. ويمضي قطار الدم الصهيوني البشع ليصل إلى كفر قاسم التي طحنت فيها اللحوم والعظام لشيوخ وأطفال ونساء، ليس لهم أي ذنب.. ومن كفر قاسم إلى صبرا وشاتيلا، حيث المجزرة التي اقشعرت لها الأبدان، ولنترك لورين جنكيز مراسل صحيفة (واشنطن بوست) ليحدثنا عن بعض مشاهداته: «لقد شاهدت جثتين لامرأتين مكومتين وسط الأنقاض، لقد برز قرب الجثتين رأس طفل غشى الموت عينيه الصغيرتين، وقرب جثة هذا الطفل برزت جثة طفل آخر لايزيد عمره عن سنة واحدة وقد قطع رأسه بسكين حادة، ولف جسده بالأقماط الكتانية.. وعند مدخل مخيم صبرا الجنوبي، شاهدت حفرة قطرها عشرة أمتار، وقد تحولت إلى مقبرة جماعية..».

ومن طريف ما يذكر أن الصهاينة بعد الضغوط الدولية والاستنكارات والشجب تعطفوا وأرادوا أن (يرضوا) العالم (المتحضر)، فأمروا بتشكيل لجنة تحقيق أسموها (لجنة كاهان)، واسمها هذا يخبرنا مسبقا بما ستقدمه من نتائج..!! لقد كان أهم ما أنجزته اللجنة التوصية بإصلاح شبكات الاتصال بين القيادات العسكرية والسياسية، بعد أن استمعوا إلى مهندس المذبحة (شارون) الذي قال لهم: لما علمت بالأمر في اليوم التالي لحدوثه(!!) حاولت الاتصال برئيس الوزراء، فلم أعثر عليه، وقد تبين لي فيما بعد أنه كان يصلي..(!!).

وتتوالى المآسي والمجازر.. ليصل قطار الدم الصهيوني إلى الحرم الإبراهيمي الشريف.. ويحصد عشرات الرؤوس، ويصيب المئات، وهم ساجدون بين يدي الله ويظل نداؤنا قائما.. يا مسلمو العالم أفيقوا من غفلتكم.. فماذا تنتظرون بعد؟! ألا هل بلغت اللهم فاشهد ■

خطوة فذة على طريق أسلمة العلوم الحديثة

المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله

تأليف : د. نواف بن صالح الحليسي

عرض : أ.د. مصطفى رجب

لقد تناول علماء الإسلام الأجلاء كثيرا من القصص القرآني، وبخاصة قصة يوسف عليه السلام من زوايا متعددة، ربما كان أهمها الجوانب الدينية والأخلاقية، وهذا ما يظهر جليا في كتابات علماء الإسلام والتفاسير المختلفة، وربما كانت قصة يوسف - عليه السلام - من أكثر القصص تناولا من جانب العلماء، وذلك لما تنطوي عليه من دلالات خاصة تتعلق بالجوانب الفنية لعمليات السرد القصصي، أو تتعلق بالأيديولوجيات الذهنية المختلفة في إطار الصراع الجنسي بين يوسف وامرأة العزيز، ولكونها منهجا قرآنيا يوضح المعالم الرئيسية لعلاقة الرجل بالمرأة من ناحية، ومن ناحية أخرى لكونها نموذجا جيدا للترتيب الإلهي الذي يخاطب العقل والعاطفة معا.

وجاء هذا الكتاب الذي نحن بصدده الآن، ويقع في حوالي ٥٣٤ صفحة من القطع المتوسط ليلقي الضوء على جانب هام في قصة يوسف - عليه السلام -، وهو الجانب الاقتصادي للدولة من خلال التخطيط اليوسفي إن جاز التعبير، ومن خلال تحليل متعمق استطاع هذا الكتاب أن يحدد المفاهيم الأساسية والسمات الرئيسية في الاقتصاد الإسلامي، وعمليات التخطيط المختلفة، والعمليات الإدارية التي تتبع التخطيط الاقتصادي، هذا بالإضافة إلى الحماية الأمنية والاقتصادية للدولة.

١ - يحتوي هذا الكتاب على سبعة مباحث رئيسية، يتناول المبحث الأول فيها دراسة هامة وعميقة لعلم التاريخ الاقتصادي من خلال منهج قصص القرآن الكريم وأبعاد علوم التخطيط المختلفة، وقد ربط المؤلف بين الوصف الإلهي لقصة يوسف بأنها أحسن القصص، وبين حكمة يوسف عليه السلام في دلالات التخطيط، وتطبيق المفاهيم الاقتصادية.

٢ - والمبحث الثاني تناول فيه المؤلف شرحا مفصلا لعلم التخطيط الفردي وأهدافه الاقتصادية، وخطورة التخطيط الفردي العلمية، ثم في لفتة ذكية أشار المؤلف إلى المحظورات والسمات الأخلاقية في التخطيط الفردي، واتبع ذلك بتحليل عميق لتخطيط الفرد في القرآن الكريم.

٣ - وأما المبحث الثالث، فقد اقتصر على ماهية التعليم الإلهي ليوسف عليه السلام عُلِّمَ تأويل الأحاديث، وعلم أنباء الغيب، واعتبر المؤلف أن هذه العلوم هي المدخل الحقيقي أو القناة الشرعية التي تمر فيها الرسالة السماوية وهي الخلفية النظرية للتخطيط الاقتصادي، فقد كان يوسف هو المسؤول الأول عن مصر من الناحية الاقتصادية، ولذلك اتخذ خطوات عملية نحو تشييد المستودعات والاستعداد من كل ناحية لسنين القحط القادمة، لإنقاذ شعب مصر.

٤ - أما المبحث الرابع، فقد أبرز فيه المؤلف الأبعاد الجوهرية لعلم التخطيط للدولة، والذي يعتبر من أهم العلوم الاقتصادية التي أكدتها قصة يوسف عليه السلام ومنهجه - على حد تعبير المؤلف

– والذي وضع على ضوء تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا ملك مصر، وقد اشتمل هذا التخطيط الخطة العامة للدولة في مدى زمني قدره أربعة عشر عاما، والخطة السبعية الأولى لمواجهة القحط، والخطة السبعية الثانية لإنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة والخطة السنوية العامة للدولة، كما تضمن هذا المبحث السمات التخطيطية في الإسلام للحياة الاقتصادية العلمية، وعلوم التخطيط والمسؤولية المتنوعة، ثم تناول المؤلف منهج تحليل علوم الدولة من القرآن الكريم.

٥ – والمبحث الخامس يبرز منهج يوسف عليه السلام في التخطيط الحكومي والإداري الذي تضمن خطة الدولة المستقبلية بعيدة المدى، وذلك يبدو واضحا في قوله تعالى: ﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ [يوسف/٤٧]. ثم يبرز الخطة السبعية الأولى والخطة السبعية الثانية، وخطة الدولة الثانية. وجاء ذلك التحليل مقرونا بالآيات الدالة عليه، كل آية على حدة، وأتبعها بأقوال بعض المفسرين، ثم أتبع المؤلف كل خطة بالجوانب الاقتصادية والتخطيطية لها، تمثلت هذه الجوانب في:

تعريف الخطة – معرفة المشكلة وتحديد الخطة – صفة ونوع الخطة – أهداف ومضمون الخطة – وضع الهيكل العام للخطة – تحديد احتياجات الخطة – وعي الشعوب بالتخطيط، ثم أتبع المؤلف هذه الجوانب بالأنشطة الاقتصادية للخطة المستقبلية للدول والتي تتمثل في بناء الصوامع لتخزين الغلال خلال السبع سنوات، والذي يترتب عليه تشغيل القوى البشرية وتنشيط الحركة الاقتصادية في الجهاز الإداري والتخطيطي للدولة.. هذا بالإضافة إلى السمات الإسلامية للخطة المستقبلية مثل الرزق، التوكل على الله، العمل الصالح، المسؤولية، التعاون، الصدق، الوفاء، وغير ذلك.

ولقد نجح المؤلف في أن يربط ذلك بالتحليل المستقبلي للخطة الاقتصادية الدولية في الآيات القرآنية، ثم المراحل العملية الأولى للخطة العامة للدولة ثم أشار بعد ذلك إلى نتيجة الخطة المستقبلية للدولة، والملامح الإسلامية في علوم التخطيط الاقتصادية والنتائج المترتبة على ذلك.

٦ – وقد اقتصر الحديث في المبحث السادس على السمات التخطيطية في العلاقات الإنسانية مع الشعوب والقبائل المجاورة، وذلك من خلال عمليات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي، ويظهر ذلك بين قوافل التجارة وبين الشعوب. ومن المفاهيم التي أوردها المؤلف في سياق الحديث، والمستفادة من قصة يوسف عليه السلام، علم الأسعار، وعلم الموازين والمكاييل وذلك في قوله تعالى ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون ﴾ [يوسف/٦٤]، وكذلك في قوله: ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير ﴾ [يوسف/٦٦]، وفي قوله: ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ﴾ [يوسف/٨٩].

وعلم الموازين والمكاييل من العلوم الاقتصادية العامة في تحديد العلاقة بين البائع والمشتري، وهما يحققان العدالة ويثبتان القيم الاقتصادية.

٧ – وقد شرح المؤلف في المبحث السابع والأخير التخطيط العام لحماية الدولة، والحماية الأمنية في الداخل والخارج، والحماية الاقتصادية، وكيف تم وضع التخطيط العام على أسس أمنية لحماية مستودعات القمح من الثعابين واللصوص، فوضع أنظمة محكمة لتوزيع الغلال والقمح ومراقبة الأسواق التجارية من الغش والتلاعب، ومنع بيع البضائع في السوق السوداء حتى تعم الطمأنينة وتتحقق العدالة بين كافة أفراد الشعب.

ومن أهم ما يميز هذا العمل المهم أن المؤلف استطاع أن يضع تخطيطا مركزا وهاما لمنهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام، مطبّقا ذلك على الآيات القرآنية الواردة في سورة يوسف، وقسم هذا التخطيط إلى ما يأتي:

(أ) التخطيط الفردي، ويظهر هذا التخطيط في الآيات من ٧ – ١٨ من سورة يوسف، هذه الآيات التي تشير إلى أن إخوة يوسف قد تجمعت لديهم بعض المعلومات والبيانات التي تفيد استئثار يوسف بحب أبيه، وهذا الحب الذي يلحق بهم ضررا ماديا، ومن ثم كان لابد من وضع خطة محكمة للتخلص من يوسف. وعلى ضوء ذلك يمكن:

١ – تعريف التخطيط الفردي «كمصطلح» بأنه ذلك التخطيط الذي يضع خطته فرد واحد، أو مجموعة من الأفراد، لتحقيق كسب مادي أو معنوي.

٢ – هذا التخطيط الفردي له هدف واحد مثل الحصول على مال أو مشاريع عامة أو أشياء معنوية ككسب عطف أو حب أو نفوذ أو سلطة.

٣ – المسؤولية في هذا التخطيط تقع على المشرّع أو المخطط سواء كان فردا واحدا أو مجموعة من الأفراد.

(ب) الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة والمحددة بأربعة عشر عاما وتظهر هذه الخطة في الآية ٤٦ من سورة يوسف، وقد كان الإطار المرجعي لهذه الخطة هو حجم المشكلة التي تحدثت عنها هذه الآية، ومن ثم كان مع يوسف أن يتبع مايلي:

١ – تحديد المشكلة التي تواجه البلد وهي سنوات القحط ثم عمل الدراسات اللازمة لتحديد المدة التي تحتاجها الخطة للتنفيذ والتطبيق وهي مقسمة وفق جدول زمني معين.

٢ – الخطة المستقبلية لها خواصها ومميزاتها سواء: الزراعية أو الصناعية منها والتعدينية، ونشر دين الله في الأرض، وغير ذلك، واختيار تلك المشروعات التي لها أولوية من حيث الأهمية وفق جدول زمني مستقبلي.

٣ – التخطيط المستقبلي

بتنفيذ المشاريع المختلفة لخدمة الأفراد، ورفع مستواهم الثقافي والاجتماعي، والمسؤولية التخطيطية يتحملها الجهاز التخطيطي مع بقية الأجهزة والوزارات الحكومية الأخرى.

(ج) الخطة السبعية الأولى: الآية (٤٧) وتشير إلى:

١ – القسم الأول من الخطة المستقبلية للدولة وحددت بسبع سنين وهو تخطيط للبناء والتجهيز.

٢ – وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة، وكانت خطة يوسف عليه السلام لإنقاذ دولة مصر من المجاعة خطة زراعية، وقد استلزم تنفيذ خطة الدولة الزراعية بناء المستودعات والتقسيم الإداري والمحاسبي للسنين القادمة.

٣ – تخزين الدولة للحبوب في وقت الرخاء سنويا وفقا لاحتياطها العام، وذلك من خلال تطبيق الخطة المستقبلية للمرحلة الأولى.

٤ – وضع خطة أمنية للدولة لاستتباب الأمن في فترة السنين السبع العجاف القادمة.

(د) الخطة السبعية الثانية للدولة (الآية ٤٨) وهي القسم الثاني من الخطة المستقبلية للدولة وحددت السبع سنين وهي خطة تطبيقية ميدانية حسب الجدول الزمني للخطة العامة للدولة.

٢ – بين لنا يوسف عليه السلام خطته السبعية الثانية وفق تطبيق خطة تقسيم وتوزيع الحبوب على السنين السبع الثانية العجاف للدولة وفق جدول إداري تقنيني زمني دقيق.

٣ – وضع خطة التقنين والمحاسبة لتوزيع الحبوب على السنين السبع القادمة وفق منهجه للتعاون الإنساني مع تلك الشعوب والقبائل المجاورة.

٤ – وضعت خطة أمنية لحماية الدولة من الداخل من العابثين على الحدود لحماية اقتصادها ومخزونها من القمح من النهب والسرقة.

(هـ) الخطة السنوية العامة للدولة (الآية ٤٩):

١ – بين يوسف عليه السلام منهج الخطة السنوية وهي من التخطيطات الإدارية السنوية، وتوضع في الظروف والأزمنة الطبيعية التي تسير عليها الأمور من خطة سنوية وفق واردات واحتياجات البلاد وإمكانيات الموارد العامة للدولة.

(د) وضع منهجا تخطيطيا للميزانية السنوية العامة أوضع فيه مدى احتياجات الدولة.

٢ – عمل برنامجا تخطيطيا للدولة لرفع الكفاية الإنتاجية ولتأمين سبل التعايش للشعب.

٣ – الأخذ في الاعتبار – عند التخطيط – عمل التوفيرات الإنتاجية للدولة والتخزين للاحتياطي العام في وقت الأزمات غير المنظورة أو الطبيعية للدولة وذلك حسب الإمكانات المتاحة لمصلحة الدولة.

(و) التخطيط في العلاقات الإنسانية (من آية ٥٨ – ٦٥، ٨٨، ٩٠):

١ – تضمن تخطيط يوسف عليه السلام حين خطط يوسف للسنين السبع العجاف وجود احتياطي من القمح المخزون العام، وذلك للعلاقات الإنسانية والتجارية مع الأمم والشعوب المجاورة لمصر، والتي كانت تعاني من القحط.

٢ – من أول مراحل الخطة السبعية الثانية كان يوسف عليه السلام يقايض تلك الشعوب والقبائل بالقمح مقابل سلع ومشغولات معدنية ذات قيمة أو عملات نقدية.

٣ – بين يوسف عليه السلام عن العلاقات الإنسانية ومساعدة تلك الشعوب والقبائل من السنين الأخيرة للخطة السبعية الثانية بعد أن ندرت مواردهم ومساعدتهم، وتغاضيه عن القيمة الحقيقية للمقايضة بالقمح.

(ز) التخطيط الأمني لحماية الدولة (في الآيات من ٦٧ – ٧٧):

هذه الآيات وإن قال المفسرون أنها تتحدث عن خوف يعقوب على أولاده من الحسد – على حد تعبير المؤلف – إلا أن فيها تلميحا بأن مصر كانت ذات أسوار وأبواب لدوافع أمنية، وبالتالي يمكن القول بأنه:

١ – عندما عَمّ القحط والجفاف أرض مصر والمنطقة كلها في السنين السبع العجاف ومع وجود مخزون كبير من القمح الذي يعتبر أهم وسائل الحياة في المرحلة القادمة.

٢ – فإنه من الطبيعي وضع خطة أمنية لحماية البلاد من الطامعين في السرقة، وإن حدث خلل في الأمن في تلك الفترة التاريخية فإن شعب مصر ستقع عليه الكارثة، ولكن نجحت خطة يوسف عليه السلام.

٣ – ولهذا فقد وضعت خطة أمنية لحماية دولة مصر من اللصوص والعابثين من ضعاف النفوس حتى لا تتعرض مستودعات القمح للنهب أو السلب أو السرقة في تلك السنوات السبع العجاف.

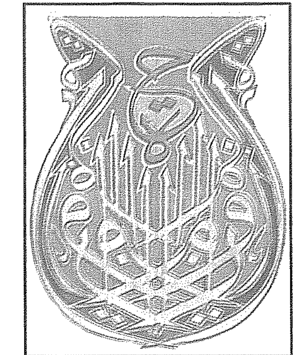
٤ – وضعت خطة سبعية أمنية عسكرية مشددة للحماية الأمنية على الحدود وعلى مداخل وموانئ أرض مصر للقادمين إليها من قوافل تجارية وغير ذلك.

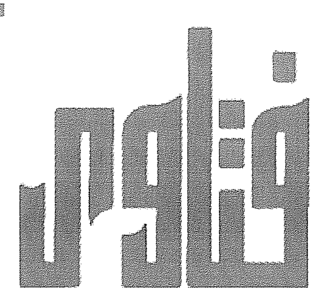
٥ – أما عن الحماية الأمنية بالداخل فقد وضعت خطة للحماية من السرقة والنهب بتشديد المراقبة على الإداريين، وكذلك مستودعات القمح والأسواق بالداخل.

٦ – أما عن الحماية الاقتصادية في الداخل فقد شددت المراقبة في الأسواق ومستودعات القمح خوفا من الفساد أو التلاعب أو الغش في الأسواق.

وأخيرا أورد المؤلف تصوراته الخاصة حول إمكانية تدريس علوم التخطيط في جامعات المسلمين وفق الاستنتجات الاقتصادية من قصة يوسف عليه السلام وكذلك استخدامه هذا المنهج في إدارة منشآت الدولة الاقتصادية والإدارية والكليات العسكرية، ومن أهم التوصيات التي ذيل بها المؤلف كتابه إنشاء مركز أكاديمي للبحث العلمي يكون نواه لإنشاء أكاديمية تحمل اسم (أكاديمية النبي يوسف عليه السلام للتخطيط والإدارة) في مصر، وبالتحديد في المنطقة التي عاش فيها النبي يوسف، وهي بجوار مدينة الزقازيق.

وبعد .. فهذا الكتاب يعد إضافة جديدة إلى المكتبة العربية بشكل عام، والمكتبة الإسلامية بشكل خاص، لما فيه من نفع عظيم وفوائد جمة للإسلام والاقتصاد الإسلامي ■





منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقى الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ .. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □

نذر أن يكسو الكعبة

● رجل يقول اني نذرت ان قضى لي اللـه كذا وكـذا، وحقق ذلك فنـذر على أن أكسو الكعبـة. وراتبه لا يـزيد عن ٢٠٠ دينـار كـويتي، وهـو لا يعـرف قيمـة مصـاريف كسـوة الكعبـة، فإن كـان لا يستطيع بسبب عـدم القدرة مـاليا فماذا يفعل؟

■ إن المستفتى قد نذر مايقدر على الوفـاء به كما تعـرف حالتـه المادية من سؤاله، ولذا عليه كفارة يمين وهو إطعام عشرة مساكين من أوسط مـا يطعم أهله أو كسـوتهم، فإن كـان غير مستطيع فعليه صيام ثلاثـة أيام. واللجنة تنصح المستفتي عدم تكرار مثل هذا النذر.

صيغة اليمين

● حصل بيني وبين أبن أختي خـلاف على قضية فلوس فقلت له (أريد منك ألف دينـار)، فقال لي: مـا عندي إلا ٦٠٠ دينـار فقط)، فـوافقت على ذلك وتنازلت، ثم بعد ذلـك حلفت أنه لا بد أن يأتي بالألف كـاملة ثم تـراضينا على أن يـدفع ٦٠٠ فقط. فأرجو تـوضيح حكم حلفي هذا.

س- وسألتـه اللجنـة عن صيغـة اليمين؟ فقال: قلت لـه (والله لتجيب ألف دينـار) ثم رأيت أنه لا يستطيع السـداد فتنازلت وقبلت بـ ٦٠٠ دينار.

■ ورأت اللجنة أن على السائل كفارة

الحدود وتكفير الذنوب

● إذا أقيم الحد على مجرم هل يكفِّر ذلك ذنبـه، أم أن اللـه يعـاقبـه عليـه في الآخرة؟

■ يرى جمهور العلماء أن الحد يعتبر كفارةً للـذنب وتطهيرا للمذنـب ولا عقاب عليـه بعـد ذلك، لأنـه استوفى عقـابـه في الدنيا. روى البخـاري ومسلم عن عبادة بن الصامت في حـديث المبايعـة على عدم الـشرك والسـرقة والزنـى والقتل أن النبـي ﷺ قال: «فمن وفّى منكم فأجره على اللــه، ومن أصـاب من ذلك شيئـا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له».

وروى مسلم حديث الجُهَنِيّة التي أُقيم عليها حـد الزنى بعـد أن جاءت إلى النبي ﷺ تطلب إقامة الحد عليها؛ وكانت حبلى؛ فأمهلها النبي ﷺ حتى تضع، ثم أمهلها حتى تفطم الـوليـد، ثم أقيم عليهـا الحد، ولما فـاضت روحهـا، قـال النبي ﷺ: «تـابت توبـة لـو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم».

وروى الترمـذي والحاكم؛ وصححـه؛ الحديث: «من أصـاب ذنبا فعوقـب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثّني العقوبة على عبده في الآخرة».

يستشهـد بهذه الأحـاديث جمهـور العلماء على أن الحدود كفـارات للذنـوب، بجـانب أنها زواجـر، وإن كــان بعض التـابعين والمعتزلـة وابن حـزم يـرون (الحدود زواجر لا جـوابر) وعلى من أقيم عليـه الحد أن يتوب إلى اللـه حتى يكفّـر ذنبـه، ورأي الجمهـور في ذلك أرجح لأن أدلتهم أقوى وأوضح.

الصدقة بدل نذر الصوم

● نذرت على والدتي عندما دخلت المستشفى انه إذا خرجت من المستشفى سأصوم شهر شعبـان من كل عام وكـان ذلك وأنا صغيرة لا أدري أن كنت قـد بلغت أم لا، فهل يجوز أن أتصدق بدل الصيام، علما بأني كل السنين التي مضت صمت فيها شعبان؟

■ وبعد الاستفسار من السائلة هاتفيا رأت اللجنة أنها أن كانت شاكة في كونها بالغة عندمـا صدر منها النذر فعليهـا التحري والعمل بغالب ظنهـا فإن غلب على ظنها أنها لم تكن بالغة حينئذ فـلا يلزمها الوفاء بهذا النذر، وإلا فعليها الوفـاء به على الصورة المبينة فيما يلي:

عليهـا الالتزام بما ألـزمت به نفسهـا من النذر بأن تصـوم شعبان من كل عـام، فإن أفطرت بعض الأيام لعذر قضت ما افطرتـه في أيام أخر، ولا تجزيء الفدية إلا أن عجزت عن الصوم.

حديث النفس

● كنت حلفت في نفسي ألا أدخل بيت أخي، ولم ينطق بذلك لساني، فما حكم هذا اليمين لو دخلت بيته؟

■ إذا حلف الإنسان على شيء ما ولكنه لم يلفظ به، ولم يفعله، فإن الله لا يؤاخذه بذلك، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به».

وفي أول الإسلام كان الإنسان يؤاخذ بحديث النفس لقول الله تعالى: ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾، فصعب هذا على أصحاب رسول الله ﷺ، ثم خفف الله عنهم ذلك، ونزل قوله تعالى: ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به ﴾، ففرح بها الصحابة لما فيها من تخفيف الحكم الأول.

وعلى هذا فالسائل إذا دخل بيت أخيه لا حرج عليه ولا يلزمه كفارة، لأن يمينه لم تنعقد، كذلك من يجري الطلاق على قلبه ولم ينطق به، لا يعتبر طلاقا ولا تترتب عليه آثاره، لأن الله من رحمته بالأمة تجاوز عما تحدّث به أنفسها.

التوفية بصفة النذر المذكورة

● نذر احدهم أن يذبح بعيراً كبيراً ولكنه لو ذبحه لن يتقبل الناس لحمه، فهل يصح استبداله ببعير صغير لأن لحم الصغير أفضل من الكبير، علما بأن سعر البعير الكبير أغلى من الصغير في بعض الأحيان؟ وهل يحق لصاحب النذر أن يأكل من لحم النذر، أو يقيم عليه دعوة او وليمة؟ وبالنسبة لأفراد أسرة صاحب النذر هل يحق لهم الأكل من لحم هذا النذر؟

بعد الاستفسار هاتفيا من السائل الذي أفاد أنه نذر لله تعالى أن يذبح بعيرا (فاطرا) بدون أن يقول أنه صدقة أو على الفقراء وأفاد أن المراد بالفاطر في عرف البادية هي الناقة التي سبقت لها الولادة وعليه.

■ أجابت اللجنة بما يلي: على الناذر المذكور أن يتقيد بما قيد به نفسه في نذره بذبح ناقة تتوفر فيها الصفة المذكورة، ويحق له أن يأكل هو وأفراد أسرته من لحم هذا النذر أو يوزع بعضه على الفقراء ويصنع وليمة بالبعض الآخر ويدعو من يشاء من فقراء أو أغنياء. أما لو قال في نذره: نذرت لله تعالى صدقة.. أو نذرت للفقراء فلا يجوز له ولا لأسرته ولا للأغنياء أكل شيء من ذلك النذر.

التهديد بالطلاق

● لقد حصل أن قلت لزوجتي على أثر عصبية إذا لم تذهبي معي: (رايح أطلقك) وهي لم تذهب معي ووزارة العدل طلبت مني ورقة إثبات بأني لم أطلق من قبل.

س- وسألته اللجنة كم مرة نطقت على زوجتك بالطلاق؟ قال : هذه هي المرة الأولى.

س- وما هي ظروف هذه الطلقة؟ قال: بسبب شجار بيني وبين زوجتي قلت لها وأنا في حالة غضب (اذا لم تذهبي معي رايح أطلقك)، وهي لم تذهب معي، وذهبت إلى المحكمة فطلبوا مني ورقة إثبات بأنني لم أطلق من قبل، وأنا لم أطلقها بعد أن خالفتني بعدم الذهاب معي.

■ أجابت اللجنة بأن ما صدر من المستفتي لا يقع به شيء.

النصيحة والغيبة

● أخت مسلمة سئلت عن صديقة لها، فقالت الحق عنها، فلم تتم خِطبتها، هل هي آثمة في ذلك؟

■ لا شك في تحريم الغيبة، ولكن هناك صور مباحة للضرورة إذا كان المقصود منها مجرد النصيحة، ويجب الاقتصار النصيحة على قدر بيان الواقع في حدود المطلوب بيانه.

وليس للسائلة أن تتألم نفسيا ما دامت لم تظلم صديقتها، وما دامت لم تتحدث عنها بما ليس فيها من صفات، ولم تتخذ النصيحة وسيلة للتشهير أو الغش والتضليل، فقد روي أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ تأخذ رأيه في رجلين تقدما لخطبتها فقال لها عن أحدهما أنه «لا مال له» وقال عن الآخر: «إنه لا يضع عصاه عن عاتقه» يعني أنه كثير الضرب للنساء. بهذا نصح السائلة لتكون على بيّنة من أمرها.

مثل هذه الحالة إذا جاء من يسأل عن أمانة شخص معين ليشاركه في تجارة أو في عمل من الأعمال فعلى المسؤول أن يقول ما فيه من خير ومن شر، بقدر ما يعلمه عنه، ويباح كذلك للمظلوم أن يذكر ظالمه بما فيه من سوء، وله أن يكشف جانب الشر في الظالم للحاكم. قال تعالى: ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلِم وكان الله سميعاً عليماً ﴾.

فالنصيحة لا تعتبر غيبة ما دامت في حدود بيان الواقع وفي نطاق الضرورة، والأعمال تعتمد على النيات، ولكل امرىء ما نوى.

اللفتات النابهة ٩

ليس من الشك أن انتصار هذا الدين آية من آيات الله لا تتخلف، ولكن عندما يحين الزمان الذي قدره الله تعالى: ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ [المجادلة/٢١]. ﴿ وإن جندنا لهم الغلبون ﴾ [الصافات/١٧٣]، «والله ليتمنّ الله هذا الأمر» (١) ولهذا كان على الداعية أن لايتعسف الخطى، ويستخدم الحكمة التي لا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم، ويتأسى برسوله ﷺ وسلف هذه الأمة، ويستحضر وقوفه بين يدي الله سبحانه في ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء/٨٨ و٨٩].

نصرة الحق قضاء محتوم والخلق قدر من أقدار الله

للشيخ جاسم بن مهلهل الياسين

اقتضت حكمة الله تعالى، أن ينتصر هذا الدين بالجهد البشري، وأن يتحمل الأنبياء والدعاة المعاناة، من أجل تمكين هذا الدين في أرض الله، مع أن أمر الله سبحانه قائم بين الكاف والنون، واختراق السنن الكونية وارد، فهذه النار لم تحرق إبراهيم عليه السلام، أما نبينا محمد ﷺ، ففي حادثة الإسراء والمعراج، تعطلت السنن الكونية في مواطن متعددة، وعند النظر في الأزمنة والأمكنة، تجد أن هناك رجالا يصنعون لتحمل الأمانة، فتكون لهم مواصفات قد يجد الإنسان أنها ضرب من الخيال. ولننظر إلى شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبوالعباس، قرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود، وفصّل الأجزاء، ونظر في الرجال والعلل، وتفقه وتمهر وتميز وتقدّم وصنّف، ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجبا في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف (٢). بهذه المواصفات وأكثر من ذلك مذكور في كتب التراجم من مواصفات حُق له أن يكون مجددا، وهذا أحمد بن إبراهيم بن الحسن القنائي، اشتغل في العلم وهو ابن ثلاثين سنة، وتفقه وقرأ النحو وغيره حتى مهر، وشغل الناس ببلده، وكان يحفظ أربع مائة سطر في يوم واحد، ثم أقبل على الطاعة ولازم الطاعة إلى أن مات في سنة ٧٢٨هـ، وهؤلاء يتعرض لهم، ومن قبل الأقران في زمانهم، لالعلمهم وصدقهم ومكانتهم، بل في الغالب لحسد شخصي لهم في الغالب يرد على صاحبه، فهذا والد الشيخ جمال الدين بن الظاهري يكتب كتابا لبعض معارفه في دمشق يبين الحملة الشرسة التي تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: وكان من أعظم القائمين عليه الشيخ نصر المنجبي، لأنه كان بلغ ابن تيمية أنه يتعصب لابن العربي، فكتب إليه كتابا يعاتبه على ذلك، فما أعجبه لكونه بالغ في الحط على ابن العربي وتكفيره، فصار هو يحط على ابن تيمية، ويغري به بيبرس الجاشنكير، وكان بيبرس يفرط في محبة «نصر المنجبي» ويعظمه (٤)، وإليك القصة التي تبين أسلوب بعض الناس مع العلماء، تبين ما يجب على العالم من السماحة وسعة الصدر، في مواجهة هذا الصنف من الناس، أحمد بن عبدالدائم بن يوسف بن قاسم بن عبدالله بن عبدالخالق بن ساهل. أمره الكتاني شهاب الدين الشرمساحي أبو يوسف الشاعر، ولد سنة ٦٦٣هـ وتعانى النظم فمهر، وكان عالي النفس، وله مروءة، ولم تكن طريقته محمودة، روى عنه من شعره أبوالفتح اليعمري وأبو حيان وغيرهما منهم السبكي، وكان شاعرا مشهورا مولعا بالهجاء، حتى أنه لما دخل دمشق، قدم لقاضيها شهاب الدين الخوئي قصيدة هجو فردها إليه، وقال كأنك ذاهل، قال: بل لست بذاهل، بل صنعت ذلك عمدا لأشتهر، لأني رأيت الناس اجتمعوا على الثناء عليك، فرأيت أن أخالفهم، فإني لو مدحتك فأعطيتني لم يشعر بي أحد، فإذا هجوتك وعزرتني، يقال ما هذا؟ فيقال: هذا غريم القاضي فأشتهر (٥).

ووالله لا أعرف مم أتعجب: من منهجية أحمد بن عبدالدائم في طلب الشهرة، أم من حكمة القاضي شهاب الدين!!.

وهذه صورة أخرى، عن كيفية التحول من الحب إلى التهجم، للاختلاف في وجهات النظر، وهي إن كانت في السلف قليلة، ففي أيامنا هذه لا حصر لها وتصل إلى درجة أن الإنسان يتعجب لدرجة الضحك على طبيعة الأنفس وتقلبها، وإليكم قصة محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين أبوحيان الأندلسي ولد في أواخر شوال سنة ٦٥٤هـ، كان ظاهري المذهب، فلما قدم القاهرة، ورأى مذهب الظاهر مهجورا فيها، تمذهب للشافعي وقرأ العلم على الغرافي في المحرر وفي المنهاج، ثم درس المنهاج، فحفظه إلا يسيراً منه، ثم اختصره وقرأ شيئا من أصول الفقه على أبي جعفر بن الزبير في الإشارة للباجي، ومن المستصفى، وقرأ في أصول الدين على ابن الزبير أيضا، وقرأ شيئا في المنطق على بدر الدين محمد بن سلطان، وقرأ عليه من الإرشاد للعميدي في الخلاف، وبرع في النحو إلى أن صار لا يعرف إلا به، وكان عريا من الفلسفة، بريئا من الاعتزال والتجسيم، متمسكاً بطريقة السلف، وكان يعظم ابن تيمية، ومدحه بقصيدة، ثم انحرف عنه، وذكره في تفسيره الصغير بكل سوء، ونسبه إلى التجسيم، فقيل: إن سبب ذلك أنه بحث معه في العربية فأساء ابن تيمية على سيبويه، فساء ذلك أبا حيان وانحرف عنه، وقيل: بل وقف له على كتاب العرش، فاعتقد أنه مجسم، وأكثر من سماع الحديث، حتى بلغت عدة شيوخه أربعمائة، وأجاز له جمع جم، وقد جمعهم في كتاب البيان في شيوخ أبي حيان، فبلغوا ألفا وخمسمائة وتصانيفه تزيد على خمسين (٦).

وللأسف الشديد إنه في الغالب يكون صنف العلماء العمالقة هؤلاء، متخوفا منهم من قبل أصحاب الجاه والسلطان، لأنهم يظنون خطأ أن منهم يأتي الخطر، مع أن الحقيقة والتجربة تقول: إنهم أداة الأمن والضبط العلمي، لكل التهورات التي من الممكن أن تحدث نتيجة للتجاوزات الشرعية التي تحدث في المجتمع، ولهذا يسعى المنتفعون وأصحاب المصالح، إلى استخدام قوة السلطان في عملية الإرهاب الديني، عندما تنقطع الحجة ويضعف الدليل، ولننظر معا إلى ابن تيمية رحمه الله عندما تمت الوشاية عليه وادعى عليه، وحكم القاضي المالكي بحبسه، فأُخذ من المجلس، وحُبس في البرج، ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره، فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الجب، وعاد القاضي الشافعي إلى ولايته، ونودي بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حَلّ دمه وماله خصوصا الحنابلة، فنودي بذلك، وقرىء المرسوم وقرأها ابن الشهاب محمود في الجامع، ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي (٧).

ومع هذا الحسد وهذا التحرك ضد عمالقة العلم، يظل قدر الله نافذا في أنهم حفظة لهذا الدين، ويقوم بنصرتهم العلماء والفحول، ففي الوقت الذي كان القاضي المالكي يكيد للشيخ ابن تيمية، كان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين ابن الحريري ينتصر لابن تيمية، حتى إنه كتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها «أنه منذ ثلاثمائة سنة ما رأى الناس مثله» (٨) أما البيان الواضح لهؤلاء الكبار، فهو يوم الجنائز، قال الشيخ شهاب الدين الأذرعي: إنه حضر جنازة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإن الناس خرجوا من الجامع من كل باب، وخرجت من باب البريد، فوقعت سرموزتي فلم استطع أن استعيدها، وصرت أمشي على صدور الناس (ثم لما فرغنا ورجعت، لقيت السرموزة وذلك من بركة الشيخ رحمه الله) (٩).

من أسباب انتصار الحق رجوع العلماء للحق

العلماء هم حماة العدل والحق في الأرض، وقد جعلهم الله مع الأمراء حراسا للعدل والحق، فلزمهم

الامتثال والانصياع للحق مبتدئين مع أنفسهم، ولا يضرهم من أي أحد جاء الحق، فهذا تقي الدين السبكي يقول عنه الإمام الأسنوي في الطبقات: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاما في الأشياء الدقيقة، وأجلهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث، ولو على لسان آحاد الطلبة (١٠). هكذا كانوا رحمهم الله مع جلالة علمهم، وقافين عند الحق وأهله، وهذا علاء الدين بن العطار مع القاضي الأفرم دليل آخر في النزول على الحق والأمر به مع الصدق، قال قاضي صفد: إنه حضر دار العدل فرأى على الأفرم قباء حريريا وخاتم فضة ودواة مذهّبة فقال: إذا سألني الله عن هذا ما حجتي إذا قال لي: لِمَ لَمْ تقل له إن هذا حرام بالإجماع، وبكى فأبكى الحاضرين والأفرم، وبادر إلى نزع القباء والخاتم واستبدل بهما وبالدواة، قال: فكان آمراً بالمعروف، قائما بالحقوق، كثير الإيثار، عظيم التواضع، رحمه الله، ومات في صفر سنة ٧٠٣هـ (١١).

وقولة الحق لا تنقص من الرزق والأجل، فالآجال مضروبة والأرزاق مقسومة، فالله سبحانه أول ما أمر القلم أن يكتب، أمره بذلك وهذا الفقه كان يعرفه الفحول من الرجال، فيمارسونه واقعا في حياتهم، فمحمود بن علي بن هلال العجلوني ولد بعد السبعمائة، نقم عليه أبو البقاء لموافقة ابن تيمية في مسائله، فبلغ العجلوني ذلك، فكتب إلى أبي البقاء: إن الله أعطاني من العلم ما يكفيني لديني، ومن الرزق ما يكفيني، ومن العمر فوق مايتذكر فيه من تذكر (١٢). هكذا يكون التمسك بالحق وبهذا الوضوح نقطع على المرجفين الطريق.

أهل الدعوة والعلم يلتقون مع بعضهم البعض لنصرة الحق

الحق لا بد له من معين ولكي ينتشر، يلزم أن يتحرك الجميع وأن يضع كل واحد ما عنده من الحق والجهد، وأن يتناسى المتخاصمون في الأمور الشخصية والفرعية ما بينهم، من أجل إنجاح المشروع الإسلامي الكبير، فالأمر الذي يعالج اليوم من الأمة الإسلامية أكبر من أن تتفرق فيه الجهود، انظروا من أجل ألا تسفك الدماء في بيت الله الحرام، أعطى النبي ﷺ لأبي سفيان رضي الله عنه مكانة اجتماعية، «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» (١٣). لو أعطيت اليوم لعالم قد يدخل جديدا إلى الحركات الإسلامية، لأدى ذلك إلى مشاكل قد تصل إلى شق الصف الواحد، نعم إنه فقه الموازنات الذي غاب عن الساحة الدعوية اليوم، إلا ما ندر، غاب مع ضجيج الخطابات الرنانة، والصراخ العاطفي المؤقت، فالعلماء يأخذ بعضهم من بعض، من غير تكبر لسن أو لشهرة، فهذا عبدالله بن المؤمن بن الوجيه ابن عبدالله بن علي بن المبارك الناصر الواسطي تاج الدين، ويقال: نجم الدين المغربي ولد سنة ٦٧١هـ قال عنه الذهبي في طبقات القراء: له كتاب نفيس في القراءات العشر، اسمه الكفاية ونظمها، وقد أثنى عليها لبرهان الجعبري، وهو أكبر منه، وقال الذهبي أخذ عني، وأخذت عنه، وأقرأ الناس ببغداد وواسط والبصرة والبحرين هرمز وجزيرة قيس ومكة والشام وغيرها من البلاد، وكان تاجرا سفارا (١٤). وأهل الفضل مع اختلافهم يظل يشهد بعضهم لبعض، فبهذا يحفظ الدين ويستفاد من الجميع، وهذا عين العقل الذي نحتاجه اليوم ومثل هذا في سير سلفنا رضوان الله عليهم كثير، نسوق ما ورد من سيرة محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى ابن سيد الناس أبي الفتح فتح الدين اليعمري الشافعي الحافظ العلاّمة الأديب المشهور، ولد في ذي القعدة سنة ٦٧١هـ، وكان من بيت رياسة في بلاده، قال عنه القطب: إمام محدث حافظ أديب شاعر بارع، جمع وألّف وخرّج وأتقن، وصارّت له يد طولى في الحديث والأدب مع الإتقان، ثبت فيما ينقل ويضبط، من أحسن الناس محاضرة، وقال ابن فضل الله: كان أحد أعلام الحفاظ، وإمام أهل البلاغة الواقفين بعكاظ بحر مكثار، وحبر في نقل الآثار، له أدب أسلس قيادا من الغمام بأيدي الرياح، وأسلك مرارا من الشمس في خيمة الصباح، فانظر كلام من يشهد الصفدي له، مع أنه كان منحرفا عنه فالفضل ما شهدت به الأعداء، وقال الصلاح الصفدي: كان حافظا بارعا، متفننا في البلاغة، ناظما ناثراً مترسلا، حسن الخط جدا، حسن المحاورة، لطيف العبارة، أخبرني عماد الدين بن القيسراني قال: كان ابن دقيق العيد إذا حضرنا درسه وجاء ذكر أحد من الصحابة والرجال قال: إيش ترجمة هذا يا أبا الفتح. فيأخذ في الكلام ويسرد، والناس سكوت، والشيخ مصغ إلى ما يقال. قال: وكان صحيح القراءة، سريعا لم أسمع أفصح منه ولا أسرع (١٥). والشهادة لأهل الفضل وحفظ مكانتهم، حفظ للإنسان من عقوبة التعرض لهم، فلحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في انتهاك منقصيهم معلومة، والتحذيرات في التاريخ كثيرة، وفي زماننا رأينا منها شيئا، وننتظر أن نرى فيمن يتلذذون بغيبة العلماء أمراً آخر إن لم يتوبوا إلى الله سبحانه، ومن تاريخ المائة الثامنة محمد بن عبدالله بن أبي بكر الحنيثي النزاري الصردفي الأصل، ثم الزبيدي، القاضي الفقيه الشافعي، ولد سنة عشر وسبعمائة، شرح التنبيه في أربعة وعشرين مجلدا، أهداه للملك الأشرف صاحب اليمن، فأثابه عليه بأربعة وعشرين ألف دينار. درس وأفتى وكثرت طلبته ببلاد اليمن، واشتهر ذكره وبعد صيته، قال الجمال المصري: إنه شاهده عند وفاته وقد اندلع لسانه واسود، فكانوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقيعته في الشيخ محي الدين النووي رحمهم الله جميعا وهذا في التاريخ كثير، وضبط النفس بعدم الغيبة والوقيعة بالآخرين أمر نحتاجه جميعا، بعد أن تعودت ألسنتنا على ذلك، وأصبحت الغيبة فاكهة مجالس بعض الدعاة، والداعية قد يضبط نفسه بعدم الغيبة، ولكنه يصعب عليه أن يلزم مجلسه بعدم ذكر الآخرين فيه، فهذا أمر لا يستطيعه إلا من أعانه الله، فهذا محمد بن إدريس بن محمد القمولي نجم الدين الفقيه الشافعي أحد الفضلاء النبلاء، كان يستحضر الروضة، وأكثر شرح مسلم، والوجيز للواحدي، مع المشاركة في العربية والأصول والحساب، كان لايستغيب أحداً، ولا يمكّن أحداً أن يستغيب بحضرته، مع ملازمة الاشتغال والأمر بالمعروف والتقلل من الدنيا، حج وزار، وعاد إلى قوص، فتوفي بها في جمادى الأولى سنة ٧٠٩هـ (١٧).

حرمة الدين والرسول مصونة بحفظ الله

لله ملك السموات والأرض، ختم كتبه بالقرآن وحفظه بفضله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر/٩]، وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم وتكفل بحفظ حرمته حيا وميتا ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [البقرة/١٣٧]، ﴿ فإن حسبك الله ﴾ [الأنفال/٦٢]، ﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا ﴾ [التوبة/٤٠]. وهذه حقيقة لا ريب فيها، ولذلك فالمسلم يتحرك في العمل الإسلامي، بنفس راضية مستقرة من غير اضطراب ولا فزع ﴿ وإما نرينّك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ [يونس/٤٦]، والأمثلة على ذلك لا حصر لها، وسنسوق هنا أمثلة من المائة الثامنة من أجل طمأنة النفوس على بقاء حرمة النبي ﷺ، ولو كتب ألف رشدي من اليهود وأعوانهم، فهذا علي بن مرزوق بن أبي الحسن الربعي السلامي زين الدين، أصله من الموصل ولد سنة ٦٥٠هـ، وتعانى التجارة، ذكر عن جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي: أن بعض أمراء المغل تنصّر، فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغل، فجعل واحد منهم ينتقص النبي ﷺ، وهناك كلب صيد مربوط، فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه، فخلصوه منه، وقال بعض من حضر: هذا بكلامك في محمد ﷺ، فقال كلا بل هذا الكلب عزيز النفس، رآني أشير بيدي، فظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته، فقلعها فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفا من المغل (١٨). والحادثة لا تحتاج إلى تعليق، فبتصرف كلب أمن أكثر من عمل سنة كاملة لمجموع العاملين في الحقل الإسلامي.

وحادثة أخرى نختم بها هذا المقال، ليزداد اليقين أن هذا الدين منتصر بمشيئة الله ولو كره الكافرون، فهذا عبدالسيد بن إسحاق بن يحيى الإسرائيلي الحكيم الفاضل، بهاء الدين بن المهذب كان ديان اليهود، وكان يحب المسلمين، ويحضر مجالس الحديث، وسمعه المزي ثم هداه الله تعالى وأسلم وتعلم القرآن وجالس العلماء، وكان ماهرا في صناعة الطب والكحل، قال ابن كثير كان إسلامه يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٧٠١هـ، وحضر هو وأولاده إلى دار العدل فأسلموا جميعاً، فأكرموا إكراما زائدا، لأنهم أسلموا طائعين على بصيرة، وعمل في تلك الليلة في داره ختمة ووليمة عظيمة، حضرها القضاة والعلماء، وأسلم على يده جماعة من اليهود من أقاربه، وخرجوا يوم عيد الأضحى يكبرون مع المسلمين، وفرح الناس بهم فرحا زائدا، وأكرموهم إكراما عظيما، ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٥هـ (١٩) ■

الهوامش:

١) الحديث قطعه من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه أخرجه البخاري انظر الفتح رقم ٣٨٥٢.
٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٥.
٣) الدرر الكامنة، ت: ٢٢٩، ١/٨٨.
٤) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٧.
٥) الدرر الكامنة، ت: ٤١١، ١/١٧١.
٦) الدرر الكامنة، ت: ٤٦٩٣، ٥/٧٥.
٧) الدرر الكامنة، ت: ٤٠٩، ١/١٥٧.
٨) الدرر الكامنة، ت: ١/١٥٧.
٩) الدرر الكامنة، ت: ١/١٧٠.
١٠) الدرر الكامنة، ت: ٣/١٤١.
١١) الدرر الكامنة، ت: ٢٢٣٧، ٢/٤١٢.
١٢) الدرر الكامنة، ت: ٤٧٦٢، ٥/٩٩.
١٣) سبق تخريجه.
١٤) الدرر الكامنة، ت: ٢١٦٣، ٢/٣٧٦.
١٥) الدرر الكامنة، ت: ٤٤٣٧، ٤/٣٣٢.
١٦) الدرر الكامنة، ت: ٣٨٢٣، ٤/١٠٦.
١٧) الدرر الكامنة، ت: ٣٥٢٠، ٣/٤٦٧.
١٨) الدرر الكامنة، ت: ٢٩١٥، ٣/٢٠٢) ٢٠٣.
١٩) الدرر الكامنة، ت: ٢٤١٩، ٢/٤٧٦.

■ كان عم حمزة؛ بالرغم من هرمه؛ يحب الأمواج، فهي تذكّره بالماضي أيام الشباب

بشرته أشبه بلون جدران كوخه الصغير على شاطيء البحر بجوار تلك الصخرة العالية كانت تزداد مع الأيام قتامة. حضر إليه مفتش البلدية حاملا بعض الأوراق.. تكلم معه عم حمزة وسأله عن عثمان، ومحارب، ومجاهد، وعلوان. وأشار إليه أن يلجس. نظر عم حمزة إليه بعينيه الغائرتين وصاح فيه: هل رأيتهم؟

وأشار بيديه المرتعشتين نحو الصحراء وقال: ذهبوا في هذا الاتجاه.. ولم أعد أراهم منذ زمن بعيد، وتنهد بعمق وزفر زفرة كلها ألم، ولم يتكلم. ونظرة أخرى الى داخل الكوخ.. كانت هناك بعض الأقداح المتناثرة، وأطباق مكسرة، وبساطه الصغير. أشار الى مفتش البلدية أن يتبعه الى داخل الكوخ لتناول بعض التمور.

وهناك على الشاطيء، كانت أريكة عم حمزة تعاني من ضربات الأمواج العاتية، لكن عم حمزة رغم هرمه يحب الأمواج، تذكره بالماضي البعيد أيام شبابه وعنفوانه، أيام كان يركب البحر بحثا عن رزقه تحت الأمواج.

خرج عم حمزة متوكئا على منسأته التي يغوص طرفها في الرمال فيخلعها خلعاً باتجاه الأريكة التي طهرتها أشعة الشمس الصفراء، حتى وصلها بعد جهد جهيد، وجلس مفتش البلدية بجواره وراحا يتجاذبان أطراف الحديث، نظر عم حمزة إليه نظرة استهجان وفتح عينيه المغمضتين باتجاه مفتش البلدية وتساءل لماذا ترتدي هذا البنطال؟ وسأله ايضا أين إزارك. أين عباءتك؟؟

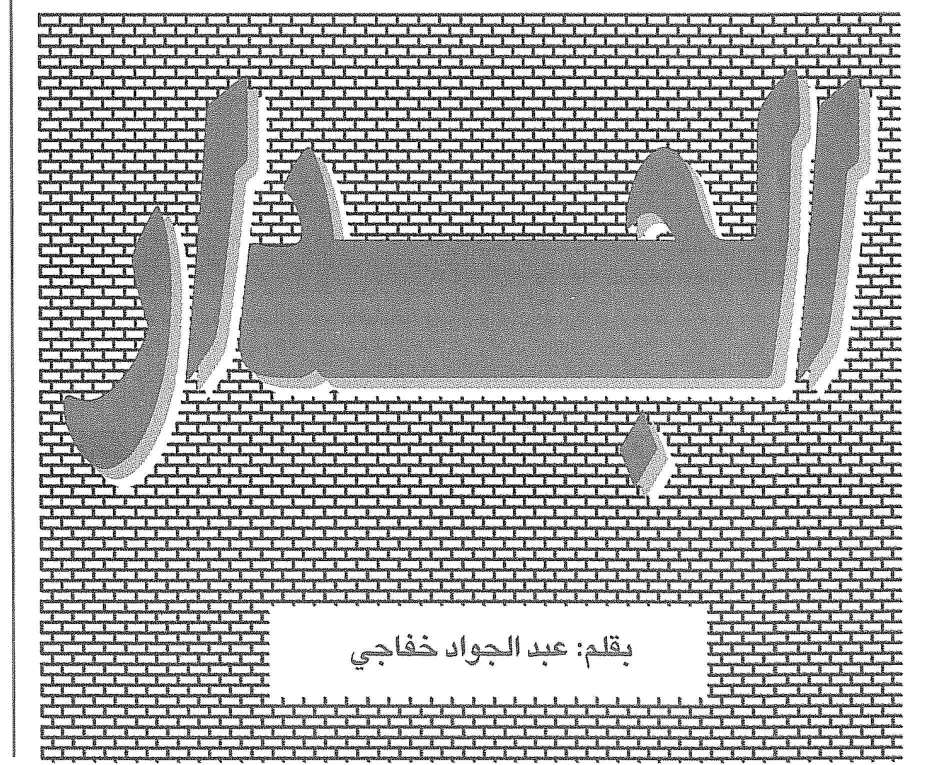
ولكن مفتش البلدية لم يفهم السؤال ولم يعد يفهم أيضا لماذا يصر عم حمزة على استضافته طوال تلك الفترة، لقد انتصف النهار إنه موعد انصرافه من العمل الى البيت ولكن عم حمزة قطع عليه حيرته عندما رفع رقبته نحو السماء وقال: لقد انتصف النهار، ونزل الى الماء ليغتسل، وأشار إلى مفتش البلدية أن يتبعه لأداء الصلاة، تنهد مفتش البلدية بغيظ وقال في نفسه: ليس هناك بد من طاعة ذلك العجوز وترك أوراقه على الأريكة وذهب للصلاة. كان عم حمزة يؤدي الصلاة متكئا على عصاه أيضا ومفتش البلدية من خلفه يؤدي الصلاة على مضض وبعد ان فرغا من الصلاة ذهب مفتش البلدية مسرعا نحو الأريكة، وما أن وصلها حتى صاح: لقد جذبت الأمواج الأوراق إلى داخل البحر، وراح بجري هنا وهناك بينما الأوراق المتناثرة كانت تحركها الأمواج والرياح وقد اختلط الحبر بالماء.

وبينما هو في لوثته الجنونية كان عم حمزة يعاني من آلام جسده المنهك بعد ان أجهده في الصلاة قياما وسجودا، نظر إليه عم حمزة نظرة تساؤل لكنه لم يعد يقوى على الحركة الآن ولم يعد يقوى على رفع جفنيه إلى أعلى، لقد آن له أن ينام بجوار الكوخ الصغير؟؟

في الصباح كانت هناك سيارة مدججة تخترق الأرض الصفراء باتجاه الكوخ. وعلى بعد ميل أو أكثر توقفت، ونزل منها رهط من الرجال بينهم امرأة، ألقى كل منهم نظرة فاحصة على المكان، ونصبوا أجهزة للقياس، وهناك عند نقطة قريبة من الكوخ وضعوا لافتة صفراء مكتوبا عليها بعض الكلمات السوداء.

نظر عم حمزة بعينيه المجهدتين باتجاههم لكنه لم يستطع أن يميز شيئاً سوى السيارة التي تقف بجوار اللافتة، ثبت عم حمزة بصره باتجاهها حتى بدأت تتحرك نحوه وما أن وصلت السيارة بجوار الكوخ حتى نزل منها أربعة رجال ملتحين، يبدو عليهم الوقار، في البداية اطمأن عم حمزة إلى وجوههم، لكنه تمنى لو يسألهم لماذا لايهذبون لحاهم تلك الماغولية. لكن كيف له ذلك وهو لايفهم عنهم كلماتهم الغريبة، ولهجتهم السريعة؟

أزاح عم حمزة بصره بعيدا عنهم باتجاه البحر ليقطع حيرته، وتساءل في نفسه: كيف أن هناك أقواما لايتكلمون مثلنا، وأن شفاههم تتحرك بألفاظ غريبة. لاتفهمها قريحته، ولاتفسرها أذنه؟ لكنه أخيرا نهض



باتجاه الشاطيء ليغتسل للصلاة، وبينما كان منهمكاً في صلاته كان الرجال منهمكين بوضع علامات صفراء وحمراء حول الكوخ، بينما راحت المرأة الشقراء التي بصحبتهم تلقى ثيابها المبرقشة، وهى تزهو كالفراشة المزركشة بألوان الطيف حتى أصبحت عارية تماما، واتجهت صوب الماء.

وما أن اختتم عم حمزة صلاته حتى صاح صيحات مبحوحة كانت في جوف الفلاة أشبه بحشرجة مذياع الجيب الصغير.. بالطبع لم يكن عم حمزة يفهم شيئا عما يدور حوله، لكن شيئا واحدا كان يفهمه جيدا هو أن هذه المرأة عديمة الحياء.. وبينما كان هو يلوح إليها بعصاه من بعيد لأن تخرج من الماء لترتدي ثيابها، كانوا هم يتغامزون على هذا العجوز الهرم الذي يغازل تلك المرأة الجميلة.

أخيرا أغمض عينيه عنها وتلا بعض آيات الاستغفار وتساءل فيما بينه وبين نفسه لماذا يميل البشر الى التجرد من كل شيء من الثياب وحتى الحياء؟؟ بعد قليل خرجت المرأة من الماء ليلتقطوا لها بعض الصور بواسطة الكاميرات الفاخرة ثم اتجهوا صوب عم حمزة الجالس بجوار الكوخ ووجهوا عدساتهم صوب تجاعيد وجهه المتشابكة والتقطوا له بعض الصور.

أخيرا حملوه معهم كالمتاع باتجاه السيارة. ووضعوه بداخلها واوصدوا الباب دونه.. وفي طريق العودة كانوا يثرثرون بكلمات لم يفهم منها عم حمزة شيئاً بينما كان يتلو دعاء الركوب سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.

جلس عم حمزة أمام رجل ضخم يجلس وراء مكتب كبير، وبين الحين والحين يضغط على أزرار صغيرة أمامه، فيرد عليه صوت ناعم كأنه الهمس.. في البداية تملكت عم حمزة الحيرة من ذلك الصوت الذي يسمعه ولايرى صاحبه.

أخيرا حضرت «السكرتيرة» لتضع أمام المدير «ملف» أخضر به بعض الأوراق، وما أن رآها عم حمزة حتى راح يحدق فيها ملء عينيه وتمنى ألا تخلع ثيابها هذه المرة.

نظر إليه المدير فجأة، فاذا ببدنه النحيل يرتعش داخل ثيابه، أدرك المدير أن عم حمزة يعاني من برودة جهاز التكييف، فضغط على ازرار أخرى في الحائط الخلفي فتوقف الجهاز، هنا فقط أدرك عم حمزة أن هذا الهواء الذي لفح ظهره منذ جلوسه كان سببه هذا الجهاز المثبت خلفه في الجدار.

وأدرك أيضا سبب القشعريرة التي سرت في جسده لحظة أن وضعوه داخل السيارة فلابد أن بها هيكلا آخر ينفث الهواء البارد؟ وتمنى من الله ألا يعاود ذلك الرجل ضغط الازرار من جديد، حتى يستريح من لفحة هذا الهواء اللعين.

تساءل عم حمزة عن سبب بقائه.. لكن المدير قطع عليه تساؤلاته وأشار إليه ان يكف عن الكلام قائلا: ـ كل شيء على مايرام، ستعرف كل شيء الآن.

ظل عم حمزة قابعاً في مكانه ونظراته المتجمدة متجهة الى ذلك الهيكل اللعين المثبت في الجدار.. فجأة انفتح الباب ودخل عدد من الرجال والنساء وجلسوا جميعا حول مكتب المدير. شعر عم حمزة بالغربة في هذا المكان الذي لايفهم مايدور فيه وتمنى من الله أن يأمروا بعودته الى كوخه الحجري. وراح يدعو الله ان ينهي غربته.

وفجأة شعر المدير بحرارة الجو فضغط على الازرار من جديد فعاد الهواء البارد مرة أخرى الى ظهر عم حمزة.

أخيراً وقّع المدير على أمر إزالة الكوخ ودفن (عم حمزة)

وبينما عم حمزة يقاوم البرودة أغمضت عيناه، وراح في ثبات عميق، رفع المدير سماعة التليفون، وتكلم قليلا مع. « موظف الكمبيوتر». بعد قليل عاد الأخير وهو يحمل كراسة الأرقام الضخمة وتهامس الاثنان قليلا ثم نظر الي عم حمزة الذي لايزال بلاحراك منكمشا فوق الأريكة الوثيرة، تنهد المدير بعمق ثم طلب من موظفه ان يضيف الى دائرة الاختزان رقما هو رقم عم حمزة.

ونظر نظرة اخرى الى عم حمزة وتفحصه مليا بعينيه ثم طلب من سكرتيرته أن تتصل بدار «رعاية المسنين» وفجأة انفتح الباب، فاذا بالموظف الذي غرقت منه الأوراق في ماء البحر قد حضر لتوه إلى مكتب المدير الذي ماأن رآه حتى صاح فيه: انت مرفوت.

لكن الموظف نظر الى المدير بذلة وانكسار.. وقال وهو يشير إلي عم حمزة الذي لايزال بلاحراك بإمكانك ان توقظه لتسأله كيف ضاع الملف في البحر ولكن المدير أصر على قراره قائلا: كل ماأعرفه أنك مهمل ومتسيب. وكنت سببا مباشرا في فقدان الملف.

لكن الموظف عاد مرة اخرى يستعطف المدير قائلا بإمكانك ياسيدي أن تعيد النظر في أمر ايقافي عن العمل، مكتفيا بتحويلي للنيابة الادارية للتحقيق.

لكن المدير رفض فاستشاط الموظف غضبا لصلافة المدير، وعدم حكمته في الإدارة ونفد صبره وصاح في المدير يسبه ويلعنه، وامتدت يداه إلى عنق المدير يريد ان يخلعها ولكن المدير وهو يعاني من إحكام قبضة الموظف على عنقه ضغط على زرار صغير فوق مكتبه فحضرت على الفور سكرتيرته التي شاهدت بعينيها مايحدث« لمديرها» فاتصلت على الفور عبر الهاتف تطلب الشرطة.

حضر للتو مسؤول «دار الرعاية» كما حضر رجلا الشرطة، وبعدهما حضر جمع غفير من الموظفين تجمهروا جميعا حول مكتب المدير الذي صاح فيهم أرجو ان تقلبوا الدنيا فوق رأس هذا الموظف المهمل.. وراح يسوي هندامه. رجل واحد بقى بجوار عم حمزة بعد أن خرج الجميع وانفضوا من حول المدير الذي بقى ليعد ورقة خاصة بتسليم «عم حمزة» إلى مسؤول الدار.. تساءل الرجل: هل من قريب له، لكن المدير أجاب ـ البحر والرمال، والكوخ.. تساءل الرجل مرة اخرى ـ أي كوخ؟ اجاب المدير الكوخ الذي أمرنا بهدمه..

تساءل مرة أخرى ولماذا أمرتم بهدمه؟

أجاب المدير لأننا قررنا إقامة مشروع سياحي حول المكان الكائن به..

نظر مسؤول الدار إلى عم حمزة نظرة عطف وراح يوقظه بلطف استعدادا للرحيل.

لكن عم حمزة الذي نام منذ الصباح لم يكن «عم حمزة»بذاته، لقد رحل الرجل وترك جثته فوق الأريكة!! صاح «مسؤل الدار» وهو يتفحص عينيه المتحجرتين وعروقه المتجمدة. ـ لقد مات.

التفت إليه المدير بفزع وردد بسرعة.

ـ مات؟؟!!!

أخيرا صدر أمر المدير بازالة الكوخ عندما تفضل برسم توقيعه الكريم على الملف الأخضر وامر السكرتيرة أن تتصل بوزارة الصحة لدفن جثة «عم حمزة» ■

من الحكمة

- ثلاثة مرتفعة منحطة: السنبلة الفارغة والجاهل قدر نفسه ورأس المتكبر.
- ثلاثة بطيئة: السلحفاة والكسلان والوعد بالخير.
- ثلاثة نادرة: الكبريت الأحمر والراديوم والصدق.
- ثلاثة ما برح الناس يبحثون عنها ولا يجدونها: السعادة والراحة والسلام.
- ثلاثة ضيقة: سم الخياط وعين الحسود وكيس البخيل.
- ثـــلاثـــة طـــويلـــة: ليـــالي اليـــائس وأيـــام الهم وانتظـــار الفـــرج.

القلب السليم

القلب السليم الذي ينجو من عـذاب الله هو القلب الذي قد سلم لعبوديـة ربه حياء وخوفـا وطمعا ورجـاء ففنى بحبه عن حب من سـواه وبخوفـه عن خوف مـا سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه وسلم لأمره ولـرسوله تصديقا وطاعة، واستسلم لقضائه وقدره، فلم يتهمه ولم ينازعه ولم يتسخط لأ قداره، فأسلم لربه انقياداً وخضوعا وذلا وعبودية، وسلم جميع أحـواله وأقواله وأعماله وأذواقـه ظاهراً وباطنا لمشكـاة رسوله صلى الله عليه وسلم

* ابن القيم الجوزية

الناس ثلاثة

قال أيوب بن القرية: الناس ثلاثـة: عاقل وأحمق وفاجر: فالعاقل: الدين شريعته والحلم طبيعته والـرأي الحسن سجيته، إن سئل أجاب، وأن نطق أصاب وإن سمع العلم وعى وإن حدث روى. وأما الأحمق: فإن تكلم عجل وان حدث وهل (أي غلط) وإن استنزل عـن آية نزل فإن حمل على القبيح حمل، وأما الفاجر: فإن ائتمنته خانك، وإن حدثته شانك، وان وثقت به لم يـرعك، وإن استكتم لم يكتم، وإن علم لم يعلم، وإن حـدث لم يفهم، وإن فقه لم يقفه.



حصنته العصمة الإلهية

مـــا من عظيـم إلا رأيت في مسلكـه كبـوة، أو في شمائلـه جفـوة أو في حسامـه نبـوة إلا محمـداً صلى الله عليـه وسلم فإن العصمة الإلهيـة حصنته فما يخبـو لـــه سنى أو يلحق خطوه عثار..! [الـداعية محمد الغزالي].

الشر الثالث

تجهز من الحسنى بما أنت قادر
وأحسن إلى من قد أساء تكرما
وحب الذي عاداك إن رمت قتله
إذا دفع الشر القبيح بمثله

عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا
وإن زاد بالإحسان منك تمردا
فاني رأيت الحب أقتل للعدا
تحصل شر ثالث وتولدا

[معروف الرصافي]

الصديق والعدو

قـــال حكيـم: انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصـدقائي لأن أعـدائي كانوا يعيرونني بأخطائي فانتبـه لها، وأصدقـائي كانـوا يزينـون لي الخطأ فأغفل عنه حتى يبصرني الله.

الطريق إلى العلم

قال بـديع الزمـان الهمذاني: العلـم شيء بعيد المرام لا يصاد بـالسهام ولا يقســم بالازلام ولا يكتب للئام ولا يرى في المنـام ولا يضبط باللجام ولا يورث عـن الآباء والأعمام وغـرض لا يصاب إلا بافتراش الصدر واستناد الحجر ورد الضجر وركـوب الخطـر وإدمـان السهـر واصطحـاب السفر وكثرة النظر.

أدنى الأخلاق وأعلاها

قـــال المهلب بن أبي صفـــرة: أدنى أخـــلاق الشريف: كتمان السر وأعلى أخـلاقـه نسيان مـا أسِرّ إليه!

وصية

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي قلنا له: ألا توصي؟ قال: بلى. أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿ يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار، وفعل ما استطعتم من المعروف وادفنوني مع المساكين.

عندما يفسد الماء

سافر تجد عوضا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم تصب
التبر كالتراب ملقي في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب

[الإمام الشافعي]

عدل ممقوت!!

شكا أهل بلدة إلي المأمون والياً عليهم، فقال: كذبتم عليه، فقد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين.. فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع وتريح معنا الكل فضحك منهم وصرفه عنهم!!

العاقل والأحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والأحمق فقال: العاقل: إذا والى بذل في المودة نصره وإذا عادى رفع عن الظلم قدره فيسعد مواكبه بعقله ويعتصم معادية بعدله، إن أحسن إلى أحد ترك المطالبة بالشكر وإن أساء إليه مسيء سبب له أسباب العذر أو منحه الصفح والعفو.

والأحمق: ضال مضل، إن أونس تكبر، وإن أوحش تكدر، وأن استنطق تخلف، وإن ترك تكلف، مجالسته مهنة (نوع من الحقارة) ومعاقبته محنة، ومحاورته تغر، وموالاته تضر، ومقاربته عمى، ومقارنته سقا، وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عاقل حسبته مع جاهل وقال الأحنف بن قيس: من كل شيء يحفظ الأحمق إلا من نفسه. [أدب الدنيا والدين].

الدين حجة ناطقة

يقول آرنست رينان في تاريخ الأديان:

إنه من المكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة في الحياة الأرضية!!

عجبت من ثلاث

قال يحيى بن معاذ: عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقا ويترك أن يعمله لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئا، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته.

النور لا ينسخ النور

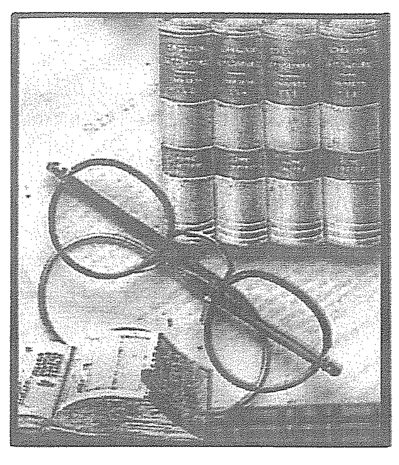
إن النور لا ينسخ النور ولكنه إما أن يؤيده ويؤكده وإما أن يغذيه ويرفده وإما أن يكمله ويزيده.

عقوق اليوم

قال أحد الحكماء: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه.

من الهدي النبوي

عن ابي هريرة رضى الله عنه: عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [متفق عليه].



ثمـــــرات المطـــــابع

الاستشراق بين دعاته ومعارضيه

○ محمد أركون ومكسيم رودنسون وآخرون

○ دار الساقي – لندن

○ ترجمة: هاشم صالح

يتضمن الكتاب آراء عدد من المستشرقين الكبار ردا على الانتقادات التي وجهت إليهم في نطاق حملة المفكرين العرب على الاستشراق، وهم: بيرنارد لويس، ومكسيم رودنسون، وفرانسيسكو غابرييلي، وآلان روسيون، وكلود كاهين، ومحمد أركون..

وقد قدّم المترجم له بقوله: (تعود فكرة الكتاب إلى هم قديم يندرج ضمن الاطار العربي بكل مشاكله وقضاياه.. فالمناقشات الفكرية – الأيديولوجية التي دارت حول الاستشراق منذ الستينات، وحتى اليوم، كانت تبدو لي باستمرار وكأنها تعبر عن سوء فهم كبير، كنت احس بشكل غامض وضبابي ان المسألة أعقد من ذلك، وأن هناك خللا في الرؤية، كنت أعتقد ولا أزال أن المسألة لم تطرح من بابها السليم ولم ترتكز على الأسس التي كان ينبغي أن ترتكز عليها، وبالتالي لم تستطع بصددها أن نصل إلى نتائج مجدية أو حاسمة، أقول ذلك وأنا أتحدث عن الجهة العربية – الإسلامية بالطبع، فماذا يضير الاستشراق، والغرب بشكل عام، أن تظل تناطحه بشكل مباشر ومكشوف إلى أبد الدهر..

كان على الضعيف لكي ينتصر على القوي، أو كي يوازيه ويحاذيه، أو على الأقل كي يتخذ مكانة ما في مواجهته، أن يكتشف في البداية سبب قوة القوي أو سر نجاحه وتفوقه).

تفكير (محمد رشيد رضا) من خلال مجلة (المنار)

○ محمد صالح المراكشي

○ الدار التونسية للنشر – تونس

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

تبوأ الشيخ محمد رشيد رضا مكانة بارزة بين زعماء الإصلاح في مطلع القرن، ليس لكونه فقط أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، وإنما لأنه أقام مدرسة فكرية متميزة في تيار النهضة الإسلامية مهّدت لظهور الحركة الإسلامية المعاصرة في مصر خاصة، وبقية العالم الإسلامي عامة. وشكّلت مجلته (المنار) [أصدرها من ١٨٩٨م وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٣٥] منبرا رئيسيا لنشر أفكاره من حدود الصين وحتى شواطيء المحيط الأطلسي.. وتكمن أهمية كتاب الدكتور محمد صالح المراكشي، الأستاذ بكلية الآداب بتونس، بأنه لم يقتصر على كتب الشيخ محمد رشيد، وإنما عرض افكار وآراء إصلاحية متوارية في المقالات الثريّة التي حبّر بها الشيخ محمد رشيد صفحات (المنار) خلال سبع وثلاثين سنة في مختلف ميادين الحياة السياسية والعقدية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية واللغوية والأدبية، فقد حاول الشيخ – وهو صاحب مشروع نهضوي يرمي إلى بناء مجتمع إسلامي يقوم على الكتاب والسنّة – توظيف ذلك كله توظيفا كاملاً لخدمة الدعوة الإسلامية وعرضها بشكل ملائم لمقتضيات عصره.. ويؤخذ على الكاتب تسرعه وتساهله في إطلاق الأحكام البائة والقاطعة معتبراً وجوب مرور فكر النهضة الاسلامية بالمسار الذي مر به الفكر الغربي المسيحي قبل تحقيقه الانتقال من عصور التخلف إلى العصر الحديث، فلا يصح أن نجعل من الخصوصية الأوروبية منهجا كونيا يحكم مسار جميع الحضارات، ومنهجاً لازما للانتقال من حال إلى حال ومن مرحلة حضارية إلى أخرى.

الانسان بين السحر والعين والجان

○ زهير حموي

○ دار حواء (الكويت)، ودار ابن حزم (بيروت)

○ الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/

السحر وإصابة العين وعالم الجن، كل ذلك من علم الغيب الذي عبث في فهمه والتحدث فيه الجهلة والعامة والمغرضون، حتى فشا في النّاس تصورٌ خاطيء عن هذا العالم المجهول لديهم، وأجاز البعض لأنفسهم الإغراق في الاجتهاد في التصوّر، أو التعامل الميداني، مما أدى إلى عواقب وخيمة والوقوع فيما نهى الله عنه..

ولقد حذّر الشرع الشريف من التعامل بالسحر؛ وحرّم اتيان السحرة؛ وأمر بتطهير المجتمع المسلم من متعلقاته، وأوضح القرآن الكريم صورة محددة عن عالم الجن وعلاقته بعالم الإنس، والباحث زهير حموي يعالج هذه المسائل وفروعها بالدليل الشرعي، ويقدّم إجابات شافية لأسئلة مقلقة ومحيّرة، ويبيّن في أبواب الكتاب وفصوله أسس التعامل الشرعي مع (العين والسحر وعالم الجنّ) بما يحقق وضوح الرؤية للقاريء ويفوّت الفرصة على المغرضين والمتعاملين بما حرّم الله..

ويبقى الكتاب إضافة جديدة إلى مكتبة الأسرة وطالب العلم ينير للقاريء دربه في مجاهل هذا الميدان ويبعده عن السقوط فيما لا تحمد عقباه.

دنيا الدين والدولة (الإسلاميون والتباسات مشروعهم)

○ دلال البزري

○ دار النهار - بيروت

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

تثير هيمنة الإسلام السياسية المعارضة حالة من الهلع مختلفة الأوجه متعددة المستويات، فبعد تلاعب مضنّ وغير مجد بالرموز والعواطف المقدّسة، اختتم بعض المعنيين ذعرهم بلقاءات وقرارات أسمت الإسلامية (إرهابا) بغية علاجها بالمنطق المتبقي، المنطق الامني..

والنخب المثقفة ذات المشارب الليبرالية بمختلف طوائفها باغتتها؛ هي الأخرى؛ توهّجات (ساحة) الإسلاميين الصاخبة، فراحت طائفة منهم تكفّر عن ذنب اعتقدت نفسها ارتكبته في مسارها السابق، ولهذا استعانت ببعض النصوص السماوية، فلا صارت إسلامية ولا بقيت ليبرالية، وطائفة أخرى تمترست خلف سجالية واثقة في المظهر، وعطوبة في الجوهر، فيما انشغلت طائفة أخيرة بالانتظار، عبر صمت مطبّق أو الانكباب على شجون أحلى..

هذا الهلع، سواء أكان حقيقيا أو مفتعلاً، يستحق الاهتمام، وقد يعود بقسم كبير منه إلى عصيان الاسلامية السياسية على المفاهيم الرائجة والتحليل المتداول..

والكاتبة، لم تكن قط في الجانب الإسلامي، وهي تنقل وجهة نظر طرف آخر جديرة بالدراسة والإطلاع مهما بلغت قسوتها في نفس القارىء (الإسلامي)، ذلك لأن الرأي الآخر يبلور الرأي نفسه، فإما أن تحمد الله على ما أنت فيه، وإما أن تراجع فتصحّح وتعدّل إلى ما هو أقرب إلى الحمد، والصواب.



مصدر ظهور الحياة على كوكب الأرض

○ جمع وتنسيق يمنى زهّار

○ دار الآفاق الجديدة - بيروت

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

جاء في مقدمة الكتاب: (تتعدد عند الإنسان أنواع التفكير في مصدر ظهور الحياة على كوكب الأرض، فمن المفكّرين من يؤمن بأكثرية ساحقة إيماناً راسخاً بما ورد في المراجع الدينية من أن مصدر الحياة هو إرادة الله عزّ وجلّ، ويرفض رفضا باتا إدخال الريبة والشك في هذه الحقيقة بسبب ما يذاع عن العثور على آثار حيوان الديناصور في الأراضي الأمريكية، وهناك اجتهادات اخرى..

يبقى أن نشير إلى أن الغاية مما ندلي به للقارىء في هذا الكتاب هي عرض دقيق وشامل لسائر الحالات والوقائع المتعلقة بانتشار الحياة على كوكب الأرض لعله يجد فيه تأييداً وإثباتاً لعقيدته يروق له التعرّف إليهما).

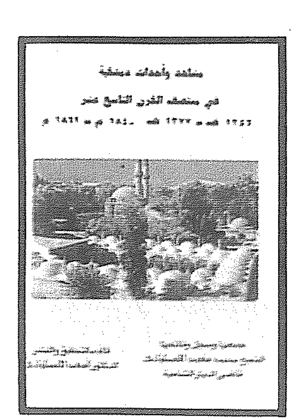
مشاهد وأحداث دمشقية في منتصف القرن التاسع عشر

○ الشيخ محمد سعيد الاسطواني

○ تحقيق: د. اسعد الاسطواني

○ الطبعة الأولى ١٩٩٤م

كتاب صدر في دمشق يؤرخ للفترة الممتدة من عام ١٨٤٠ وإلى ١٨٦١، سجّلها قاضي الديار الشامية الشيخ محمد سعيدالاسطواني، وكان يومها عضواً بارزاً في مجلس الولاية، مما يضيف على الكتاب أهمية خاصّة.. وهو يوميات تصور مختلف جوانب الحياة بدمشق، لم يقتصر صاحبها على سرد أخبار الولاة والمجتمع الدمشقي، ومرض الكوليرا، وسرقات الأوقاف، والأزمات الاقتصادية، بل سجّل - بالإضافة إلى ذلك - كل ما وصل إلى علمه من أحداث خلفتها مطامع الدول الكبرى التي أدّت إلى وقوع الفتنة الطائفية في صيف عام ١٨٦٠م، وكان شاهد عيان لها مما مميز انطباعاته بشيء من اواقعية والموضوعية.





ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين ولحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تعقيبات حديثية

في أثناء اطلاعي على عدد شوال ١٤١٤هـ العدد رقم ٣٣٨ من المجلة بدت لي بعض الملاحظات التي تحتاج إلى التعقيب وهي كالآتي:

أولا : في مقال «مفهوم الحرية في المنهج الإسلامي» ورد ما نصه وفي هذا المعنى يقول نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن اساءوا أن تتجنبوا إساءتهم» رواه الترمذي. انتهى بنصه.

والحديث لفظه عند الترمذي كما يلي «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم..» إلخ وليس كما ذكر الكاتب.

والحديث ضعيف وفيه علتان.

الأولى : الوليد بن عبدالله بن جميع، مختلف فيه، وقد أورده الذهبي في الضعفاء، وقال الحافظ في التقريب، «صدوق يهم»

الثانية : أبوهشام محمد بن يزيد.

قال الحافظ : «ليس بالقوى».

وقد قال البخاري : رأيتهم مجمعين على ضعفه، وأورده الذهبي في الضعفاء.

وهو معروف عن ابن مسعود موقوفا عليه مختصرا بلفظ: «اغد عالما أو متعلما، ولا تغد إمعة بين ذلك» أخرجه ابن عبدالبر في جامع العلوم (١١٢/٢) بسند حسن عنه.

انتهى بنصه من كتاب «نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة» للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

ثانيا : في مقال «العقل ومكانته في الإسلام» ورد ما نصه: لقد وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة عن المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه في شأن العقل، منها: عن أبي أمامة وأبي معين رضي الله عنهما، أن السيدة عائشة.. رضي الله عنها – أنها قالت: قال رسول الله –ﷺ– أول ما خلق الله العقل، فقال له. أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل وجلالي ماخلقت خلقا أكرم منك عليّ. بك آخذ وبك أعطي. وبك أثيب وبك أعاقب».

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله تعالى عنه – أنه قال : قال رسول الله ﷺ لكل شيء دعامة، ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قوله تعالى: ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ انتهى بنصه.

والحديثان السابقان لم يصحا عن النبي – ﷺ – وهذا بيانه.

أولا : كل ما ورد في العقل مما هو منسوب إلى النبي ﷺ موضوع باتفاق أهل الحديث ممن صنفوا في الموضوعات ومن هؤلاء:

١ – ابن قيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف»

٢ – الصنعاني في كتابه «الموضوعات»

٣ – الشوكاني في كتابه «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»

٤ – ابن عراق الكتاني في كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة.

٥ – الألباني في سلسلته «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة».

وقد جمع داود بن المحبر أحاديث العقل في كتاب العقل الذي قال فيه الإمام الذهبي ليته لم يصنفه، وقال عنها الحافظ ابن حجر (أي عن أحاديث العقل) كلها موضوعة وقال الإمام أحمد بن حنبل عن داود المحبر: كان لا يدري ما الحديث وقال أبو حاتم عنه أيضا: ذاهب الحديث غير ثقة، وقال عند الدارقطني متروك.

ذلك من حيث الحكم جملة على أحاديث العقل وعلى داود بن المحبر مؤلف كتاب العقل وذلك من خلال جهابذة علماء الحديث وأساطينه وأعلامه.

ثانيا بالنسبة للحديث الأول «أول ما خلق الله العقل..» فقد حكم بوضعه كل من

١ – الصنعاني في الموضوعات. حديث رقم ٢٧ ص ٣٤

٢ – الشوكاني في الفوائد المجموعة حديث رقم ٤٢ ص ٤٧٦ كتاب الإيمان وقد حكم ابن عراق الكتاني في تنزيه الشريعة المرفوعة على الحديث الثاني «لكل شيء دعامة...»

بالوضع في كتابه تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة» حديث رقم ٩٣ ص٢١٥ الجزء الأول كتاب المبتدأ.

ومما سبق يتبين أن الحديثين المذكورين في فضل العقل موضوعان ولا يعني ذلك التقليل من العقل في إطار الشرع ومن أراد البسط في التعرف على علل وأسباب الحكم بوضع هذين الحديثين فليرجع إلي الكتب التي ذكرناها حيث فيها البسط والتبيين.

ثم إني أهمس في أذن الأخ الكريم كاتب المقال فأقول : هل تأكد من صحة ما ذكر، هل تحقق من صحة نسبة هذين الحديثين إلى النبي ﷺ؟!

إن على الكاتب أن يتأكد من صحة نسبة الأحاديث التي يوردها وهناك طريقتان معلومتان لذلك. اما أن يحضر دواوين السنة أو تكون في متناول يده فلا يكتب حديثا ألا وقد أخرجه من هذه الدواوين وعلم وتأكد وتحقق وتيقن من صحته.

وإما أن يذكر الحديث ثم بعد ذلك يبحث عنه في دواوين السنة ثم لا يكتفي بذلك، بل لابد من التأكد من صحته. وبذلك نضمن صحة كل ما ينسب إلى النبي ﷺ.

وتكون في منأى عن الكذب على النبي ﷺ وليس ذلك بعسير على من وضع نفسه في مصاف الكتاب والباحثين، فعلو الهمة مطلوب وتحري الدقة واجب وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ■

محمد نجيب لطفي

اللون الأخضر سر الحياة

عندما يمر الإنسان على المزارع أثناء سيره في طريق زراعي قد ينظر يمينا ويسارا ليرى أصنافا كثيرة ومختلفة من النباتات المنتشرة على الجانبين وعندما يدخل الإنسان حديقة ما قد يعجب أيما إعجاب بمشاهد الزهور والأشجار وقد يقتني الإنسان في بيته بعض الزهور التي تنمو في مساحات صغيرة نظرا لمنظرها البديع لأن اللون الأخضر ذو تأثير خاص على النفس ولنتخيل لو أن كوكبنا الأرضي كان قاحلا كالصحراء لا زرع فيه ولا ماء كيف تكون الحياة فيه.

ومن خلال ذلك وبنظرة إلى عالم النبات الأخضر نتجول فيه لنرى بديع صنع الله. في البداية قد يخطر سؤال: هل خلق الإنسان أولا أم النبات؟ وللإجابة على هذا التساؤل نقول ان الله عندما خلق الإنسان كان لا بد له أن يأكل ليعيش ومن الطبيعي أن يكون ما أكله الإنسان في ذلك الوقت كان جاهزا للأكل.. وكان الزرع والنبات.. وقد خلق الله الجنة وجعل فيها من كل الثمرات وجعل فيها الغذاء للإنسان قبل سكنه فيها: ﴿ وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ﴾ [البقرة:٣٥]. ويرجع العلم حياة الإنسان على هذه الأرض إلى المملكة النباتية التي يعود نشأتها – هي والإنسان – إلى الماء ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [الانعام:٩٩].

وهذا هو سر النبات الذي وصل إليه العلم كما قال الحق عز من قائل: ﴿ فأخرجنا منه خضرا ﴾ لأن سر النبات هو تلك المادة التي أسماها العلماء (الكلوروفيل) والتي سميت بالعربية اليخضوب ثم اليخضور.

ومن قدرة الله في هذا العالم الأخضر أن جعل منه غذاء للإنسان والحيوان والحشرات والطيور فهو غذاء لكل المخلوقات.

فغذاء الإنسان منه الحبوب والخضر والفاكهة ومنها ماهو صالح للغذاء مباشرة كالخضراوات ومنها ما يصلح بعد معالجته بطرق معينة مثل الطهي كالأرز والقمح ومنها ما يعطينا المشروبات كالقهوة والشاي ومن النبات غذاء للحيوان كالحشائش والبرسيم ومفدها هو غذاء للحشرات كالنحل الذي يخرج للناس العسل من رحيق الأزهار.

للنبات على الإنسان فوائد كثيرة فهو أساس حياة الإنسان وأهم هذه الفوائد أنه غذاء يتناوله الإنسان بطريق مباشر كالحبوب والثمار أو بطريق غير مباشر كما يحدث عند تناوله اللحوم أو البيض أو اللبن فهي إنما أساسها النبات. وكل مايشرب الإنسان يرجع أصله إلى النبات.

ومن فوائد النبات للإنسان التي لا غنى له عنها استخراج الخشب من الشجر الأخضر: ﴿ هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ [يس:٨٠] وقد أمدت جذوع وفروع الأشجار الإنسان بأيسر المصادر المتاحة لوقود الاحتراق.

ونتابع فوائد الأخشاب فنجد الأخشاب اللينة مثل خشب الشوح تعد حاليا أساسا في البناء أما الأخشاب الصلبة مثل خشب البلوط والماهوجون فهي تستخدم في صناعة الأثاث، ومنها أن كل مايرتديه الإنسان من ملابس تعود إلى النبات كالأقطان. أما أعظم فوائد النبات بعد كونه غذاء فهي كونه علاج ودواء لما يعاني منه الإنسان من أمراض لأن الإنسان القديم لم يعرف الطبيب على صورته الحديثة ولكنه كان يعالج نفسه بالأعشاب التي هي أساس الطب بل لعل استعمال النباتات لعلاج الأمراض كان معروفا لإنسان ما قبل التاريخ وذلك من رحمة الله بعباده أن خلق لهم الدواء قبل أن يخلق لهم الداء، وكل أنواع النبات لها تأثير في علاج الأمراض وقد كشف العلم الحديث عن ذلك من مكونات المادة الغذائية وماتحدثه في الجسم لعلاج المرض ولكن الغريب في هذا العالم الأخضر أن معظم الحشائش التي تستخدم كعلاج للأمراض تنبت من الأرض ولا دخل للإنسان فيها، بما في ذلك الأعشاب السامة التي أثبت العلم استخدام سمها كترياق وإشراكه في العلاج مع نباتات أخرى. فكل داء دواء وكل مرض له شفاء من النبات وما الأمراض التي لا علاج لها إلى الآن إنما هي لأن الله لم يفتح بعد على عباده لمعرفة هذه الأسرار ولم يصل إليها الإنسان وكم من أسرار في عالم النبات والأعشاب لعلاج الأمراض.

ولأن النبات مخلوق من مخلوقات الله كالإنسان فله من حقوق الاحترام ما للإنسان كما فعل أحد العلماء عندما تحاشى أن يطأ بقدمه حشائش الحديقة قائلا: أن النبات مخلوق مثله وقد يكون تمايل النبات إنما هو إلقاء للتحية فيجب رد التحية عليه. وتلك قدرة الله في خلقه ومخلوقاته فسلام على النبات ■

علاء محمد حسنين – دمياط –

ج.م.ع

هنا يرسو قلم أحدنا، ينفض عن كاهليه وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارئ ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

الحصار

نرسو بأقلامنا، والشواطئ حيرى والقضايا متشعبة كثيرة، فلا نرسو مراكبنا متعبة. شمس تغرب، وليل يستفيق، ووطن يفيض حزنا كعيون سراييفو، طفل يتضوع جوعا، يتوسد نشز الأرض، ويلتحف الشمس اللاهبة، ينتشر مجموعة من العظام المتناثرة هنا وهناك لتسحقها مركبات حقوق الإنسان!!

بلاد لا يشتمون للإسلام فيها رائحة، يصبح الدين كمنشور سرى لا يجب تداوله أو الإفصاح عنه، تشتاق أسماعهم لصوت الأذان يصدح في أرجاء القرى المسلمة فيوحد شملهم الذي تشتت طويلا على دروب التيارات العلمانية، يفتقرون بشدة لذلك النداء الصادق، نداء الإيمان حين يطرق أبوابهم وبصائرهم، يفتقرون للصلوات المباركة، ورائحة الشهر الفضيل في بلادهم التي أصبح الإسلام فيها غريبا، يسمعون به ولا يجدون إلى تطبيقه بديلا، يشعرون به ولا يعيشونه منهاجا يحكم حياتهم..

غربة شديدة تسري في البلاد المسلمة، تمتد للحرم الإبراهيمي، والشعب الذي لازال يقاتل، خمسون عاما من الحرب والذل، من التحدي والقهر، خمسون عاما من التشرد والحرمان من أن يغفو طفل على تراب أرضه، أن يستنشق نسماته وأن يكون لفلسطين رائحة الوطن ورائحة العودة!!

خمسون عاما من المناورات الكلامية والحكايا الملفقة خلف عذابات أطفال الحجارة وخلف احتراق الأمهات كي تنبت الأرض أطفالا وحجارة!! احتراق حتى الرمق الأخير.

حصار طويل طويل حول مشاعر الفرد المسلم، حول شعائره ومناسكه، حصار حول دينه ودنياه، حول حقه في الحياة فترى جحافل الصهيونية تنفذ إليه من كل ثغرة، والثغرات كثيرة كثيرة..

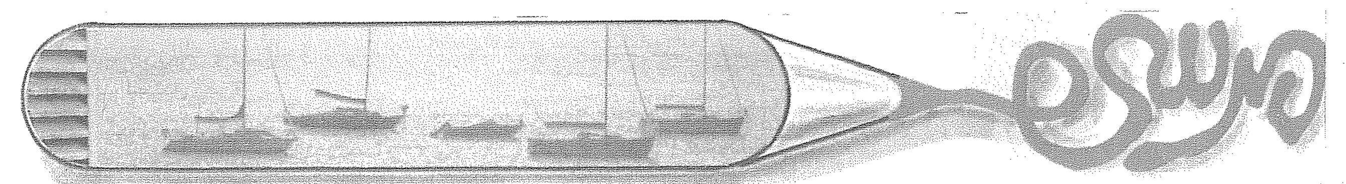
صحوة تفيق وأخرى تموت، ووهن شديد يدب في أوصالنا، رغبة عارمة في كسر القيود، وفك الحصار الخانق حول الأمة الإسلامية، ورغبة أقوى في صحوة تنفض غبار السنين العجاف. لتطل الوجوه ، مؤمنة أكثر، متألقة بنور الصحوة وعلى جبينها ألف باب للجهاد. خطوة تقود إلى آلاف الخطوات، وطريق يؤدي إلى كل الطرق..

بداية تنتهي عندها كل العذابات السطحية البعيدة المدى والتي ساهمت في تقويض الشخصية المسلمة، لتبدأ مرحلة الانعتاق من كل براثن الماضي الذي أرهق الأمة الإسلامية..

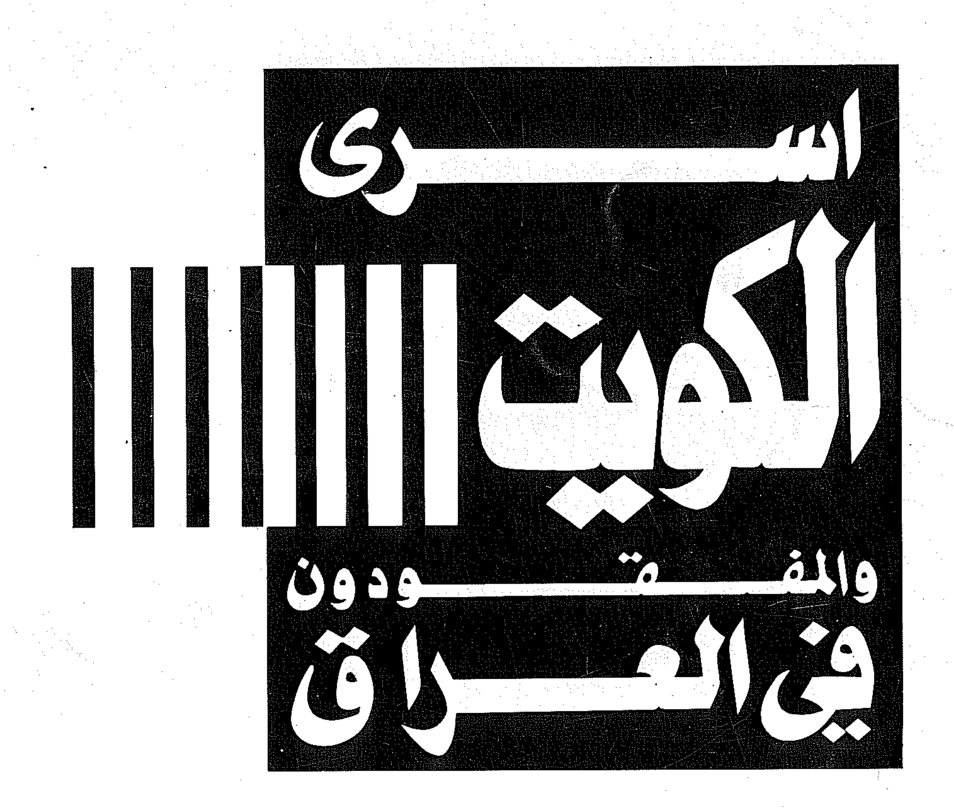
الانعتاق من هذا الحصار الطويل وبدء مرحلة أخرى من الجهاد حيث يكون الجهاد دستورا والمسلمون رجالا نبذوا عصور هامشيتهم وخذلانهم فأطلوا برؤوس شامخة وصوت ناطق بالحق ■

بقلم: زهور الشمري *

* مركز اللغات بجامعة الكويت



عديدون هم أسرى الحرب والمفقودين من الكويت في سجون العراق



ألم يحن الوقت لإطلاق سراحهم؟

اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين